الفيصل

مجلة ثقافية شهرية - العدد ٣٣٨ - شعبان ١٤٢٥هـ - سبتمبر/أكتوبر ٢٠٠٤م
ALFAISAL MAGAZINE - NO. 338 - SEP-OCT. 2004



- من مناهج البحث الأدبي عند العرب
- دارفور أرض السلاطين والتنوع القبلي
- الآثار الإسلامية المبكرة في المدينة المنورة

بسم الله الرحمن الرحيم

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية ـ العدد ٣٣٨ ـ شعبان ١٤٢٥هـ ـ سبتمبر/أكتوبر ٢٠٠٤م
ALFAISAL MAGAZINE - No. 338 - SEP-OCT. 2004



من مناهج البحث الأدبي عند العرب

سلك النقاد ومؤرخو الأدب العربي سبلاً كثيرة في فهم الظاهرة الأدبية وملابساتها، واتبعوا مناهج متعددة تمثل وجهات نظر مختلفة في التعامل مع الآثار الأدبية، وتدوين المعلومات عن حياة منتجيها، والظروف التي أحاطت بهم، ولعل أبرز هذه السبل، وأعظمها شأنًا فهمهم الأدب فهمًا فنيًا قائمًا على طبيعة الأدب وخصائصه.

إدارة التحرير:

رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد

مدير التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

المراسلات للتحرير والإدارة:

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ .

المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ . ٤٦٥٢٢٥٥

ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي:

١٥٠ريال سعودي للأفراد، ٢٥٠ ريال سعودي للمؤسسات،
أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤/٠٥٤٢
ردمد ١١٤٠ . ٠٢٥٨

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدراً من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.

الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.

- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي «رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:
  - يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
  - يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.
  - التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.
  - تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصاً القديم منه.
  - ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولاتعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

السعودية ١٠ ريالات ـ الكويت ٨٠٠ فلس ـ الإمارات ١٠ دراهم ـ قطر ١٠ ريالات ـ البحرين دينار واحد ـ عُمان ريال واحد ـ الأردن ٧٥٠ فلس ـ اليمن ١٠٠ ريال ـ مصر ٤جنيهات ـ السودان ١٥٠ ديناراً ـ المغرب ١٠ دراهم ـ تونس ٢٥٠ ، ١دينار ـ الجزائر ٨٠ ديناراً ـ العراق ٨٠٠ فلس ـ سورية ٤٥ ليرة ـ ليبيا ٨٠٠ درهم ـ موريتانيا ١٠٠ أوقية ـ الصومال ٢٠٠٠ شلن ـ جيبوتي ١٥٠ فرنك ـ لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية ـ الباكستان ٢٠ روبية ـ المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية ـ الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع ـ هاتف٤٨٧١٤١٤(٠١)، فاكس ٤٨٧١٤٦٠(٠١)، مصر ـ مؤسسة توزيع الأهرام ـ شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥ ـ فاكس ٣٣٩١٠٩٦ ـ ٢٠٢ ... سورية ـ المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ١٠٣٥ هاتف ٢١٢٨٢٤٨، فاكس ٢١٢٢٥٣٢ ـ ١١ ـ ٠٠٩٦٣، تونس ـ الشركة التونسية للصحافة ـ ٢نهج المغرب ـ ص.ب ٧١٩، فاكس ٧١٣٢٣٠٤/ هاتف ٣٢٢٤٩٩ ـ ٧١ ـ ٠٠٢١٦، قطر ـ دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ـ ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢ ـ فاكس ٤٦٦١٨٦٥ ـ ٠٠٩٧٤، الأردن ـ شركة وكالة التوزيع الأردنية ـ ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ ـ فاكس ٤٦٣٥١٥٢ ـ ٦ ـ ٠٠٩٦٢، البحرين ـ مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ ، فاكس ٥٣١٢٨١ ـ ٠٠٩٧٣، الإمارات العربية المتحدة ـ مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٢٦٦٥٣٩٤ ـ فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ ـ ٤ ـ ٠٠٩٧١، الكويت ـ شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ ـ فاكس ٢٤١٧٨٠٩ ـ ٠٠٩٦٥، المغرب ـ الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٢٢٤٠٤٠٣١/٣٢ ـ ٠٠٢١٢ ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣، الجمهورية اليمنية ـ القائد للنشر والتوزيع ت: ٢٠١٩٠١/٢ ـ ٣ ـ ٠٠٩٦٧ فاكس ٢٠١٩٠٩/٧



الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع



Alwatania Distribution

الرقم المجاني ٨٠٠١٢٤٠٠٢٨



رسائلكم

احتفاء بالفن

لقد أعجبني كثيرًا احتفاؤكم بالفن، فبعد أن طالعت العدد ٣٣٧ من مجلتي الأثيرة «الفيصل» شعرت باستمتاع كبير. إذ قرأت مقالة «فان جوخ: الإبداع الفائق والعقل الحزين»، ثم عرجت على الحوار الشائق مع الفنانة الإيرانية أفسانة، ومما زاد متعتي جمال الإخراج والشكل الفني المهيب للمجلة.

أتمنى مزيدًا من الاهتمام بالموضوعات الفنية، ولا يفوتني الإشادة بالتغطية الخبرية للأحداث الفنية من خلال باب «الحركة الثقافية في شهر»، دعائي لكم دومًا بالتوفيق.

عصام الدين مصطفى
شاعر وفنان تشكيلي
الرياض ـ السعودية

التحرير:

نشكر لك إطراءك، ونتمنى أن نكون عند حسن ظن قرائنا في كل مكان، ونأمل في تعاون الإخوة الفنانين والنقاد والمهتمين بالقضايا الفنية من أجل إبراز إسهامات المبدعين العرب في هذا الميدان.



حوار الحضارات

ألحظ منذ زمن بعيد اهتمام «الفيصل» بقضية الحوار الحضاري، وهذا ما جعلني اقترح أن تتبنى «الفيصل» مؤتمرًا أو ندوة جامعة عن هذه القضية الحيوية، وتركز في دور الإعلام في ظل المستجدات وتطورات العلاقات الدولية، ومع أن هذا الحدث لن يكون شيئًا جديدًا، إلا أن زاوية التناول قد تثري النقاش، لأنني أؤمن أن الإعلام هو الذي يسيّر هذا الحوار، وهو الذي في إمكانه مد جسوره وتعميق مفهومه.

جمال محمد فوزي
القاهرة ـ مصر

التحرير:

نشكر لك هذا الاقتراح وثقتك بمجلتك، ولكن قد يكون الأمر خارج اهتمام المجلة، ومثل هذا الحدث يحتاج إلى حشد طاقات مادية وبشرية كثيرة حتى يرقى إلى مستوى الطموحات.



الترجمة سبيل التوعية

في ظل ما يشهده العالم من تلاشي المسافات بين الشعوب تجد تراجعًا واضحًا في الترجمة من اللغات الأخرى إلى اللغة العربية أو العكس، فإذا كانت معرفة لغة قوم تعين على تفادي أذاهم، فإن الترجمة تؤدي دورًا كبيرًا في دفع القارئ العربي إلى التفاعل مع الأحداث والمستجدات من دافع الفهم العميق لتفاصيلها، أما الشذرات التي تنشرها وسائل الإعلام فهي لا تفيد في الإحاطة بما يطرح من موضوعات، فنحن بحاجة إلى حركة لترجمة آداب الأمم والشعوب وعلومها حتى نضع بذور الاستقلال، ونغرس روح الندية في التعامل بدلاً مما نستشعره من ضعف، كما أنها البداية الصحيحة للانطلاق الحضاري.

محمد البدري عبدالمجيد
صنعاء - اليمن

التحرير:

نشكر لك هذا الطرح، ومن هذا الخطاب والذي سبقه نستنتج أن الحوار والتفاعل مع الآخرين يحتل مساحة مقدرة من اهتمام الإخوة القراء، ونوافقك الرأي في أن الترجمة سبيلنا للتعامل الإيجابي مع الآخر، والوسيلة لفهم الآخر على نحو صحيح، ونأمل أن تضطلع مؤسساتنا الثقافية المعنية بدورها في إغناء هذا الجانب المفتقد بشكل واضح.

ذاكرة الأمة

أتابع «الفيصل» منذ سنوات مضت، ويعجبني اهتمامها بإبراز قضايا الأمة في إطار من الموضوعية والجدية، وقد بدا واضحًا في الأعداد الأخيرة عناية المجلة بآثارنا العربية والإسلامية، وما تتعرض له من نهب وسلب، وهذا موضوع يستحق أن تركز فيه وسائل الإعلام لدينا بدلاً من الاهتمامات الانصرافية التي تعمق الجدب الثقافي والخواء الفكري، فشكرًا للفيصل على هذا الاهتمام، ونأمل أن يدوم طرح مثل هذه القضايا التي تقارب هموم الأمة، وتلامس مشكلاتها الحقيقية.

أسامة الناجي
الرياض - السعودية

التحرير:

نشكر لك إطراءك، ونفيدك أن هذا الاهتمام بآثارنا العربية والإسلامية ينبع من كونها تمثل ذاكرة الأمة، والمحافظة عليها تعني الحفاظ على هويتها وعناصر تميزها.

ردود سريعة

الأخ م. ت ـ تونس:

تناولت موضوعًا جديرًا بالاهتمام، ولكن أغفلت ذكر اسمك، ولا ندري السر في ذلك، وما ذكرته عن رعاية الحضارة الإسلامية لغير المسلمين أمر رائع، ونابع من الرسالة الإنسانية للإسلام الذي ينبذ العنصرية، ويجعل معيار المفاضلة هو التقوى، ويمنح الحرية لغير المسلمين لممارسة شعائرهم.

الأخ محمد كامل خطاب ـ القاهرة ـ مصر:

لا بد لنا من إجراء القرعة في تحديد الفائز في المسابقة، وليس لنا غير أن ندعو بأن يكون الحظ حليفك، وأن تجعل القرعة الفوز من نصيبك، وننتظر مشاركاتك ومشاركة الإخوة القراء لإغناء صفحات المجلة بالجديد المفيد.

الأخت شادية عبدالله عوض ـ عمان ـ الأردن:

نشكر لك إطراءك ونأمل أن تظل المجلة عند ثقة الإخوة القراء بها، ونأمل مشاركتك بالكتابة، وثقي أن ما ستبعثين به سيجد كل اهتمام منا، متمنين لك الفوز بإحدى جوائز المسابقة.

الأخ طاهر جاد الرب محمد ـ السنغال:

نأمل في استطلاعات عن كل الدول العربية والإسلامية ومدنها، ولكن كما تعلم، لا يكتسب الاستطلاع قيمته من غير صور معبرة عالية الجودة، لذا نطلب حرص كتابنا على إرفاق صور جيدة مع استطلاعاتهم.

الأخ سمير خليل علي ـ الرياض ـ السعودية:

فيما يخص سؤالك عن اللغة التي تم بها الحوار مع الفنانة أفسانة خليقي في العدد (٢٣٧) نفيدك أن الفنانة تتحدث الفارسية وتفضل استخدامها في الحوار، وقد قام بالترجمة الأستاذ فضل الله مختار الأفغاني الأصل.



استطلاع



الآثار الإسلامية المبكرة في المدينة المنورة

حوى النبي علي صالح

التحرير

تتمتع المدينة المنورة بمكانة سامية وخاصة في قلوب جميع المسلمين. وقد أوردت المصادر التاريخية والجغرافية والأدبية المختلفة كثيرًا من المعلومات عنها. غير أن هذه المعلومات ركزت في مجملها بشكل مباشر في تاريخ المسجد النبوي الشريف وعمارته. وبعض المآثر الإسلامية. مثل: المساجد والآبار وحدود المدينة. والمواضع التي مرّ بها الرسول ﷺ وصحابته الكرام.

وكان لأبناء المدينة المنورة من المؤرخين والأدباء جهود مشكورة في التعريف بآثار المدينة وتراثها الحضاري، ومنهم: عبدالقدوس الأنصاري، وإبراهيم العياشي، وعلي حافظ، وأحمد ياسين الخياري، وغيرهم، إلا أن أبرز من عرض للموضوع وقدّم معلومات موثّقة عنه هو الدكتور سعد بن عبدالعزيز الراشد وكيل وزارة المعارف للآثار والمتاحف، الذي ألّف كتابًا بعنوان «دراسات في الآثار الإسلامية المبكرة في المدينة المنورة»، تناول فيه عددًا من الموضوعات عن الآثار الإسلامية المبكرة في المدينة المنورة والمناطق المحيطة بها، ووقف على عدد من المعالم التاريخية والحضارية والمواقع الأثرية والمنشآت المائية من سدود وآبار وبقايا منازل ومناطق استقرار زراعية، ومواضع لعشرات الكتابات الإسلامية المنقوشة على الواجهات الصخرية، وقد حاول المؤلف توضيح تلك المعالم الأثرية بشرح موجز، وتحديد تواريخها من خلال الآثار الكتابية فيها أو اللقى الأثرية، بالإضافة إلى الاستفادة من الإشارات الواردة في المصادر التاريخية والجغرافية وغيرها. أما بالنسبة إلى الكتابات الإسلامية المنقوشة على الصخور فقد حاول



نقش ابراهيم بن

المؤلف تحليلها وتحديد تواريخها في ضوء أسلوب الخط والمقارنة، كما تتبع أسماء الشخصيات الواردة في نصوص تلك الكتابات، من خلال تراجم الشخصيات المدونة في كتب الطبقات وفي المصادر التاريخية والأدبية المختلفة، وسنحاول بالاتكاء عليه تناول أهم تلك الآثار.

السدود الأثرية

هنالك إشارة إلى ثلاثة سدود:

١- سد معاوية بوادي الخنق:

يقع هذا السد إلى الشرق من المدينة المنورة بنحو ١٥ كيلاً، وهو ليس سدًا واحدًا بل هو في الواقع سدان اثنان يطلق عليهما تجاوزًا السد الشرقي والسد الغربي، ويفصل بين السدين مرتفع جبلي، والمسافة بينهما في حدود ٢٥٠ إلى ٣٠٠ متر، وقد بني جدار السد بخليط من الحجارة النارية «بازلتية» الممزوجة بالمونة المكونة من النورة المصهورة. ولا يعرف الكيفية التي يتم بها التحكم بمياه السدين إذ إن الكتلة الوسطى لكل منهما قد انهارت، ولا يستبعد المؤلف أن نقاط التحكم في المياه كانت مثبتة في منتصف كل سد، إما على شكل قناة

تصريف تفتح وتقفل عند الحاجة، وإما على شكل فتحات تصريف علوية تساعد على تخفيف مياه السيول كلما زاد مستوى ارتفاعها عند قمة السد، وقد وجد في الجهة الشمالية الغربية من السدين آثار تدل على وجود مصاهر استعملت لحرق الطوب الذي بني منه السدان.

تاريخ بناء السد:

لم تذكر معظم المصادر التاريخية والجغرافية المبكرة منها والمتأخرة شيئًا عن هذا السد على الرغم من أهميته ووقوعه على طريق يصل المدينة بطريق درب زبيدة عند معدن بني سليم، وهذا الطريق الفرعي كان يسلكه الخليفة العباسي هارون الرشيد عند سفره من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة. ولم يذكر هذا السد إلا في مصدرين فقط هما الحربي (ت٢٨٥هـ) والسمهودي (ت٩١١هـ)، وهما مصدران كافيان - كما يرى المؤلف - للتأكد من أن السد كان معروفًا في القرن الثالث الهجري، وكذلك في القرن العاشر الهجري، وعزا المؤلف عدم ذكر السد في بقية المصادر المبكرة والمتأخرة إلى كونه لم يعد صالحًا للاستعمال بسبب الإهمال وعدم تعهده بالصيانة والتعمير، وكذلك ما أصاب المنطقة من زلازل وبراكين.

جاء رسم بعض كلمات النقش التأسيسي لسد معاوية خالية من حروف المد على غرارة الكتابة الإسلامية المبكرة التي نجدها في رسم المصحف الشريف، والنقوش الحجرية الصخرية المتنوعة

النقش التأسيسي لسد معاوية

موقع النقش:

يقع النقش فوق قمة السد الأول من الكتلة الغربية بمواجهة الشمال، وقد ثُبِّت الحجر «الذي عليه النقش» بين الرصفات الثلاث العليا بحيث يكون في مواجهة الغرب، والصخرة التي عليها النقش بازلتية بنية اللون دكناء وفيها بعض الثقوب والتجاويف الطبيعية، وتصل أطوال الحجر إلى حدود ٦٥×٤٦ سم، وسماكته ١٤ سم، وواجهة الحجر خشنة نسبيًا، وعليها نص يتكون من عشرة أسطر، كتبت بطريقة الحفر الغائر.

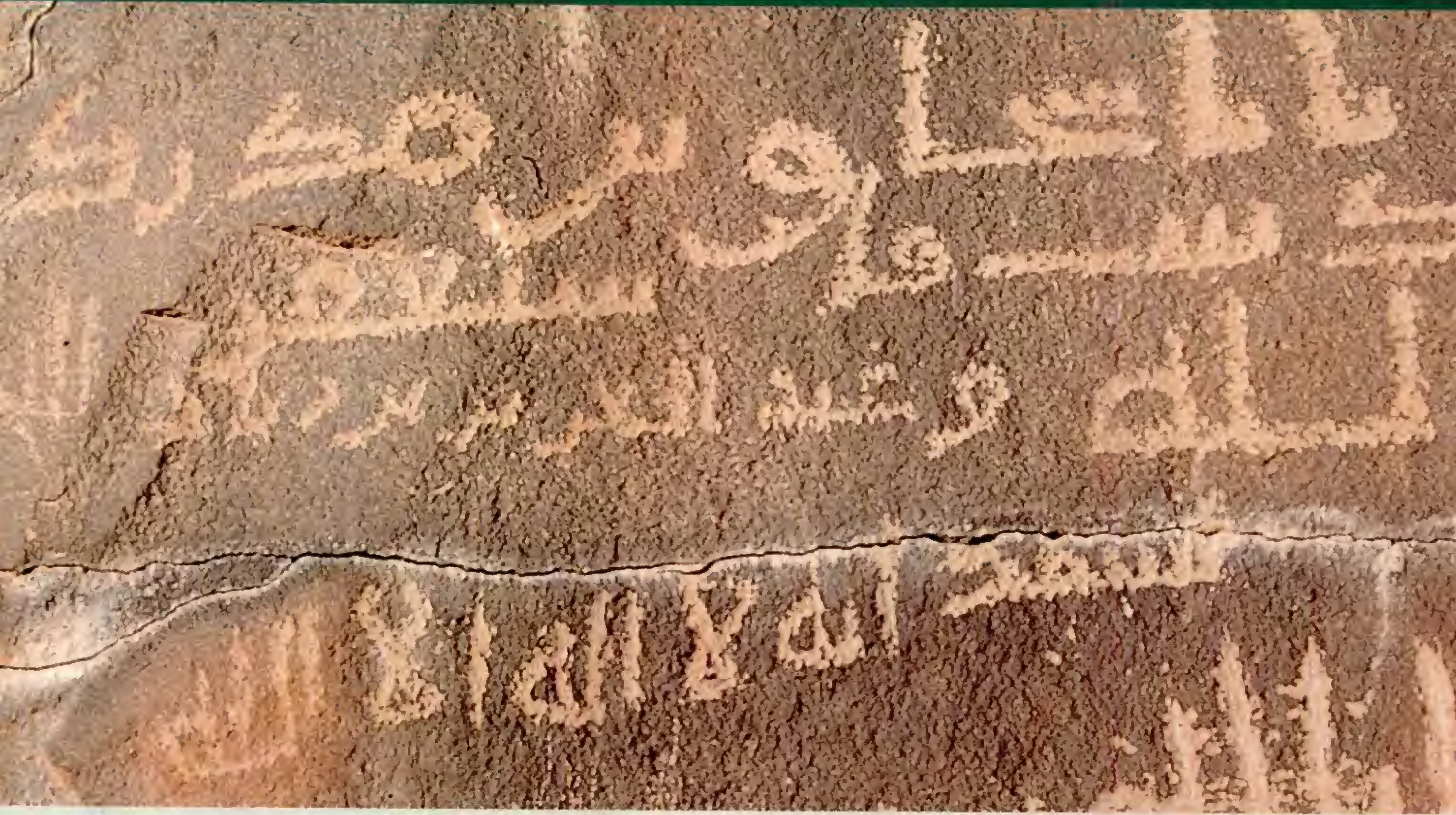
التحليل الفني للنقش:

يتكون النقش من عشرة أسطر كتبت بدقة متناهية من حيث التناسب في الأسطر وفي ترتيب كلمات كل سطر، كما أن الأسطر متفاوتة في أطوالها بسبب طبيعة الصخرة التي كتب عليها النص من ناحية،

نقش باسم إسماعيل بن عبد الرحمن بن عبدالله العمري



صورة توضح نقش إسحاق بن مدرك



وحرص الكاتب (أو النقاش) على رتابة الأحرف وعدم تداخلها بعضها مع بعض من ناحية أخرى.

وقد كتبت أحرف النقش في مجملها بالخط المزوي الجاف الخالي من الزخرفة، كما جاء رسم بعض الكلمات خالية من حروف المد على غرار الكتابة الإسلامية المبكرة التي نجدها في رسم المصحف

كان وادي العقيق يمثل عصب الحياة لأهل المدينة، إذ كان طوال العام مكانًا للمسامرة والتمتع بالهواء العليل. وقد ورد ذكره في كثير من المصادر التاريخية والجغرافية والأدبية

الشريف، والنقوش الحجرية والصخرية المتنوعة، كذلك حروف النقش خالية من النقط عدا كلمة (الصلت)، وهذا عكس ما نجده في سد الطائف الذي يوجد به عدد من الكلمات المنقوطة.

وجاء في النص المكتوب للنقش ما يأتي: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا السد لعبدالله «معوية» (هكذا رسمت دون ألف المد بعد حرف العين) أمير المؤمنين اللهم «برك» (هكذا رسمت دون ألف المد بعد حرف الباء) له فيه رب «السموت» (هكذا رسمت دون ألف المد بعد حرفي الميم والواو) والأرض «بنه» (هكذا رسمت دون ألف المد بعد حرف النون) أبو رداد مولى عبدالله بن عباس بحول الله وقوته وقام عليه كثير بن الصلت وأبو موسى.

القيمة التاريخية للنقش

يعد هذا النقش نقشًا تأسيسيًا مهمًا لكونه يؤرخ ويوثّق لبناء مرفق مهم من المرافق التي كان يقوم



بإنشائها الخلفاء والأمراء، وهو يؤكد ملكية السد للخليفة الأموي المشهور معاوية بن أبي سفيان، إذ وردت عبارة أمير المؤمنين. وعلى الرغم من عدم وجود تاريخ على النقش إلا أن اسم معاوية ولقبه كافيان لتحديد الفترة التاريخية للنقش، ومن ثم معرفة تاريخ بنائه، بالإضافة إلى أن النقش تضمن بعض الأسماء لشخصيات معروفة في عصر صدر الإسلام وبداية الفترة الأموية، مثل أبي الرداد الليثي، وكثير بن الصلت، بالإضافة إلى معلومات المساندة الأخرى.

كذلك فإن القيمة التاريخية لهذا السد تأتي من كونه وثيقة تاريخية مهمة توضح اهتمام مؤسس البيت الأموي بالمنشآت الهندسية الزراعية في المدينة المنورة، كما أنه أثر تاريخي يبرز مهارة المسلمين في بناء السدود في ذلك العصر المبكر.

والجدير بالذكر أن هذا النقش يعرض الآن في المتحف الوطني الجديد بالرياض، بعد أن حاول لصوص الآثار سرقته بعد سماعهم نبأ اكتشافه.

٢- سد وادي رانوناء:

يقع هذا السد في أعلى وادي رانوناء، وهو عبارة عن ثلاثة سدود متصلة يبلغ مجموع أطوالها ٨٣,٥ مترًا، أكبرها السد الرئيس القائم في الجهة الغربية، وقد بني هذا السد من الحجارة النارية والبازلتية ذات اللون الأسود الأدكن وبأحجام مختلفة. وقد جاء ذكر هذا السد في عدد من المصادر القديمة، التي ذكر بعضها أنه لعبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان، وكان يوجد على صخور هذا الوادي عدد كبير من الكتابات، ولكنها أزيلت تدريجيًا بسبب الزحف العمراني باتجاه منطقة السد، ولم يبق منها سوى الصخرة التي عليها النقش الشعري الذي أشار إليه عبدالقدوس الأنصاري، رحمه الله.

قراءة الأنصاري للنقش الشعري

قدّم عبدالقدوس الأنصاري قراءة تقريبية للنقش بعد معاناة من جراء أشعة الشمس المحرقة عندما وقف أمام النقش قبل أكثر من ستين عامًا قبل زيارة المؤلف لهذا النقش سنة ١٤١٦هـ، وجاءت قراءة الأنصاري على النحو الآتي:

هضابٌ بهذا السد بالصلد كلها
على كل واديها جنان من الأرض
وإن الغــواني لا يزلن يَرِدْنَهُ
وكُلُّ فتــىً سمحٍ سَجِيّتُهُ غضٌّ

القرءة الجديدة للنقش

وقدّم المؤلف دراسة لغوية للنقش، موضحًا أن قراءة الأنصاري لبعض كلمات البيت لم تكن صحيحة،

لقطة عامة لكتابات وادي الخنق




موقع كتابات وادي الخنق

كما أنه لم يقرأ اسم كاتب البيت وهو: بشير بن مسلم ابن بشير، وجاءت قراءة المؤلف للبيت كالآتي:

قَضَاة لهذا السّدّ بالفَلْجِ كُلِّه
على كل وادٍ ما جِنَانٌ من الأرض
رأيت الغواني لا يزلن يَزُرْنَهُ
وكل فتىً سمحٍ سَجِيَّتُه غَضُّ

نقش سد وادي رانوناء ليس نصًّا تأسيسيًّا يؤرخ لبناء السد، ولكنه يؤكد وجوده دون الإشارة إلى من بناه ، ويعد من الأمثلة القليلة، المكتشفة حتى الآن من حيث ظهور الحروف وعليها إعجام

ويرى المؤلف أن النص الشعري يستقيم على هذه الصيغة، وهو من البحر الطويل: فعولن مفاعلين فعول مفاعيلن.

تاريخ النقش

ويتضح من لغة النقش أنه ليس نصًّا تأسيسيًّا يؤرخ لبناء السد، ولكنه يؤكد وجوده دون الإشارة إلى من بناه، ويعدّ هذا النقش من الأمثلة القليلة، من بين مئات النقوش الصخرية المكتشفة حتى الآن من حيث ظهور معظم الحروف وعليها إعجام «النقط»، وهو بهذا يمثل مرحلة متكاملة في تطور الخط العربي من حيث الكتابة والإعجام «النقط». ويصعب إعطاء تاريخ محدد لهذا النقش، ولكن المؤلف يرجّح أن يكون النقش قد كتب في نهاية القرن الأول الهجري وبداية القرن الثاني الهجري؛ وذلك اعتمادًا على أسلوب الكتابة.

النقش التأسيسي لترميم السد

وقد قرأ الأنصاري النقش الترميمي للسد على

الأنصاري اسم «المدينة المنورة» في السطر السادس، بينما القراءة الصحيحة هي: الخطيب بالحرم الشريف، كما أن خاتمة النص الصحيحة هي: «غفر لهم أجمعين»، وقد ترجم المؤلف لكل الشخصيات التي وردت أسماؤهم في النص.





رسم تخيلي لأحد القصور الأموية بوادي العقيق

النحو الآتي: «جُدِّدَ هذا السد بإرادة الملك المظفر السلطان عبدالعزيز خان سعادتلو شيخ الحرم خالد باشا بنظارة الفاضل محمد صالح حماد سنة ١٢٨٩هـ بالمدينة المنورة .. عمر أزميري غفر الله له آمين».

وقد كان الفرق بين قراءة الأنصاري وبين قراءة المؤلف، أن الأنصاري لم يذكر لفظ الشهادة، وقرأ الكلمة في بداية السطر الخامس على أنها «سعادتلو» بينما يمكن أن تكون «سعادة» وذكر

ثالثًا: سد عاصم:

ويقع هذا السد غرب وادي العقيق، ويصل طوله الكلي إلى نحو ٤٥ مترًا، وعرضه عند القاعدة نحو ٥ أمتار، وقد تهدمت معظم جوانب السد، وقد بني السد في هذه المنطقة لتحقيق هدفين أساسيين هما: حماية قصر عاصم بن عمرو بن عثمان بن عفان - باني هذا السد - المبني على سفح الجبل من الجهة الشرقية، وتوفير أكبر قدر من مياه الأمطار لحاجة صاحب القصر وساكنيه.

نقوش سد عاصم:

وعند البحث في الواجهات الصخرية للمرتفعين الجبليين اللذين يقع بينهما السد، أمكن التعرف إلى ثلاثة نقوش ربما كتبها أناس يقصدون النزهة، ولا يستبعد المؤلف أن يكونوا ممن ساهموا في بناء السد وملحقاته.


منظر عام لأطلال قصر هشام وجزء من بستان الشيخ الحافظ

النقش الأول: يقع في الجهة الجنوبية في أعلى الجبال، ويتكون من سطرين ويقرأ كالآتي: «محمد بن أحمد العُماني يؤمن بالله»، ولعل هذا الشخص ينسب إلى عُمان (بضم العين)، وقد اشتهر عدد من الرواة والنحويين ممن عرفوا بهذه النسبة (العُماني)، وقد تكون النسبة إلى المدينة المشهورة في الشام (عمان) عاصمة الأردن الآن، ويرجّح المؤلف أن صاحب النقش ينسب إلى (عُمان)، وأن تاريخه يعود إلى القرن الثاني الهجري اعتمادًا على أسلوب الكتابة.

النقش الثاني: يتكون النقش الثاني من ثلاثة أسطر وقراءته كالآتي: «لعبدالله بن عمر بن ...»، ومن صيغة النقش يبدو أنه نقش تأسيسي لبناء أو إثبات ملكية؛ لأن النقش يبدأ بحرف (اللام) متبوعًا باسم (عبدالله) الذي لم يستطع المؤلف تحديد هويته؛ لأن هناك أكثر من شخصية عرفت بهذا الاسم، وقدّر المؤلف أيضًا أن تاريخه يعود إلى القرن الثاني الهجري اعتمادًا على أسلوب الكتابة.

النقش الثالث: يقع في الجهة الشمالية الغربية ولم يكتمل، ويقرأ كالآتي: «محمد بن حمزة بالله..» ولا تعرف شخصية (محمد بن حمزة) المذكور في هذا النقش، أما النقص في النقش فهو كلمة (يؤمن) أو (واثق) أي: بالله يؤمن أو بالله واثق، وهذه هي الصيغة المتبعة في معظم النقوش الإسلامية المبكرة.

الكتابات الإسلامية:

كما أفرد المؤلف فصلاً للكتابات والنقوش الإسلامية المبكرة، وبدأ بما هو موجود منها في «وادي العقيق»، ويوجد أكثرها في المنطقة التي أقيم عليها قصر هشام، وشملت خمسة نقوش جاءت كلها «في طلب الثقة بالله»، و«في طلب المغفرة»، و«في طلب الجنة»، و«نقش باسم صاحبه»، وعلى الواجهة الصخرية نفسها يوجد عدد كبير من النقوش، ولكنها غير واضحة، ورجّح المؤلف أن تكون هذه النقوش تخص سكان المنطقة التي بني فيها القصر الأموي المجاور لها، أو أنهم ممن عمل في الضيعة التابعة للقصر، أو أن المنطقة كانت مكانًا لتجمع الناس للراحة والاستجمام.

ثم عرض للموجود منها في «وادي الخنق» المنتشر على واجهات صخرية لحافة الوادي الغربية، وقد

تمت معاينة عدد من النقوش الصخرية، بعضها واضح الخط، وبعضها الآخر قراءته صعبة بسبب عوامل التعرية، وتعرضها لعبث البادية وعابري السبيل، إذ نجد بعض رسوم البادية والكتابات المنحوتة فوق النقوش القديمة. وقد قام المؤلف بحصر



سد رانوناء وتتضح إحدى فتحات تصريف المياه

النقوش الواضحة الحروف، وقام بقراءتها موضحًا النص الكامل لكل نقش، ومحاولاً إعطاء تاريخ تقريبي له من خلال الأسماء (أوالاسم) وأسلوب الخط. والنقوش هي «نقش في طلب المغفرة (ق١هـ)»، و«نقش باسم: (أبو سعيد) (ق١هـ)»، و«نقش في طلب الرحمة (ق١هـ)»، و«نقش في طلب الرحمة(ق١هـ)»، و«نقش في طلب المغفرة(ق١هـ)»، و«نقش في طلب المغفرة(ق١هـ)»، و«نقش تعريفي (ق١هـ)»، و«نقش في الإيمان بالله (ق١هـ)»، و«نقش في الصلاة على النبي ﷺ (ق١هـ)».

وتعدّ هذه النقوش المذكورة أهم ما أمكن الاطلاع عليه وقراءته في هذه المنطقة من وادي الخنق، ولعل هذه النقوش كتبها المارة الذين يستخدمون الطريق من المدينة إلى الحرَّة عبر هذه المنطقة، أو لعلها كتبت بواسطة العمال والمهندسين الذين قاموا ببناء سد معاوية الذي لا يبعد كثيرًا عن موقع الكتابات.

ثم ما هو متناثر في «وادي ضبوعة» الواقع إلى الغرب من المدينة المنورة بنحو ١٥ كيلاً، والضبوعة اسم قديم، وقد ورد ذكرها عندما غزا الرسول ﷺ ذا العُشَيْرة، ونزل في مجتمع الضبوعة، واستقى له من بئر الضبوعة. ومما يؤكد أن المنطقة كانت عامرة في العصور المبكرة وجود بعض النقوش الإسلامية على الواجهات الصخرية لمرتفع جبلي في الجهة الشمالية، وعلى يمين المتجه غربًا، وقد اختار المؤلف عدداً محدوداً من الكتابات التي أمكن له قراءتها، إذ إن بعضها قد تعرض لعوامل التعرية، وأصبح من الصعب إعطاء قراءة صحيحة لها، والنقوش المقروءة هي: «نقش في الولاء لله (ق١هـ)»، و«نقش في الدعاء(ق١هـ)»، و«نقش في الشهادة (ق١هـ)»، و« نقش في طلب المغفرة (ق١-٢هـ)»، و«نقش في طلب النجاة من النار(ق١-٢هـ)»، و«نقش في طلب الجنة (ق٢هـ)».

وتحدث عن نقوش «منطقة الضلوع»، وهي منطقة جبلية تقع إلى الشمال من المدينة المنورة بنحو ٣٠ ميلاً، ويبدو أن هذا المكان كان منطقة عبور للقوافل، وأرضها، فيما يبدو، صالحة للرعي منذ القدم، فقد عُثر في هذا الموضع على عدد قليل من الرسوم الصخرية، والنقوش الشمالية «ثمودية - صفوية». وقد تم حصر ما يقارب تسعة نقوش منقورة على الواجهات

الصخرية، وهي التي أمكن قراءتها، وهي: «نقش في طلب المغفرة (ق١-٢هـ)»، و«نقش في طلب الثقة بالله (ق١-٢هـ)»، و«نقش في طلب المغفرة (ق٢-٣هـ)»، و«نقش في إثبات الشهادة(ق١-٢هـ)»، و«نقش باسم صاحبه (ق١-٢هـ)»، و«نقش في الإيمان بالله (ق١-


حوض حجري منحوت - غرب السد

٢هـ)»، ونقش في طلب المغفرة (ق٢هـ)»، و«نقش في طلب المغفرة(ق٢هـ)».

ثم تناول الكتابات المدونة في «جبل البيضاء (جنوب شرق)» الواقع على مسافة تقدر بنحو ٧ كلم إلى الجنوب الغربي من جبال الضلوع، وقد تمّ التعرف في هذا الموقع إلى ثلاثة نقوش إسلامية متجاورة، بالإضافة إلى نقشين قديمين أحدهما يحمل كتابة لها صفات النقوش الآرامية، والآخر من المخربشات الشمالية (ثمودي . صفوي)، وهذه المنطقة وعرة، ويغلب ظن المؤلف أن الذي كتب هذه النقوش كان في رحلة صيد أو نزهة، ومن بين النقوش الإسلامية الثلاثة أمكن قراءة اثنين فقط هما: «نقش في طلب الجنة (ق٣هـ)»، و«نقش طلب الجنة» مؤرخ سنة ١٨٤هـ، وتتوافق هذه الفترة مع خلافة هارون الرشيد (١٧٠- ١٩٣م/٧٨٦- ٨٠٩م).

ثم أخيرًا كتابات العوينة التي تقع شرق المدينة المنورة بنحو ١٩كم من المطار، وهي عبارة عن واحة يمر بها وادي العوينة الذي تصب مياهه في منخفض العاقول، وهي واقعة على طريق الحج القديم الذي يتفرع عن طريق الحج العراقي الذي يربط الكوفة بمكة المكرمة، وقد اختار المؤلف عددًا من النقوش الإسلامية من نقوش العوينة التي تمكّن من قراءتها، وكانت هذه النقوش كالآتي: «نقش في طلب الرجاء (ق٢هـ)»، و«نقش في الشهادة (ق٢-٣هـ)»، وأربعة نقوش في الإيمان بالله، و«نقش في طلب المغفرة (ق١-٢هـ)»، و«نقش تأسيسي (ق٢-٣هـ)»، و«نقش في الصلاة على النبي ﷺ (ق٢-٣هـ)».

القصور الأثرية

أما «القصور الأثرية» فكانت مجال الفصل الثالث، ومنه تبين كيف أن المدينة المنورة شهدت حركة عمرانية مزدهرة، وقد آثر كثير من الصحابة والتابعين والأمراء والأثرياء وغيرهم من كبار الشخصيات البقاء في مدينة الرسول ﷺ والمناطق المجاورة لها، وكان وادي العقيق من المناطق المحببة للسكنى والزراعة، وكان هذا الوادي يمثل عصب الحياة لأهل المدينة، إذ كان طوال العام مكانًا للمسامرة والتمتع بالهواء العليل، وقد ورد ذكره في كثير من المصادر التاريخية والجغرافية والأدبية، وقد أحصى أحد مؤرخي المدينة

المتأخرين أكثر من سبعين قصرًا كانت قائمة على ضفاف وادي العقيق، ومن أبرز القصور التي ما زالت بقاياها وأطلالها قائمة إلى اليوم «قصر سعيد بن العاص»، ويقع هذا القصر في ضاحية المدينة الشمالية الغربية. وقد بقيت أطلاله حتى الآن بسبب وجوده داخل فناء القصر الملكي بالمدينة في جهته الجنوبية الشرقية، وينسب هذا القصر إلى سعيد بن العاص بن أبي أُحيحة سعيد بن العاص بن أمية الذي ولي المدينة في عهد معاوية بن أبي سفيان سنة ٤٨ هـ، وعزله عنها سنة ٥٤هـ، وكانت وفاته سنة ٥٧هـ أو٥٨هـ.

ومن خلال مشاهدة المؤلف لبقايا القصر وجد أن طولها يبلغ نحو ٣٦ مترًا وعرضها ٢٧ مترًا، وترتفع جدران القصر إلى نحو ٩ أمتار، ويصل سمك الجدران نحو ٧٦سم تقريبًا. وقد بني القصر بالأحجار الجرانيتية غير المنحوتة، كما استخدم الجص بشكل واضح في بنائه، وتبدو العناصر المعمارية للقصر مشابهة للعمارة الإسلامية المبكرة في الشام، إذ نلاحظ بقايا عقود نصف دائرية، والطاقات الركنية، وآثار الزخارف الجصية، وزخارف من الطوب المحروق، وضعت على شكل أفاريز علوية.

وقد آلت ملكية النخل والقصر والدور إلى معاوية بن أبي سفيان بعد وفاة سعيد بن العاص، إذ ابتاعها من ابنه عمرو لسداد دين والده، وذلك بناء على وصية من سعيد بن العاص عندما وافته المنية وكان عليه مال كثير، وقد بلغ ما قدّمه معاوية في هذا القصر ثلاثمئة ألف درهم من الدراهم الوافية.

قصر عاصم بن عمرو بن عمر بن عثمان بن عفان

ويقع هذا القصر في منطقة مرتفعة بعيدة عن ضفة وادي العقيق الغربية، وقد اعتمد على مياه السيول والإمطار؛ وذلك بإنشاء سد في الجهة الغربية منه.

يعد سد معاوية وثيقة تاريخية مهمة توضح اهتمام مؤسس البيت الأموي بالمنشآت الهندسية الزراعية في المدينة المنورة. كما أنه أثر تاريخي يبرز مهارة المسلمين في بناء السدود

وعلى حسب ما وصفه عبدالقدوس الأنصاري عند زيارته لموقع القصر سنة ١٣٧٨هـ/ ١٩٦٨م، أن القصر مربع الشكل، تبلغ مساحته نحو ٣٠×٣٠م، ويشتمل على تسع غرف، بالإضافة إلى المرافق الأخرى، وهو مثل قصر سعيد بن العاص في تقسيماته الداخلية والخارجية، وقد كانت معالم هذا القصر باقية على حالها وواضحة حتى وقت قريب، ولكن مما يؤسف له أن جدرانه العلوية أُزيلت بفعل فاعل بهدف استخدام أنقاض القصر، وتملك الأرض التي يقع عليها.

قصر هشام أو قصر مسلمة بن عبدالله بن عروة بن الزبير بن العوام

يقع هذا القصر على مرتفع جبلي على يسار

توضح بقايا الأواني الفخارية والخزفية والزجاجية وغيرها تطور الصناعات في العصور الإسلامية المبكرة، ولا يستبعد أن المدينة المنورة كانت مركزًا لمثل هذه الصناعات


صورة توضح العقود والزخارف المعمارية لقصر سعيد بن العاص


قصر خيف البصل - ويلاحظ ارتفاع الجدار الرئيس

المتجه إلى ذي الحليفة (آبار علي)، وقد أورد أحمد ياسين الخياري وصفًا موجزًا لهذا القصر، وذكر أنه كان «يحتوي على غرف كثيرة، ومنافع كثيرة مثل: دورات المياه، ومطبخ وفرن، ومسجد وبئر عظيمة، وساحة عظيمة داخل القصر تحت السماء لتهوية القصر ومحتوياته، ولم يبق منه الآن إلا أطلال تحدثنا عن تاريخه السابق المجيد».

«وفي الجانب الشمالي للجبل والقصر المذكور توجد صخرة كبيرة مكتوب عليها بالخط الكوفي ما نصه: «أنا مسلمة بن عبدالله بن عروة بن الزبير أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله على ذلك أحيا وأموت وأبعث إن شاء الله»، ويعتقد الخياري أن مسلمة هذا هو صاحب القصر، لكن المؤلف يرى غير ذلك، فقد لا يكون هذا النقش هو النقش التأسيسي للقصر، إذ لو كان خاصًا بصاحب القصر لكتب بأسلوب مغاير يوضح الملكية بأن القصر من عمل فلان أو بناه فلان، كما أن النقش الذي ذكره الخياري ليس هو النقش الوحيد في الموقع، إذ يوجد عدد من النقوش الصخرية الأخرى بأسماء عدد من الشخصيات، بالإضافة إلى أن النقش الذي ذكره

بسم الله الرحمن الرحيم
هذا السد لعبد الله
معوية امير المومنين
اللهم بارك له فيه رب
السموات والارض
بناه ابو رداد مولى
عبد الله بن عباس بحو
ل الله وقوته
وقام عليه كثير بن
الصلت وابو موسى

الخـيـاري لم يعثـر عليـه المؤلف حتى الآن، وقد يكون اختفى بعد تهذيب الكتل الصخرية المجاورة للموقع.

كذلك يعتقد الخيـاري أن هذا القصـر ربما يكون قصر هشام بن عبدالملك، ولم يجزم المؤلف بصحة هذه الرواية لعدم معرفة المصدر الذي اعتمد عليه الخياري في إيراد هذه الحقيقة التاريخية. ويقول الخياري: «آل هذا القصـر عن طريق الإهداء من جلالة الملك سعود العظيم إلى فضيلة القاضي الشيخ محمد الحافظ فأحيا جميع معالمه القديمة كما أحيا البئر وقام بزراعة جميع المناطق المحيطة بالقصر...».

مواقع أثرية متفرقة

ثم تحـدث في الفـصـل الرابع عن «مـواقـع أثرية مـتـفـرقـة»، فكان منهـا «آثار وادي السـد»: ويقـع هذا الوادي إلى الجهة الجنوبية من المدينة المنورة بنحو ٢٠ كيلاً، في منطقة جبلية متباينة الارتفاعات، تتخللها شـعـاب وأراضٍ صـالحـة للزراعـة، وتوجـد في هذه المنطقـة آثار قديمة لمنشآت مائية، وقنوات تصـريف للمياه، وآثار بنائية متفرقة شمالاً وغربًا، وقد تمكن المؤلف من مشاهدة هذه الآثار، وتبين له أنها كانت في الماضي البعيد ضيعة كبيرة ربما تكون لأحد وجهاء المدينة المنورة في الفترة الإسلامية المبكرة.

تقع العـوينة شرق المديـنة المنورة. وهي عبـارة عن واحة يمر بهـا وادي العوينة الذي تصب مـياهه في منخـفض العاقـول. وهي واقعـة على طريق الحج القـديم الذي يتـفـرع عـن طريق الحج العـراقي

كـانـت المدينة المـنورة عـامـرة. كـثـيـرة السـكان والخـيـرات والثـروات. ويـؤكـد إنشـاء السـدود تقدم المعـرفـة الهـندسـيـة لدى المـسلمين فـي تلك الحـقـبـة المبـكرة

وقدّم المؤلف دراسة وافية لآثار هذه المنطقة التي تشمل: السد، والقناة، والضيعة، والضيعة الغربية.

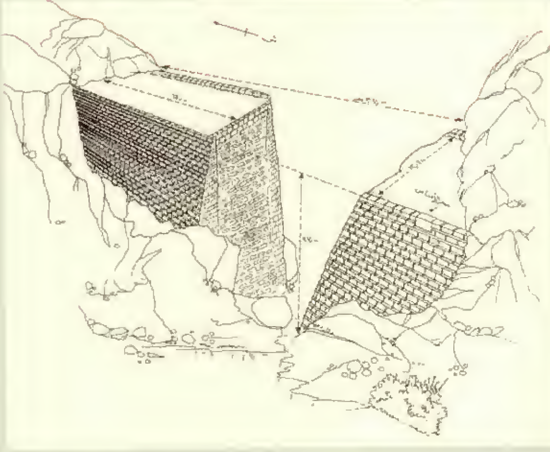
آثار وادي النُقْمي

وتقع آثار هذا الموقع إلى الشمال من المدينة المنورة على بعد نحو ١٧ كيلاً شمال مطار المدينة على امتداد طريق المدينة ـ تبوك القديم، والآثار الباقية في هذا الموقع عبارة عن قصـر قديم رباعي الشكل، ما زالت أساساته الحجرية واضحة، مما مكن المؤلف من وضع وصف تقريبي للتفاصيل الداخلية للقصر، كذلك يوجد إلى الجهة الجنوبية الغربية من القصر بنحو ١٧ مترًا مسجد صغير الحجم مساحته نحو ٦,٢٠×٥,٤٠ أمتار، وتظهر منه الأساسات الحجرية، ومحراب نصف دائري تبرز استدارته خارج جدار القبلة، كذلك توجد آثار لقنوات في أعالي وادي النقمي، وقصر ومزرعة، تناولهما المؤلف بشيء من التفصيل.

آثار وادي مهلهل

وتقع آثار وادي مهلهل في نقطة التقاء الوادي مع وادي النقمي، وقدّم المؤلف شرحًا لآثار هذا الوادي التي تشمل: القصـر: وهو عبارة عن بقايا بناء مستطيل الشكل، تبلغ أبعاده نحو ٣٠×٥٤م، وأساساته مبنية بالأحجار الجرانيتية، وإلى الشرق من القصر تقع آثار





سد معاوية من الجهة الغربية ورسم توضيحي له

مزرعة قديمة محاطة بأسوار وتلال، رملية كذلك. ويوجد إلى الشمال من آثار وادي مهلهل بعض المعالم الجغرافية والأثرية، منها كهف قديم، وفي أرضيته الصخرية حفر دائرية صغيرة تشبه لعبة الشطرنج يطلق عليها أبناء البادية: «ملعبة أبي زيد وأبي علي»، وفي أعلى الوادي كتلة صخرية عبارة عن حجر قائم منفرد بارتفاع ٣,٥م يسمى مربط الحصان، وعليه آثار حزوز غائرة، وعلى امتداد الوادي توجد آبار مندثرة تسمى الفقور. كذلك توجد آثار قصر قديم بقيت أساساته الحجرية بطول ٢٠× ١٦م، وبالقرب منه شعيب أم قصر، وهو أحد الشعاب الفرعية التي تصب في وادي مهلهل، وفي أعلى مصب الشعيب توجد بقايا سد كبير مبني بالحجارة وعليه بعض النقوش الكوفية، وقد تأثر السد بعوامل التعرية والسيول الجارفة.

آثار خيف البصل

وتقع آثار خيف البصل على بعد ١٤ كيلاً إلى الشمال من مطار المدينة المنورة على طريق تبوك القديم، وتتكون آثاره من قنوات للمياه تمتد على حواف المرتفعات الجبلية من الجهة الشرقية والشمالية، وقنوات متقاطعة في المنطقة المنخفضة تبدو أول وهلة وكأنها مخطط لمدينة لم تنشأ، ولكن بعد التثبت تبين للمؤلف أن هذه القنوات تغذي الأحواض الصغيرة للمزروعات التي كانت قائمة بالمنطقة، والتي صممت على شكل لوحة مربعات شبكية.

أما المباني السكنية فتتركز في المناطق المرتفعة من جهة الغرب، ومن أبرزها بناءان رئيسان يشكل كل واحد منهما قصرًا مستقلاً، أحدهما أكبر من الآخر.

ويقول المؤلف: «من خلال مشاهداتنا للآثار الباقية في وادي مهلهل ووادي النقمي وخيف البصل، نجد أننا أمام شبكة متصلة من القنوات والآبار والقصور والسدود بنيت على نمط ونسق واحد، وكأنما هي مشروع متكامل خطط له، ونفذ في وقت قياسي محدد. ويتضح أن هذه المواقع تمثل ضياعًا ومزارع استغلت في العصور الإسلامية المبكرة، وشارك في بنائها مئات الأيدي العاملة، وذلك من خلال كثافة هذه المنشآت والمساحة الكبيرة التي تغطيها. والملاحظ أيضًا دقة الصنعة لدى المهندسين والبنائين في استغلال الأراضي الزراعية، والاستفادة من مياه الأمطار والسيول».

وعلى الرغم من أهمية هذه المشروعات الاقتصادية إلا أن المؤرخين والجغرافيين الذين كتبوا عن تاريخ المدينة المنورة وجغرافيتها، لم يذكروا عنها شيئًا، وقد أرجع المؤلف ذلك إلى أن هذه الضياع كانت قد نسيت وضاعت شهرتها، ولم تجد من يوثّقها من المؤرخين والجغرافيين، والمعلومات المتوافرة من

المصادر لا تفي بالغرض لتحقيق هذه المعالم المهمة.

رواوة وآثارها الكتابية

تقع رواوة إلى الجنوب من المدينة المنورة، على نحو ٥٠ كيلاً من المسجد النبوي الشريف، وقد ورد اسم رواوة في كثير من المصادر الأدبية والجغرافية والتاريخية القديمة، وقد وردت عنها معلومات تقول بتوافر مياهها وأشجارها ونباتاتها المتنوعة، ولا يستبعد المؤلف أن رواوة موضع يتوقف فيه المسافرون للتزود بالمياه في العصور الإسلامية المبكرة، بالإضافة إلى أنها مكان مناسب للنزهة والصيد. وقد قام المؤلف بثلاث زيارات لهذا الموقع في أعوام ١٩٨٥م و ١٩٨٦م و ١٩٩٠م، وحصر خلال هذه الزيارات ما يزيد على خمسين نقشًا، وهذه النقوش في مجملها عبارة عن أدعية قرآنية وطلب التوبة والمغفرة للشخصيات الوارد ذكرها في النصوص، وكان المؤلف قد تناول مجموعة نقوش رواوة في دراسة خاصة نشرت في كتاب سنة ١٤١٣هـ، بعنوان «كتابات إسلامية غير منشورة، من (رواوة) المدينة المنورة».

وتعدّ مجموعة كتابات رواوة ـ كما يعتقد المؤلف ـ أهم مجموعة للكتابات الإسلامية المبكرة المنقوشة على الصخور، كما أن جميع نقوش رواوة غير منقوطة. وأكد المؤلف أن النقوش الإسلامية الواردة في هذه الدراسة (يعني نقوش وادي الخنق والعوينة ونقوش وادي العقيق وغيرها) تتكامل مع مجموعة نقوش رواوة وتشكل في مجموعها مصدرًا معلوماتيًا مهمًا ليس فقط في تطور الخط العربي في الفترة الإسلامية المبكرة بل دلالة واضحة على النمو والازدهار الحضاري للمدينة المنورة والمناطق المجاورة لها.

بئر السائب وآثارها الباقية

تقع إلى الشرق من العوينة، وبينها وبين المدينة المنورة نحو ٣٣ أو٣٤كم، وتبعد عن الصويدرة غربًا بنحو ٢٠ كم، وقد قام الباحث مشلح كميخ المريخي بدراسة هذا الموقع أثريًا في أطروحته لنيل درجة الدكتوراه وكانت بعنوان: Moraekhi, "Acritical Moshalleh AL and Analytical Study of Some Early Islamic Inscriptions From Medina in the Hijaz, saudi Arabia" ph.D. Thesis, University of Manchester, 1995، وقد جمع منه ستة عشر نقشًا إسلاميًا منقورة على الواجهات الصخرية، ومن خلال دراسة المريخي للنقوش الإسلامية من موقع السايبية تبين أن نصوصها تضمنت تعريفًا بعدد الشخصيات التي ربما عاشت بالمنطقة، أو كانوا عابري سبيل أو أنهم توفوا فيها. وتضمنت النصوص المكتوبة عبارات طلب المغفرة، أو إثبات الشهادة والايمان بالله سبحانه وتعالى.

صورة لبئر السائب بموقع السايبيّه



الملتقطات السطحية

وكان آخر فصول الكتاب بعنوان «الملتقطات السطحية»، تناول فيه المؤلف النهضة العمرانية والزراعية والصناعية والتجارية الواسعة التي شهدتها المدينة المنورة منذ فترة مبكرة من العصر الإسلامي، موضحًا أن هناك دلائل أثرية أخرى تهم الباحثين المتخصصين لاستخدامها في تحديد فترات الاستقرار في المواقع الأثرية ومعرفة تاريخ تلك الفترات، غير التي عرضت في هذه الدراسة، والمقصود بتلك الدلائل بقايا المصنوعات التي كانت مستخدمة في الماضي، مثل: الأواني الفخارية والخزفية والزجاجية أو أجزاء منها، وغير ذلك من المواد والأدوات التي كان يستخدمها الناس بصفة يومية.

وقدّم المؤلف عرضًا لأمثلة من الملتقطات السطحية التي عُثر عليها في بعض المواقع التاريخية مثل منطقة وادي النقمي وخيف البصل، والمتمثلة في أجزاء من أبدان وفوهات ومقابض وقواعد لجرار وأباريق وغضارات وزبادي وقدور للطبخ وحفظ الأطعمة.

أما بعض الملتقطات السطحية التي عُثر عليها في موقع قصر عاصم فهي محدودة بسبب تعرض بقايا القصر وأساساته للإزالة، ومما عُثر عليه في هذا الموقع كسر فخارية تمثل أجزاء من أبدان جرار أو مزهريات، ذات عجينة صفراء وعليها من الداخل والخارج طلاء أخضر، وقد تلاشى طلاء بعضها بسبب العوامل الجوية، كذلك عُثر على كسرة من بدن إناء من الحجر الصابوني عليها من الخارج خط مضلع بارز.

كذلك تم العثور في منطقة عروة بوادي العقيق على عدد من الكسر الفخارية والخزفية والزجاجية، وهناك عدد من الكسر الخزفية من نوع الخزف ذي البريق المعدني، وهو يشبه المعثورات الخزفية المكتشفة في الربذة، وفي غيرها من المواقع الإسلامية في العراق وفارس ومصر.

وخلص المؤلف إلى القول بأن المعثورات السطحية التي تم جمعها من بعض المواقع أو التي شوهدت في المواقع الأخرى يمكن تأريخ بعضها ما بين القرن الأول والثاني للهجرة، وبالنسبة إلى كسر الأواني الخزفية

نقش أبي بكر بن النعمان



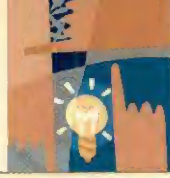
المتطورة، مثل الفخار المطلي المتعدد الألوان، والخزف القصديري، والخزف ذي البريق المعدني يمكن تأريخ فترته ما بين نهاية القرن الثاني والقرن الرابع االهجريين، مع عدم استبعاد وجود صناعات فخارية وزجاجية محلية، وهذا ما يأمل المؤلف أن تكشف عنه الدراسات المستقبلية.

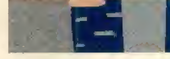
وساق المؤلف في الخاتمة بعض النتائج التي توصل إليها، ومنها: أن المدينة المنورة كانت مدينة عامرة كثيرة السكان والخيرات والثروات، وأن إنشاء سدود عالية وقوية، مثل: سد معاوية بن أبي سفيان في وادي الخنق، أو سد رانوناء، تؤكد تقدم المعرفة الهندسية لدى المسلمين في تلك الحقبة المبكرة، كما أن وجود منشآت مائية بهذا الحجم يدل على أهمية الزراعة في حياة الناس.

تطرقت الدراسة كذلك إلى الكتابات الصخرية التي تنم على معرفة المسلمين وإتقانهم للخط منذ القرن الأول الهجري على وجه الخصوص، كما أن هذه الكتابات تعدّ وثائق مهمة جدًا لمعرفة بواكير الخط العربي وتطوره من جهة، ومعرفة حجم الاستقرار السكاني وحركة مرور الناس على الطرق المتصلة بالمدينة المنورة.

كما أن بقايا الأواني الفخارية والخزفية والزجاجية وغيرها توضح تطور الصناعات في العصور الإسلامية المبكرة، ولا يستبعد المؤلف أن المدينة المنورة كانت مركزًا لمثل هذه الصناعات، وسوقًا رائجة لمختلف الصناعات الأخرى الوافدة من داخل الجزيرة العربية ومما تجلبه قوافل التجارة، ويرد مع الحجاج، وزوار المدينة الشريفة من مختلف الحواضر الإسلامية.

وأعرب المؤلف عن أسفه لتأثر كثير من المواقع الأثرية نتيجة للنهضة الحديثة الشاملة التي شهدتها المدينة وما حولها، وكذلك تأخر البحوث الأثرية الميدانية التي كانت من المؤمل أن توثّق ما تركه الأقدمون على هذه الأرض الطيبة، ودعا الباحثين والدارسين إلى العمل في المواقع الأثرية الباقية، سواء التي وردت في هذه الدراسة أم التي لم ترد.





كلمات في الفلسفة والدين والعلم

أحمد محمد كنعان

الدمام ـ السعودية

لقد شهد التاريخ البشري ظاهرة فكرية متميزة لا تقل شأنًا عن تاريخ الأديان. ألا وهي ظاهرة (الفلسفة). ومن المدهش أن نكتشف من خلال استقرائنا لتاريخ الفلسفة. واستعراض أهم القضايا التي تناولتها عبر تاريخها الحافل أن نشأة الأفكار الفلسفية الأولى قد واكبت نشأة الأديان نفسها. ولعلنا لا نجانب الحقيقة إذا قلنا: إن (إبليس) كان أول من تفلسف على الإطلاق. وذلك حين أمره ربه بالسجود لآدم أبي البشرية الأول. فأبى إبليس أن يسجد. واستكبر. وفلسف القضية على النحو الآتي ﴿قالَ أنا خيرٌ منهُ خَلَقْتَني من نار وَخَلَقْتَهُ من طين﴾ ص:٧٦. والنار كما تَصَوَّر إبليس من خلال تأملاته الفلسفية أفضلُ من الطين.

ومما يؤيد مذهبنا هذا في مواكبة تاريخ الفلسفة تاريخ الدين أن الفلسفة والدين يتقاطعان في مناهج البحث والنظر، ويلتقيان في التركيز في الكثير من مسائل الوجود الجوهرية، ولا سيما ما يدور منها حول الخلق والخالق والنشأة والمصير، والتأمل بالحكمة من خلق هذا الوجود، وغير ذلك من المسائل التي هي في جوهرها محاور أساسية في الرسالات السماوية كما هي محاور أساسية في المدارس الفلسفية، المختلفة.

ويعّد الفيلسوف الإغريقي أفلاطون (٤٢٧. ٣٤٧ ق.م) أول من أسس قواعد الفلسفة، وبيَّن أنها نشاط عقلاني متميز من بقية الأنشطة الفكرية التي كانت سائدة حتى عصره، ومن تلك الأنشطة: العقائد الدينية الإغريقية التي تقوم على تعدد الآلهة، والأساطير، والشعر، والمسرحيات، وغير ذلك من ضروب الأدب والفن، فمنذ أفلاطون بدأت الفلسفة تتمايز من هذه الأنشطة، وتتخذ لنفسها طريقًا خاصة في التفكير والبحث، وبدأت تؤسس لنفسها منهجًا نظريًا متميزًا تنظر من خلاله إلى تكوين هذا الوجود، وبهذا المعنى



يعد أفلاطون هو المؤسس الحقيقي للفكر الفلسفي.

والفلسفة Philosophy كلمة يونانية الأصل مؤلفة من جزأين Philo ويعني حب، وSophy ويعني المعرفة. وعلى هذا يكون معنى الفلسفة في أصل نشأتها «حب المعرفة»، إلا أنها في واقع الأمر محاولة ذهنية يمارسها العقل البشري لفهم المبادئ الأولى للوجود، ومعرفة طبيعة العالم، ونظرية المعرفة Epistemology هي فرع من الفلسفة يبحث في أصل المعرفة وصدورها. أما الميتافيزيقا أو ما وراء الطبيعة فتبحث في الطبيعة الغائية للواقع. وثمة أقسام أخرى للفلسفة، منها علم المنطق Logic الذي يهتم بقواعد التفكير والمحاكمة، وعلم الأخلاق Moral الذي يهتم بأصل السلوك الأخلاقي وأنواعه، وعلم الجمال Aesthetics الذي يهتم بطبيعة الجمال (١).

وبما أن الفلسفة تعتمد العقل مصدرًا أوليًا لها، فإنها ترفض القبول بالمسلَّمات والغيبيات مهما كان مصدرها، حتى وإن كان سماويًا، فأهل الفلسفة لا يجعلون الإيمان سندًا لما يوصف بأنه حق، فإذا كان العلم يسلم بشيء يجعله نقطة ابتداء، كالرياضيات التي تبدأ من العدّ،

والطبيعة التي تبدأ من المادة، فإن الفلسفة تحلل هذه البدايات إلى مبادئها الأولى (٢). والفلسفة في حقيقتها ليست موضوعًا، بل نشاط فكري، وتبعًا لذلك فإن الإنسان لا يدرسها، بل يمارسها، وهي إلى حد كبير قضية تحليل مفهومي؛ أي التفكير بالتفكير (٣)، أو بمعنى آخر فإن الفلسفة تهتم بتحسين طرئق التفكير بالمسائل أكثر من اهتمامها بفحوى المسائل نفسها.

النزعات الفلسفية

وقد مرت الفلسفة بمراحل تاريخية مختلفة، وبرز فيها ثلاث نزعات فكرية رئيسة كانت وما زالت شائعة بين المدارس الفلسفية حتى يومنا الحاضر، فهناك:

- نزعة عقلية أو مثالية Idealism: يرى أصحابها أن (في العقل مبادئ سابقة على التجربة، بواسطتها يستطيع اكتساب المعرفة عن العالم الخارجي، بل هو يفرض عليه مبادئه وقوانينه، والمعرفة العقلية في نظرهم هي وحدها المعرفة الحق؛ لأنها تتصف بثلاث خصال أساسية: فهي من جهة معرفة مطلقة Absolute، بمعنى أنها ثابتة لا تتغير بتغير الزمان والمكان، وهي من جهة ثانية ضرورة Necessary بمعنى أنها واضحة بذاتها وتفرض نفسها بشكل حتمي، فالضروري هنا في مقابل الاحتمالي، وأخيرًا، فهي كلية Universal، بمعنى أنها عامة مشتركة بين الناس جميعًا) (٤).

- نزعة مادية Materialism: تَرُدُّ كلَّ شيء إلى المادة والحركة، وترى أن الفكر ومنطقه يتبعان الأوضاع المادية، ويخضعان لها، وأصحاب هذه النزعة يرفضون وجهة نظر العقلانيين تمامًا، ويعارضونها بشدة، إنهم ينطلقون من مبدأ أساسي، وهو أن جميع أنواع المعارف التي لدينا مستقاة من الحس والتجربة، وأنه ليس ثمة في العقل إلا ما تمده به المعطيات الحسية، ولذلك فجميع أفكارنا يمكن أن تحلل في نظرهم إلى مدركات بسيطة مستمدة من التجربة (٥).

- نزعة وسط: تعمل على التوفيق بين النزعتين السابقتين، فهي تقرُّ بوجود العقل والمادة معًا وتنظر إلى العقل على أنه أداة لابد منها لإدراك العالم المادي وفهمه واستجلاء أسراره.

وقد نشأ عن هذه النزعات الفلسفية المتباينة الكثير من النظريات والأفكار والمذاهب الفلسفية المعارضة، وكان لكل منها أنصار ومؤيدون، ووضع عدد منها موضع التطبيق العملي، كما هي مثلاً حال المادية التاريخية Historical Materialism التي أسس نظريتها الفلسفية في القرن التاسع عشر كل من الفيلسوف الألماني كارل

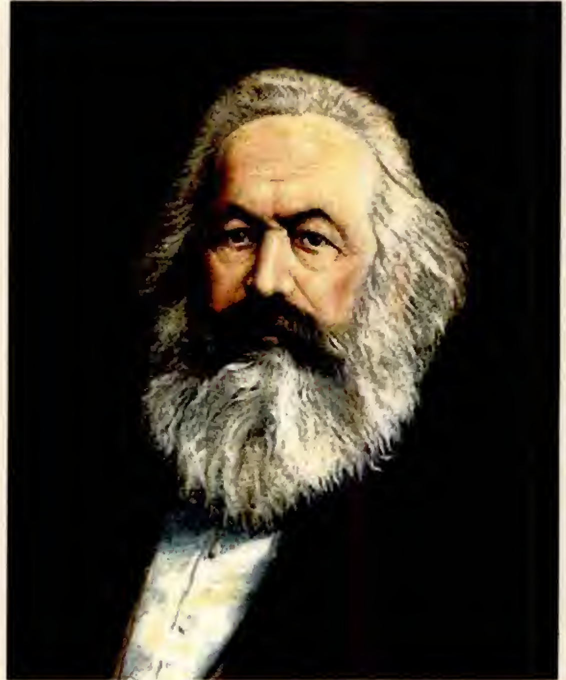
إنجلز



ماركس، وقرينه الألماني أيضًا فريدريك إنجلز، وقادت إلى الثورة الشيوعية البلشفية في روسيا عام ١٩١٧م، ثم في الصين والكثير من بلدان العالم، إلا أن معظم هذه النظريات الفلسفية وما تمخضت عنه من آراء أو نظريات أو تطبيقات لم تستطع أن تحقق للإنسان حلم حياته المنشود بالسعادة والفردوس الأرضي الذي كان وما زال يحلم به في صحوه وفي منامه، بل لسنا مبالغين إذ قلنا: إن الكثير من النظريات الفلسفية التي شهدها التاريخ لم يزد الإنسان إلا شقاء فوق شقائه، وبؤسًا فوق بؤسه.

كما مر تاريخ الفكر الفلسفي بعدة مراحل من التطور، فكانت هناك الفلسفة الشرقية القديمة التي ترعرعت في الهند والصين بصورة خاصة، وقد خالطها

كارل ماركس



الكثير من الأوهام والأساطير، ولم تتبلور فيها المفاهيم الفلسفية بصورة واضحة، على الرغم من قدمها نسبيًا بالمقارنة مع الفلسفة الإغريقية التي صاغت الكثير من المفاهيم الواضحة، ومن أبرز رواد الفلسفة الشرقية القديمة: بوذا، وزرادشت، وكونفوشيوس.

وكانت هناك الفلسفة اليونانية أو الإغريقية القديمة التي اهتمت اهتمامًا كبيرًا بالأخلاق، وكان من أبرز روادها: سقراط، وأفلاطون، وأرسطو، وكانت هنا الفلسفة الوسيطة التي ترعرعت في المنطقة العربية، وتأثرت بالأديان كثيرًا، وحاولت تأييد الدين بالعقل، أو ما عرف بالتوفيق بين العقل والنقل، أي الوحي، ومن أبرز روادها المسلمين ابن رشد، وابن سينا، والفارابي، ومن روادها المسيحيين القديس أوغسطين، وتوما الإكويني.

وأخيرًا ظهرت الفلسفة الحديثة التي عاصرت الثورتين الحديثتين الصناعية والعلمية، وتأثرت كثيرًا بالاكتشافات العلمية التي حصلت بصورة خاصة خلال القرون الأربعة الأخيرة ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، وعملت على الاستفادة من معطيات هذه الاكتشافات في تدعيم بعض المفاهيم الفلسفية، وتصحيح بعضها الآخر، ومن أبرز رواد هذه الفلسفة: ديكارت، وبيكون، وكانت، وسبينوزا، وهيوم.

هموم الفلسفة

لا خلاف في أن الفلسفة تعد من أبرز الإبداعات الفكرية التي أبدعها الإنسان عبر تاريخه الطويل، إلى جانب الأدب وضروب الفنون الأخرى، إلا أن الفلسفة ظلت تفتقد إلى تلك الأساليب التعبيرية البليغة المشرقة التي يمتاز بها كل من الأدب والفن، ولا سيما الشعر والغناء، فقد ظلت الفلسفة تبدو لزائر عرضي يلقي نظرة سريعة عليها معقدة بشكل محيِّر، ومن أسباب ذلك أن الفلاسفة - باستثناء بعض الفلاسفة الشرفاء - يجدون من الصعب



بعضهم يصف رحلة البحث الشغوف هذه قائلاً: «نحن المثقفين لسنا إلا طيوراً طائشة في الفضاء» (٧)، إلا أن هذا الطيش الفكري هو الذي أضاء لنا الكثير من الجوانب المظلمة في حياتنا، وأجابنا عن الكثير من الأسئلة الملحة التي لم تكن لتخطر على بالنا لولا ذلك «الجهل المبارك» الذي يظل ينخر في جوارحنا باحثًا عن جواب!.

وربما للعلة نفسها نجد الفكر الفلسفي لا يملُّ من الدوران حول سؤال المعرفة المحوري: (لماذا؟) وهو في الواقع السؤال نفسه الذي لا يكفُّ الأطفال عن طرحه على آبائهم وأمهاتهم وأساتذتهم، وكأن الفلسفة في جوهرها، وعلى الرغم من تاريخها الطويل، كانت وما زالت وسوف تظل تشكل مرحلة الطفولة الأولى في تاريخ الفكر البشري!.

ومن عجيب أمر الفلسفة كذلك أن تاريخها حافل بالمفارقات الغريبة، فقد أظهرت وقائع التاريخ في مناسبات كثيرة أن شريحة من الناس، من ذوي الخبرة المتواضعة، يمكن أن يقدموا لنا آراء واقتراحات ووجهات نظرمعقولة لحلٍّ مشكلاتنا السياسية والاجتماعية والأخلاقية، بصورة أكثر جدوى مما يفعله فريق متمرس من الفلاسفة الأفذاذ. وهذا ما جعل واحداً من رواد الفلسفة الواقعية هو بيكون يحكم على الفلسفة حسب ثمارها أو نتائجها العلمية وقدرتها على تحسين شروط

معنى الفلسفة في أصل نشأتها "حب المعرفة"، إلا أنها في واقع الأمر محاولة ذهنية يمارسها العقل البشري لفهم المبادئ الأولى للوجود، ومعرفة طبيعة العالم

تماماً أن يتكلموا لغةً يفهمها الشخص العادي، حتى إذا أراد الفيلسوف أن يتحدث عن موضوع عادي فإنه يتحدث عنه بعبارات مغرقة في الغموض، ولهذا فإن غاية ما يمكن أن ترجوه وأنت تقرأ كتابًا فلسفيًا هو أن تصل إلى فهم واهٍ للأبعاد السرية للمفردات التي يُؤْثر معظم الفلاسفة أن يستخدموها، وفي الواقع ليس عليك فعلاً أن تفهم معنى معظم هذه المفردات، هذا إن كان لها معنى أصلاً! (٦).

ولعل أروع ما في الفلسفة جهل الفلاسفة بكثير من حقائق الوجود، وقد يبدو هذا الثناء في غير محله، ولكنه سيبدو في محله تماماً عندما نوضح أن هذا الجهل الذي يطبع معظم الفلاسفة بطابعه هو الذي جعلهم يحلِّقون في عالم الخيال، ويغوصون في بحار المجهول، ويرتادون العوالم البكر في محاولة جادة لكشف أسرارها، مما جعل

الحياة، ولهذا أعلن بيكون قطيعته مع الفلاسفة التقليديين الذين يغزلون على عجلات تصورية بدل أن يستخدموا عجلات حقيقية (٨).

ولعل هذا الميل إلى الفكرالنظري البحت لدى أغلب الفلاسفة هو أحد الأسباب الجوهرية لتخلف الأمم التي تشتغل بالعلوم النظرية، ومنها الفلسفة، عن بقية العلوم العملية، ومن الطريف أن نورد هنا هذين النصين اللذين يؤرخان لفترتين من تاريخنا العربي الإسلامي للموازنة بين حال الأمة التي تعطي العلوم العملية بعض اهتمامها فترتقي بها في معارج التقدم والتمكين في الأرض، وحال الأمة التي تشغل بالفلسفة وعلوم الكلام عن بقية العلوم وكيف أنها تقع فريسة للتخلف والضعف.

أما النص الأول فيعود إلى العصر الذهبي لعاصمة الخلافة الإسلامية في بغداد، وهو لأبي بكر محمد بن الحسن الكَرْخي (ت١٠١٩م) في كتابه

أثبتت نصوص الكتاب والسنة أن الدين لا يتجاهل العقل، ولا يهمل البرهان العقلي، كما يزعم أهل الفلسفة، بل هو يجعل العقل أساس التكليف، وينكر على الذين يعطلون عقولهم وحواسهم عن رؤية الواقع، ويتوعَّدهم بأشد العذاب

(إنباط المياه الخفية)، وهو يعني بمصطلحات عصرنا الحاضر(استخراج المياه الجوفية) يقول فيه: «لما دخلتُ العراقَ، ورأيتُ أهلَها من الصِّغار والكبار يُحبُّون العِلْمَ، ويعظِّمون قَدْرَه، ويكرِّمون أهلَهُ، صنَّفتُ في كلِّ مُدَّة تصنيفًا في الحساب والهندسة...»، وأما النص المقابل فيعود إلى فترة لاحقة بدأت فيها علامات التراجع تصيب الأمة مع انهيار مُلْك العباسيين في المشرق والموحدين في المغرب، وهو نصٌّ لابن خلدون (١٣٣٢ ـ ١٤٠٦م) يتحدث فيه عن مدى اشتغال الناس بعلوم الكلام والفلسفة: «وكذلك بَلَغَنا لهذا العهد أن هذه العلوم الفلسفية لبلاد الإفرنجة من أرض رومة وما إليها من العُدْوة الشمالية نافقة الأسواق، وأن رسومها هناك متجددة، ومجالس تعليمها متعددة، ودواوينها جامعة، وحَمَلَتها متوفرون، وطَلَبَتها متكثرون، والله أعلم بما هنالك، وهو يخلق ما يشاء ويختار» (٩)، ويشير ابن خلدون في موضع آخر إلى أن مسائل الطبيعيات لم تكن موضع اهتمام من الناس آنذاك، ولذلك تركوها جانبًا وقد دفع المسلمون من جراء انشغالهم بعلوم الكلام، والفلسفة وإهمالهم بقية العلوم العملية ضريبة باهظة انتهت بالأمة إلى

فرانسس باكون



أفلاطون وأرسطو





فولتير

هامش الأحداث، وألقت بها إلى آخر الركب في حين جعلت الآخرين في المقدمة.

معاناة الفلاسفة

ونحن هنا لا نعمِّم الأحكام، ولا نريد أن نحطّ من شأن الفلسفة، أو نتجاهل دورها في إثراء الفكر البشري والتحريض الحضاري، ولكننا نريد تأكيد أن الحضارات لا تقوم بالفلسفة وحدها، بل لا بد من تآزر الفلسفة مع بقية العلوم في عملية النهوض والانهماك في بناء الحضارة المنشودة، كما أننا لا ننحو باللائمة على الفلاسفة وحدهم، ولا نزعم أن تخلف الأمة الإسلامية وغيرها من أمم الأرض يرجع إلى اهتمامها المفرط بالفكر الفلسفي، وإهمالها بقية العلوم، فقد كان هناك على مدار التاريخ فلاسفة رواد عاشوا هموم الناس، وخاضوا غمار الصراعات المختلفة بصدق وإخلاص، وحاولوا جاهدين أن يساهموا بأفكارهم ونظرياتهم في تقدم البشرية ورقيِّها، فمنهم من نجح، ومنهم من أخفق، شأنهم في هذا شأن كثير من الدعاة إلى التغيير والنهوض.

ولعل أكبر دليل على هذه المشاركة الإيجابية بهموم الناس من قبل الفلاسفة أن الكثيرين منهم تعرضوا من جراء أفكارهم ومواقفهم الشجاعة للملاحقة أو السجن أو النفي أو التعذيب، واتهم بعضهم بحقٍّ أو بغير حقٍّ بالهرطقة والتجديف والكفر والزندقة، وأحرقت كتب الكثيرين منهم، أو منُعت من النشر، بل إن بعض الفلاسفة أحرقوا أحياء قبل أن تحرق كتبهم؛ لأنهم - بسبب طبيعة الفكر الفلسفي - ظلوا يخوضون في المسائل الحساسة، ولا سيما منها المسائل الدينية والسياسية، وهي كما نعلم مسائل شائكة محاطة بحقول شاسعة من الألغام الشديدة الانفجار؛ (ولهذا السبب فإن معظم الفلاسفة أدينوا بشكل أو بآخر من سلطات عصرهم، سواء أكانت سلطات لاهوتية، أم سياسية، أم اجتماعية، ولم يعرف الناس قيمتهم إلا فيما بعد، أي بعد أن ماتوا ودفعوا الثمن، وأكبر مثال على ذلك الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو الذي عاش محتقرًا منبوذًا مطاردًا من مكان إلى آخر وكأنه مجرم أو شخص خطير جدًا، وكانوا يرجمونه بالحجارة، ويكسرون نافذة بيته حتى تصل الحجارة إلى أمام السرير الذي ينام عليه، ولكن بعد عشر سنوات أو أكثر قليلاً تندلع الثورة الفرنسية فإذا هم يكرمون ذكراه، وينقلون رفاته إلى مقبرة العظماء، ويتخذون من كتبه دستورًا ومنهاجًا للجمهورية الفرنسية!

أما الفيلسوف فولتير فقد سجن أيضًا في قلعة الباستيل الشهيرة قبل أن يهرب إلى إنجلترا بلد الحريات



في ذلك الزمان، ثم إلى هولندا، ومع أن فولتير، على عكس روسو، قد حظي بالتكريم الجماهيري في شوارع باريس قبل أن يموت بثلاثة أشهر فقط، فإن الكهنة رفضوا الصلاة عليه، ورفضوا دفنه في مقابر المسيحيين؛ لأنهم عدّوه كافرًا زنديقًا. أما الفيلسوف ديدرو (١٧١٣. ١٧٨٤م) فقد اعتقل فترة من الزمن في سجن آخر، وحكم على الفيلسوف كوندرسيه (١٧٤٣. ١٧٩٤م) بالموت ظلمًا وعدوانًا مما دفعه إلى الانتحار، وقيل: إنهم هم الذين قتلوه بالسم في سجنه، وكذلك كانت نهاية الكثيرين من الفلاسفة والمفكرين وأهل الفكر ودعاة التغيير (١٠).

ومن سمات التاريخ الفلسفي أيضًا أن معظم الفلاسفة الذين ساهموا في تشكيل الفكر الفلسفي، وكانت لهم بصمات واضحة على الفكر الفلسفي كانوا من المنبوذين، أما المترفون أو(أبناء الذوات) الذين يرفلون في العيش الرغيد، ولا يعانون الحرمان والفقر والجوع وكوارث هذه الدنيا التي لا تنتهي، فلا يمكن لهم أن يصبحوا فلاسفة، بل لا يمكن لهم أن يفهموا من التجربة البشرية إلا نصفها، هذا إذا ما فهموا شيئًا على الإطلاق، وحدهم أولئك الذين عركتهم الحياة، وصهرتهم في أتونها الملتهب مرشحون لإنجاز الأعمال الفلسفية الكبرى، على حد تعبير الفيلسوف الفرنسي الكبير ميشيل سير.

ومما يسجل لمصلحة الفلسفة عبر تاريخها الطويل أن أحدًا من الناس لم يقتل بسبب الفلسفة، كما قتل الملايين بسبب التعصب الديني أو المذهبي أو الحزبي، ذلك التعصب المقيت الذي أدخل البشرية في حروب طاحنة تركت جروحًا غائرة، وتشوهات واسعة في ذاكرة التاريخ، وربما يعود السبب في هذا الفارق بين الفلسفة وغيرها من ضروب الفكر البشري والعقائد إلى انشغال الفيلسوف بالفكر أكثر من انشغاله بالواقع، على النقيض من حال السياسيين وأصحاب المذاهب العقائدية الذين ينشغلون بالواقع عن التفكير بتغيير هذا الواقع، ويعملون جهدهم على حشد الأنصار والمؤيدين والمريدين، ولا يتورعون عن ارتكاب أشد الحماقات من أجل المحافظة على هذا الواقع ضمانًا لاستمرارهم في (الزعامة)، أما الفيلسوف الحق فلا تجد عنده هذه النزعة، وقلما يحفل بحشد الأنصار والمؤيدين والمريدين، وتاريخ الفلسفة

من سمات التاريخ الفلسفي أيضًا أن معظم الفلاسفة الذين ساهموا في تشكيل الفكر الفلسفي. وكانت لهم بصمات واضحة على الفكر الفلسفي. كانوا من المنبوذين



حافل بالفلاسفة الذين قضوا نحبهم بعيداً عن الناس، في منفى ناء، أو في سجن شديد الظلمة والبرودة، أو في برية ليس فيها غير الوحوش!

جدلية الفلسفة والدين

من خلال استقرائنا وتقصينا لأبرز المسائل الفلسفية التي شهدها تاريخ الفلسفة ومقابلتها بالمسائل الدينية نعود هنا لتأكيد الدعوى التي بدأنا بها هذا الفصل، وهي أن الفكر الفلسفي قد نشأ كرجع الصدى للرسالات السماوية، ومما يعزز دعوانا هذه ما أوردناه آنفًا عن فلسفة إبليس التي واكبت ظهور أول البشر وأول نبي، ثم الوقوف عند أبرز مقولة للفيلسوف الإغريقي طاليس(٦٢٠-٥٥٠ ق.م) الذي يعده المؤخون (أبا الفلسفة) تلك المقولة التي تردُّ نشأة العالم إلى عنصر أساسي هو (الماء)، وهي مقولة قديمة جدًا لا نستبعد أنها وردت في بعض الكتب السماوية الأولى على غرار ما وردت في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿وهو الذي خَلَقَ السَّموات والأرضَ في ستَّة أيَّامٍ وكانَ عَرْشُهُ على الماء﴾ هود:٧، وقوله تعالى: ﴿أوَلَمْ يَرَ الذينَ كَفَروا أنَّ السَّموات والأرضَ كانتا رَتْقًا فَفَتَقْناهُما وَجَعَلْنا من الماء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أفلا يُؤمنون﴾ الأنبياء:٣٠، وهذا ما يجعلنا نرجح أن المقولات الفلسفية الأولى قد انطلقت أساسًا مما جاء في الرسالات السماوية التي تضمنت الكثير من الإشارات لظواهر الكون ومخلوقاته، وطبيعة العالم، ونشأته ومصيره، وغير ذلك من المسائل الفلسفية الأساسية التي تعاقب على تناولها ومناقشتها معظم الفلاسفة على مدار التاريخ.

وإن من يتعمق في دراسة المسائل الفلسفية الأساسية يجد أن الفلسفة في جوهرها كالدين، تعنى بدراسة المبادئ الأولى للوجود، ولكنها تختلف عن الدين بأنها تعتمد العقل مرجعية أساسية ووحيدة لها، ولا تقيم وزنًا للمُسَلَّمات والغيبيات الدينية مهما كان مصدرها، على النقيض من الدين الذي، إلى جانب اعتماده على العقل والبرهان العقلي، فإنه لا يغفل الغيبيات والمسلمات، بل إنه يجعل بعضها معلومًا من الدين بالضرورة لا يجوز لمؤمن أن ينكرها، وهنا تكمن نقطة الخلاف الجوهرية بين الدين والفلسفة، وهذا الخلاف في حقيقته خلاف

الميل إلى الفكر النظري البحت لدى أغلب الفلاسفة هو أحد الأسباب الجوهرية لتخلف الأمم التي تشتغل بالعلوم النظرية، ومنها الفلسفة، عن بقية العلوم العملية

جان جاك روسو



مفتعل افتعله بعض الفلاسفة الذين وقفوا من الدين مواقف سلبية بحجة أن الدين لا يحفل بالعقل، وأنه يعوّل أساسًا على الخرافة والمعجزة والأسطورة على حساب الواقع والتجارب العلمية والبرهان العقلي!.

وهذه كلها اتهامات لا أساس لها من الصحة، ولا تصمد أمام البحث العلمي الدقيق، فقد تضافرت نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية وإجماع الفقهاء على أن العقل هو أساس التكليف الشرعي، وقد حفل القرآن الكريم بالكثير من الآيات التي تتوجه بالخطاب إلى (الذين يعقلون .. أولي الألباب ... الذين يتفكرون .. الذين يتدبرون..) كما أن النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم بيَّن أن العقل هو أصل التكليف فقال: «رُفِعَ القلمُ عن ثلاثةٍ: عن النائمِ حتى يستيقظَ، وعن الصبيِّ حتى يحتلمَ، وعن المجنونِ حتى يَعْقِلَ» (١١).

وهكذا تثبت نصوص الكتاب والسنة أن الدين لا يتجاهل العقل، ولا يهمل البرهان العقلي كما يزعم أهل الفلسفة، بل هو يجعل العقل أساس التكليف، وينكر على الذين يعطلون عقولهم وحواسهم عن رؤية الواقع، ويتوعَّدهم بأشد العذاب ﴿ولقد ذَرَأْنا لجهَنَّمَ كثيرًا من الجنِّ والإنسِ، لهم قلوبٌ لا يَفْقَهون بها ولهم أعينٌ لا يُبْصرونَ بها ولهم آذانٌ لا يسمعونَ بها، أولئكَ كالأنعامِ بل هم أَضَلُّ، أولئكَ هُمُ الغافلونَ﴾ الأعراف: ١٧٩.

ويمتاز الدين من الفلسفة بنظرته الشمولية للوجود، فهو لا يتوقف في نظرته للعالم عند ما هو مشاهد أو محسوس فحسب، كما هي حال الفلسفة، بل تتعدى نظرته عالم الشهادة إلى عالم الغيب الذي تؤكد آيات الكتاب وآيات الآفاق والأنفس أنه أوسع وأرحب من عالم الشهادة بما لا يُقاس، وقد اعترف جهابذة العلوم أخيرًا بأن ما يجهلونه من هذا الوجود أكثر بكثير مما يعلمونه حتى قال قائلهم: «لقد أصبحنا اليوم نعي تمامًا أننا كلما

يمكن وصف الخطاب الفلسفي بأنه خطاب متعالٍ أو مترفع عن المجتمع، على النقيض من الخطاب الديني الذي يتوجه إلى الناس جميعًا، بمختلف طبقاتهم وانتماءاتهم الفكرية

ازداد فهمنا ازدادت الاحتمالات الغريبة لجهلنا، فالكون في الحقيقة أغرب بكثير مما يمكننا أن ندركه»! (١٢).

وفي كل يوم تتكشف لنا حقائق جديدة في شتى حقول المعرفة، مما يعبر عمليًا عن الحقيقة القرآنية: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ الإسراء:٨٥، ومن ثم فإن إنكار بعض الفلاسفة لبعض ما أشارت إليه الرسالات السماوية مما هو غيبي أو غير محسوس لا يقوم على أساس من العلم وها هو ذا واحد من أبرز علماء الفيزياء النظرية المعاصرين وهو البريطاني (فرانك كلوز) يصرح بوضوح أن هناك عالمًا آخر غير مرئي لنا يشاطرنا هذا الوجود، فهو يقول: «يتركز اهتمام الفيزياء النظرية في الوقت الراهن في نظرية تصدر أحكامًا عميقة بشأن المادة التي

معظم النظريات الفلسفية وما تمخضت عنه من آراء أو نظريات أو تطبيقات لم تستطع أن تحقق للإنسان حلم حياته المنشود بالسعادة والفردوس الأرضي

نسج منها الكون، وهذه النظرية اسمها الرمزي هو الأوتار الفائقة String Theory ، وهي تقضي بأنه في وقت الانفجار الكبير كان هناك عشرة أبعاد، وثمة ستة من تلك الأبعاد أصبحت مخفية عن حواسنا الفجة، ولكنها تترك علاماتها بما ينشأ عنها من كهرباء، ونشاط إشعاعي نووي، وما يتعلق بذلك من ظواهر، ومن النتائج الأخرى البارزة المترتبة على هذه النظرية أنها قد تدلنا ضمنًا على أن ثمة كونًا خفيًا بالكامل يعمل هنا في الداخل مباشرة من الكون المألوف لنا» (١٣).

ومن الملاحظات المهمة التي تستحق التأمل طويلاً في إطار المقابلة بين الدين والفلسفة، أن الفلاسفة يتوجهون بأفكارهم إلى نخبة المجتمع، ولا يحفلون كثيرًا بالعامة، ولا سيما الطبقات الدنيا من الناس الذين يعتقد الفلاسفة أن عقولهم قاصرة عن الارتقاء إلى مستوى الفكر الفلسفي الرفيع، وبمعنى آخر يمكن وصف الخطاب الفلسفي بأنه خطاب متعالٍ Transcendent أو مترفع عن المجتمع، على النقيض من الخطاب الديني الذي يتوجه إلى الناس جميعًا، بمختلف طبقاتهم وانتماءاتهم ومستوياتهم الفكرية، ولهذا السبب نجد أن الأفكار والنظريات الفلسفية على الرغم من كثرتها وكثرة الفلاسفة الذين ظهروا على مدار التاريخ البشري فإنها نادرًا ما أدت إلى تغيير ملموس في أحوال الناس، على النقيض من الأفكار الدينية والرسالات السماوية التي كان لها تأثير أعمق وأوسع بكثير مما كان للأفكار الفلسفية، اللهم إلا تلك الأفكار الفلسفية التي آمن بها بعضهم، ورفعوها إلى مصافِّ العقائد الدينية، وخاضوا من أجلها الثورات الدامية، كالفلسفة الماركسية التي أشعلت الثورة البلشفية في روسيا (١٩١٧م)، والثورة الثقافية في الصين (١٩٤٩م)، فقد أحدثت هذه الفلسفات العقائدية بعض التحولات الاجتماعية، وأحرزت بعض التقدم العلمي والتقني، وتجاوزت في بعض الأحيان حدودها الجغرافية وانتشرت في مطارح بعيدة من

الأرض، إلا أن الضريبة التي ظلت الشعوب تدفعها من جراء تلك الأفكار كانت باهظة التكاليف إلى الحد الذي جعل أصحابها ومعتنقيها ومؤيديها يتخلون عنها، ويبدؤون من جديد رحلة العودة إلى الدين بحثًا عن بدائل أقلَّ ثوريةً، وأكثرَ واقعيةً واحترامًا لحقوق الإنسان وكرامته.

ومع تسليمنا بأن الإبحار في عالم الفلسفة ماتع ولا يخلو من الفائدة، ومع اعترافنا أيضًا بأن الفلسفة قد أغنت الفكر البشري بالكثير من المفاهيم التي حملته على التحليق بعيدًا وعاليًا من أجل رؤية للوجود أشمل وأرحب، إلا أن هذا التحليق المغرق في المثالية كثيرًا ما أبعد الفلاسفة عن رؤية الواقع المعيش، وضلل سعيهم نحو الحلول العلمية القريبة التي تحتاج إليها البشرية المنكودة لحلِّ مشكلاتها اليومية العويصة، فقد ظلَّ معظم الفلاسفة يحلمون بيوم يأتي على البشرية، فيقرأ فيه كل إنسان روائع أرسطو، ومحاورات أفلاطون، ولكنهم غفلوا عن أهم حلم كان وما زال يداعب أجفان البشرية، وهو أن يأتي على الناس يوم يجد فيه كل إنسان من القوت ما يُسكت جوعه.

وربما لهذا السبب ظل أفلاطون يدعو الفلاسفة إلى النزول من سماء الفلسفة إلى أرض الواقع، إذ لا قيمة في رأيه للأفكار المجرَّدة إذا لم نقم بتجربتها في عالم الناس، وكان أفلاطون يدعو تلاميذه إلى التنافس مع رجال الأعمال ذوي الرؤوس الفردية اليابسة، ورجال السياسة الدهاة، لكي يتعلموا من كتاب الحياة نفسها، ويحرقوا أصابعهم، ويحكُّوا ذقونهم الفلسفية أمام حقائق العالم القاسية، ويكسبوا خبزهم ومعيشتهم بعرق جباههم، وكان يقول: إن هذا الامتحان العملي ينبغي أن يستمر دون رحمة أو شفقة حتى يتخلص الفلاسفة من لعنة الزهو والخيلاء، ويحققوا في أنفسهم حالة الرشد والحكمة والواقعية التي قدمتها لهم التجارب (١٤).

وهذا هو المنهج الذي يدعو الدين أتباعه إلى السير عليه، فهو يدعوهم إلى الانخراط في الحياة والتعايش مع الواقع؛ لأن هذه المعايشة هي المحكُّ الحقيقي للإيمان، كما أن الدين ظل على الدوام أكثر من الفلسفة التصاقًا بهموم الناس وقضاياهم الواقعية، وكان التشريع السماوي أكثر مسايرة واستجابة لحاجات الناس، وأكثر إحساسًا بمعاناتهم، كما قدَّم لهم الحلول العملية التي توافق فطرتهم، وتعينهم على القيام بأمانة الاستخلاف في هذه الدنيا، وتحقق لهم السعادة الحقيقية التي يتوقون إليها، ليس في الدنيا وحدها، بل في الآخرة كذلك.

ومما يؤخذ على الفلاسفة أيضًا تظاهرهم بالثقة التي لا حدود لها، وزعمهم المبالغ فيه أنهم يملكون السفينة المجهزة تجهيزًا جيدًا للإبحار، ودفة القيادة الصالحة للإقلاع بها إلى مختلف الجهات، وفي الظروف والأنواء كافة، إلا أن سفينتهم المزعومة هذه نادرًا ما خاضت عباب البحر، بل ظلت تقضي معظم أوقاتها مسترخية في الظل عند الشاطئ، سارحة في دنيا الخيال والتأمل بانتظار اللحظة المناسبة للإبحار، وليست مسرحية (بانتظار غودو) (١٥) الشهيرة سوى مثال أدبي واحد على مثل هذا الانتظار الفلسفي العبثي غير المجدي ... أما الدين بالمقابل فقد كان أكثر واقعية، وأكثر التصاقًا بهموم الناس، فقد قدَّم لهم حلولاً واقعية للمشكلات التي قد تعترض

ظل أفلاطون يدعو الفلاسفة إلى النزول من سماء الفلسفة إلى أرض الواقع، إذ لا قيمة في رأيه للأفكار المجرَّدة إذا لم نقم بتجربتها في عالم الناس

حياتهم، وهو لم يَعِدهم بفردوس على الأرض كالتي يعدهم بها الفلاسفة المثاليون، بل يحضِّرهم نفسيًا لمواجهة أصعب الظروف في هذه الحياة الدنيا، ولكنه في الوقت نفسه يحرِّضهم على تغيير هذه الظروف إلى ما هو أفضل، ليس من خلال مقولات نظرية، كما يفعل أكثر الفلاسفة، بل من خلال مناهج عملية توافق قدراتهم وإمكاناتهم، وتراعي فطرتهم البشرية.

ولا يفوتنا ـ ونحن نقابل بين الدين والفلسفة ـ أن نشير إلى أن الانهماك بالفلسفة لا بد أن ينتهي بالفيلسوف إلى إحدى نهايتين متناقضتين أشد التناقض فيما يتعلق بموقفه من الدين، فإن الانهماك بالفلسفة إما أن يحلق بالفيلسوف في معارج الإيمان عندما يدرك من خلال تأملاته الطويلة العميقة في مخلوقات هذا الوجود قدرة الخالق التي لا حدود لها، وعظمة هذا الوجود الذي أبدعته يداه على غير مثال سابق، وإما أن ينتهي المطاف بالفيلسوف إلى الإلحاد التام كما حصل لكثير من الفلاسفة الذين أسَرَتهم النزعة المادية، فأرجعوا كل مظاهر الوجود إلى المادة، واعتقدوا أن العالم قديم، وأنه هو الذي أوجد نفسه بنفسه من غير خالق!.

ومن أجل تجنب الوقوع بمثل هذا المطب الخطير، فقد تحاشى كثير من فقهاء الإسلام الخوض في المسائل الفلسفية، بل كانوا يحذرون منه، ولعل خير مثال على هذا الموقف من الفلسفة موقف الإمام أبي حامد الغزالي (١٠٥٩ـ ١١١١م) الذي بلغ الاهتمام بالفلسفة في عصره حدًا دفعه إلى خوض عبابها، وبعد رحلة طويلة خرج علينا بكتابه الشهير «تهافت الفلاسفة» الذي هاجم فيه الفلاسفة، وعمل على دحض مقولاتهم المختلفة، وربما يرجع هذا الموقف من الغزالي وغيره من الفقهاء الذين عارضوا الفكر الفلسفي إلى ما شاهدوه من أن الذين خاضوا في المسائل الفلسفية العويصة لم يسلموا في الغالب من بعض شطحاتها أو مطباتها، وهذا ما جعل (ابن خلدون) يخصص فصلاً كاملاً للحديث عن الفلسفة، مبينًا ما فيها من منافع، ومحذرًا في الوقت نفسه مما تنطوي عليه من مزالق ومعاطب، وبعد حديث طويل يختم الفصل قائلاً: «... فيستولى الناظر فيها بكثرة استعمال البراهين بشروطها على مَلَكة الإتقان والصواب في الحجج والاستدلالات، لأنها، وإن كانت غير وافية بمقصودهم، فهي أصحُّ ما عَلمناه من قوانين الأنظار، هذه ثمرة هذه الصناعة، مع الاطلاع على مذاهب أهل العلم وآرائهم ومضارها ما علمت. فليكن الناظر فيها متحرزًا جهده من معطبها، وليكن نظر من ينظر فيها بعد الامتلاء من الشرعيات، والاطلاع على التفسير والفقه، ولا يُكبَّنَّ أحد عليها وهو خلو من علوم الملّة، فَقَلَّ أن يَسْلم لذلك من معاطبها» (١٦)، ومما لا ريب فيه أن تأصيل علم الفقه الإسلامي على يدي الإمام الشافعي (١٥٠ ـ ٢٠٤هـ) في وقت مبكر من تاريخنا الإسلامي قد ساهم مساهمة كبيرة في حماية الدين من الأفكار الفلسفية المنحرفة التي لم يسلم منها دين آخر قبل الإسلام.

إلا أننا ـ مع كل ما قدمناه عن الفلسفة وأهلها ـ لا مندوحة لنا من الاعتراف بأن للأفكار الفلسفية سحرًا خاصًا، عجيبًا، آسرًا للنفوس التواقة للتأمل والمعرفة،

الفلسفة من أبرز الإبداعات الفكرية التي أبدعها الإنسان عبر تاريخه، إلى جانب الأدب وضروب الفنون الأخرى، إلا أن الفلسفة ظلت تفتقد إلى تلك الأساليب التعبيرية البليغة المشرقة

رسم يوضح سقراط لحظة تناوله السم



وهذا ما يجعل النزوع إلى الفلسفة علة عصية قَلَّ أن يبرأ منها واحد من أهل الفكر والنظر، وليس من النادر أن تسيطر بعض الأفكار الفلسفية على بعضهم إلى الدرجة التي جعلت الفيلسوف الشاعر (محمد إقبال) يناجي ربه بضراعة يقول: «يا ربّ .. إمَّا أن تُرسل لي من يَفْهَمُ عَلَيَّ، أو أن تَنْزِعَ هذه الأفكارَ من رأسي»!

وهكذا نجد أن عامة الفلاسفة يعيشون الحياة وهم يتحسسون نبضها، ويتفكرون بتفاصيلها، باحثين عن العلة في ذلك كله، بينما نجد عامة الناس سادرين في سفاسف الأمور، يسعون جاهدين إلى اقتناص شهوة عابرة أو نزوة هابطة، غير عابئين بشيء مما يجري حولهم، ولا مكترثين بالمستقبل الذي لا يكفُّ عن مفاجآته المحزنة، ولهذه الأسباب نجد عامة الناس زاهدين بالفلسفة وأهلها ونظرياتها ومقولاتها، وهذا ما يجعل الفيلسوف عرضة

للوقوع بمأزق الانفصال عن الناس، أو انفصال الناس عنه خشية أن يصابوا بلوثة الفلسفة التي ساءت سمعتها كثيرًا من خلال مواقف بعض الفلاسفة من الدين، تلك المواقف التي تركت انطباعًا قويًا عند عامة الناس بأن الفلسفة هي قرين الإلحاد والكفر، وهذه في الواقع فرية لا يجوز تعميمها، فقد شهد تاريخ الفلسفة الكثير من الفلاسفة المؤمنين، وتراثنا الفلسفي الإسلامي خير شاهد على ما نقول، فهو حافل بأسماء الفلاسفة المسلمين الذين اشتغلوا بالفلسفة، ولم يجدوا بينها وبين الدين ذلك التقابل الحاد، بل إن بعض فقهائنا الفلاسفة حاولوا التوفيق بين الدين والفلسفة، ومنهم الفيلسوف الفقيه الأندلسي أبو الوليد ابن رشد (١١٢٦- ١١٩٨م) الذي بلغ مرتبة عالية في العلوم الشرعية إلى جانب علو كعبه في الفلسفة، وقد تولى القضاء أكثر من مرة، وألّف كتابه «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» الذي يعد عمدة في الفقه، وألّف بالمقابل كتابه القيم «فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال» والحكمة هي الفلسفة، وقد عمل ابن رشد في هذا الكتاب على التوفيق بين الفلسفة والدين، وأشار إلى أن الشريعة الإسلامية قد حضّت على النظر العقلي وأوجبته، وأن الشريعة والفلسفة حقٌّ، وأن الحق لا يضادّ الحق، بل يؤيده، ويشهد له.

ونذكر من فقهائنا الذين اشتغلوا بالفلسفة أيضًا (ابن خلدون) الذي ناقش في (المقدمة) الكثير من المسائل الفلسفية، وجعل علم التاريخ فرعًا من الفلسفة، وكان فيلسوفًا فذًا بين الفلاسفة المسلمين وغير المسلمين، وما زال لكتابه الفريد (المقدمة) مكانة كبيرة عند دارسي الفلسفة والتاريخ والاجتماع إلى يومنا هذا.

وخلاصة القول ... إن الفلسفة والدين يلتقيان في الكثير من المسائل الجوهرية، ولكنهما يختلفان في بعض طرائق البرهان والنظر والنتائج، ولعل نقطة الالتباس الأساسية بينهما ظَنُّ بعض الفلاسفة أن الدين يقوم على الإيمان الغيبي، ولا يقيم وزنًا للبرهان العقلي، وهذه كما أثبتنا فرية غير صحيحة، فالقرآن الكريم حافل بالشواهد التي تدعو إلى البرهان العقلي، بل إن القرآن الكريم يعدّ التفكر العقلي بآيات الآفاق والأنفس هي الدليل على صدق الرسالة السماوية، كما قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آياتنا في الآفاقِ وفي أنفُسِهِمْ حتَّى يَتَبَيَّنَ لهم أنَّهُ الحَقُّ، أوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أنَّهُ على كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ فصلت:٥٣، وهذا خير شاهد على مكانة العقل والبرهان العقلي في الإسلام خاصة، وفي الأديان السماوية عامة.

تضافرت نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية وإجماع الفقهاء على أن العقل هو أساس التكليف الشرعي، وقد حفل القرآن الكريم بالكثير من الآيات التي تتوجه بالخطاب إلى (الذين يعقلون .. أولي الألباب ... الذين يتفكرون .. الذين يتدبرون..)

مأزق الفلسفة في عصر العلم

على الرغم من كل ما قدمناه عن الفلسفة وإسهاماتها العظيمة في إثراء الفكر البشري، وعلى الرغم من أنها كانت وما زالت ظاهرة فكرية بشرية متميزة لا غنى عنها في تطوير طرائق تفكيرنا، وإثارتها للأسئلة المدهشة الرائعة اللازمة لتحريض الفكر البشري على ارتياد العوالم البكر، فإن الفلسفة بعد هذا العطاء الغني الذي قدمته على مدار تاريخها يبدو أنها قد دخلت أخيرًا، ومنذ بداية عصر العلم


ابن رشد - قرطبة

الحديث، امتحانًا صعبًا قد تخرج منه بحالة مأساوية لتمسي مجرد ترف فكري غير قادر على تقديم أية إضافة حقيقية إلى العلم، فقد اتسعت الهوة كثيرًا بين العلماء والفلاسفة منذ مطلع القرن التاسع عشر (وبات العلماء ينظرون نظرة شك إلى تأملات الفلاسفة التي كثيرًا ما بدت لهم وقد أعوزتها الدقة في الصياغة، وأنها تدور حول قضايا عديمة الجدوى، ولا حلَّ لها، أما الفلاسفة فلم يعودوا - بالمقابل - يهتمون بالعلوم؛ لأن نتائجها كانت تبدو لهم محدودة، ولقد كان هذا التباعد ضارًا بكل من الفلاسفة والعلماء) (١٧).

إلا أن هذا المأزق ينبغي ألا ينسينا دور الفلسفة في بلورة كثير من المفاهيم العلمية عبر تاريخها الطويل، فقد كان للفلسفة دور لا ينكر بتحسين طرائق التفكير، وترسيخ قواعد المنطق العقلي، والحث على التفكر والبحث والنظر، مما كان له تأثير كبير في بلورة مفهوم العلم آخر المطاف، علمًا بأن تاريخ الفلسفة من جهة، وتاريخ العلم من جهة ثانية قد شهدا في البدايات فترة طويل كانت فيها المفاهيم العلمية والمفاهيم الفلسفية مختلطة بعضها ببعض، وبما أن المفاهيم الفلسفية قد تبلورت قبل أن تتبلور المفاهيم العلمية بوقت طويلة، فإن المنطق التاريخي يقتضي الاستنتاج بأن الفلسفة كانت المؤسس الحقيقي للعلم، وإذا أردنا الدقة التاريخية فإن التمايز بين العلم والفلسفة لم يبدأ إلا منذ فترة قريبة، أي منذ القرن العاشر الميلادي، عندما وضع العلماء المسلمون أسس المنهج العلمي التجريبي الذي أقصى من ساحة العلم المنطق الفلسفي الأرسطي الذي يقوم على البحث عن الحقائق في الأذهان والألفاظ، وأحلَّ محله منهج البحث عن الحقائق في الطبيعة والواقع من خلال الملاحظة والتجربة والبرهان.

ومن الغريب حقًا أن هذا الفصل بين الفلسفة والعلم لم يقم به العلماء وحدهم، بل ساهم فيه أيضًا نخبة من الفلاسفة الأفذاذ، في طليعتهم الفلاسفة المسلمون في الأندلس، من أمثال ابن رشد وابن خلدون ثم فلاسفة عصر النهضة والتنوير في أوربا، من أمثال الفيلسوف الإنجليزي فرانسيس بيكون (١٥٦١ـ ١٦٢٦م) الذي دعا إلى استقلال العلم عن الفلسفة استقلالاً تامًا، وقال بضرورة تبني المنهج العلمي التجريبي الذي وضعه المسلمون، وركز في أهمية التطبيق العلمي في أي علم، وإلا فلا يسمى العلم علمًا في اعتقاده، ثم الفيلسوف الرياضي الفرنسي ديكارت (١٥٩٦ـ١٦٥٠م) الذي ركّز في أهمية المفاهيم الرياضية في ميدان العلم على أساس أن العلم الرياضي هو أدق العلوم، وتتلخص فلسفته في ثلاثة أمور، هي: إيجاد علم يقيني، وتطبيق هذا العلم اليقيني تطبيقًا علميًا يمكّن البشر من تسخير الطبيعة، وتحديد العلاقة بين هذا العلم وبين الخالق عزَّ وجلَّ، وبهذه المبادئ وهذه الطريقة في منهج التفكير نبَّه هذان الفيلسوفان الأذهان إلى

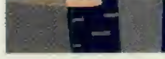
الجانبين اللذين أصبح العلم الحديث يرتكز عليهما خلال تطوراته التالية، وهما الملاحظة الأمينة للواقع، والقدرة على صياغة قوانين هذا الواقع بطريقة رياضية (١٨).

ومع تطور العلوم، ومع التنامي المتسارع للنزعة العلمية الحديثة التي لم تعد تقبل بأي فكرة إلا من خلال التجربة والبرهان والقوانين الرياضية الصارمة، حدث ما يشبه الزلزال في البنى الفلسفية القديمة، فراحت تنهار واحدة بعد الأخرى، وقد عبَّر بعض العلماء المعاصرين عن هذا المأزق الذي وصلت إليه الفلسفة مؤخرًا، ومن هؤلاء عالم الفلك البريطاني (ستيفن هوكنغ) الذي يعد من أعظم علماء الفيزياء النظرية في عصرنا الراهن، فقد كتب يقول: حتى الآن، كان معظم العلماء منهمكين في تطوير نظريات تصف ما هو الكون وتطرح السؤال: لماذا؟ في حين أن الفلاسفة الذين مهمتهم التساؤل «لماذا؟» لم يتمكنوا من مواكبة تقدم النظريات العلمية، فقد كان الفلاسفة في القرن الثامن عشر، يعدّون سائر المعرفة الإنسانية ، بما فيها العلوم، حقل اختصاصهم، ويناقشون أسئلة مثل: هل للكون بداية؟ إلا أن العلم في القرن التاسع عشر والقرن العشرين أصبح تقنيًا ورياضيًا إلي حد يفوق قدرة الفلاسفة وأي شخص آخر باستثناء قلة من المتخصصين، فخفف الفلاسفة من مدى تحرياتهم حتى قال ويتجنشتاين Witt-genstien أشهر فلاسفة هذا العصر: «إن المهمة الوحيدة الباقية للفلسفة هي تحليل اللغة .. فأي انحدار هذا للأعراف الفلسفية العظيمة، من أرسطو إلى كانت !؟».

المراجع والهوامش

١. د. فاخر عاقل، معجم العلوم النفسية، ص٢٨٧، دار الرائد العربي، بيروت ١٩٨٨م.
٢. الموسوعة العربية الميسرة، ص ١٣١٠.
٣. جيم هانكنسون، المرشد إلى الفلسفة، ص٥، ترجمة جورج خوري، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٩٠م.
٤. د. محمد عابد الجابري، مدخل إلى فلسفة العلوم، ص ١٢٠ و١٢١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩٨م، وانظر: د. عبدالرحمن بدوي (موسوعة الفلسفة) ٢/٤٠٧ و٤٣٩، والموسوعة العربية الميسرة، ص ١٣١٠.
٥. انظر المصادر السابقة.
٦. جيم هانكنسون: المرشد إلى الفلسفة، ص٥ و٦(بتصرف).
٧. من رواية (زوربا) للكاتب اليوناني نيكوس كازنتزاكس، ترجمة جورج طرابيشي، ط١٩٦٦م.
٨. راسل جاكوبي، نهاية اليوتوبيا، ص ٢٠٤، ترجمة فاروق عبدالقادر، عالم المعرفة، العدد ٢٦٩، الكويت، ٢٠٠١م.
٩. المقدمة، ص ٤٦٦، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ٢٠٠٢م.
١٠. صحيفة الشرق الأوسط، العدد ٨٨٨٨، الأحد ٢٠ مارس ٢٠٠٣م، ص ١٤.
١١. أخرجه أبو داود ٤/٥٦٠ عزت عبيد دعاس، والحاكم ٢/٥٩ دار الكتاب العربي.
١٢. فرانك كلوز، النهاية .. الكوارث الكونية وأثرها في مسار الكون، ص ٢٤٤، ترجمة د. مصطفى إبراهيم فهمي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٤م.
١٣. فرانك كلوز، المصدر السابق، ص ٢٧٠.
١٤. ول ديورانت، قصة الفلسفة، ص ٤٢ و٤٣، مكتبة المعارف، بيروت، ط٤، ١٩٨٢م.
١٥. مسرحية (بانتظار غودو) تأليف الروائي المسرحي الإيرلندي صموئيل بيكيت (١٩٠٦ - ١٩٨٩م) اصطبغ أدبه بالنزعة العبثية، نال جائزة نوبل في الأدب عام ١٩٦٩م.
١٦. المقدمة، ص ٥١٧ و٥١٨.
١٧. فيليب فرانك، فلسفة العلم، ص٧، ترجمة د. علي علي ناصف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٣م.
١٨. انظر: د. فؤاد زكريا (التفكير العلمي)، ص١٧٤- ١٧٧، منشورات ذات السلاسل، ط٣، الكويت ١٩٨٨م.





من مناهج البحث الأدبي عند العرب

شلتاغ عبود

لندن ـ بريطانيا

المتتبع لمنهج البحث الأدبي عند النقاد ومؤرخي الأدب العربي لا يجد منهجًا واحدًا، بل يجد مناهج متعددة تمثل وجهات نظر مختلفة في التعامل مع الآثار الأدبية، وتدوين المعلومات عن حياة منتجيها، والظروف التي أحاطت بهم. ونحن لا نريد هنا أن نتحدث عن طرائق التوثيق والأصول المعتمدة لديهم، ولا عن المصادر وتنوعها عندهم، بل نريد الوقوف عند طرائق تعاملهم مع النصوص الأدبية وتذوقهم لها، ووسائلهم في فهم نفسية الأديب وظروفه.

وسنلاحظ أن هؤلاء النقاد والمؤرخين قد سلكوا سبلاً متعددة في فهم الظاهرة الأدبية وملابساتها.

طرائق فنية

ولعل أبرز هذه السبل، وأعظمها شأنًا فهمهم للأدب فهمًا فنيًا قائمًا على طبيعة الأدب وخصائصه، وبحثهم في الأدوات الفنية التي تعمل عملها في التأثير في المتلقي، وتسرع به إلى الاستجابة والانفعال. وقد غلبت هذه النظرة الفنية على كثير من الدراسات البلاغية والنقدية حتى لتستطيع القول:إن طرائق التعامل مع الأدب كانت طرائق فنية. وسنلاحظ ذلك في بيئات متعددة وفترات تاريخية دامت أزمانًا طويلة.

نلحظ هذا في فهم الجاحظ للشعر حين يقول: « ... وإنما الشعر صناعة، وضرب من النسج وجنس من التصوير» (١). فهو لا ينظر إلى معنى الشعر، ولا إلى شخصية قائله، بل ينظر إليه على أنه فن له طابعه الخاص، وهو صنعته القائمة على التصوير والبراعة في التخيل. فالجاحظ هو القائل قبل هذا: «والمعاني مطروحة في



الطريق يعرفها العجمي والعربي، والبدوي والكردي، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتمييز اللفظ وسهولته، وسهولة المخرج، وفي صحة الطبع وجودة السبك...» وذلك في رده على أبي عمرو بن العلاء الذي استحسن قول القائل:

لا تحسبنَّ الموتَ موتَ البلى

وإنما الموتُ سؤال الرجال

حيث نظر أبو العلاء إلى جانب المعنى والفكرة في هذا البيت أكثر من نظره إلى لفظه وصياغته وأسلوبه؛ لأن البيت - كما أحس الجاحظ - يخلو من الرونق والماء والحلاوة.

هذا الميل إلى الجمال الفني والصياغة اللغوية كان له جذور في الفهم العربي للشعر، فقد سئل الأصمعي: من أشعر الناس؟ فقال: «من يأتي إلى المعنى الخسيس فيجعله بلفظه كبيراً، وإلى الكبير فيجعله بلفظه خسيساً» (٢).

ثم تابع النقاد والمتذوقون للأدب الجاحظ في مقولته التي تؤكد جمال الصياغة أولاً قبل الفكرة والمضمون. نجد هذا في مواقف قدامة بن جعفر وأبي هلال العسكري وابن رشيق وابن سنان الخفاجي، إلا أننا لا نعْدم من أعطى للمعنى الأهمية الأولى، وعدّ الصياغة



الرازي

تابعة له، فخير الشعر - عند هؤلاء النقاد - ما كان وعاءً لحكمة، أو فكرة أخلاقية، أو مضمون مستجاد.

الفن للفن

وهذا ما يظهر على رأي ابن قتيبة وتقسيمه المشهور لأضرب الشعر وأنواعه (٣).

إن هذه النظرة الجمالية الفنية التي غلبت على نقاد الشعر العرب ومتذوقيه أوقعت تاريخ الفهم الأدبي في مأزق كان له انعكاس سلبي على أخلاقية الأدب ووظيفته في الحياة. فحين يقول قدامة بن جعفر: «لا ضيرَ على الشاعر فيما يسوق من معان، رفيعة كانت أم وضيعة، وحميدة كانت أم ذميمة، وحقًا كانت أم كذبًا، ذلك أن المعاني كالمادة للشعر، والشعر فيه كالصورة» (٤)، بل إنه لا يضير هذا الشعر أن يرمي المحصنات بالباطل، ويفتئت على الحق بالزور، والبهتان!!. حين يعرض هذا الفهم على الحياة، وما يقتضيه النشاط الإنساني فيها على اختلاف أنواعه، وطبيعته، يكون الفهم العربي أو جانب منه - على الأصح - قد سبق الفهم الأوربي الحديث في نظرية الفن للفن وعزل الفن عن الحياة، أو جعله هدفًا في ذاته. وهو سبق قد لا يجعل للفهم العربي أفضلية أو ميزة، بقدر ما يصور لنا حساسية الذوق العربي، ووقوفه عند عناصر الجمال الفني.

تعادلية

ويهمنا في هذا المجال كيف يقف منهج البحث الأدبي عند زاوية واحدة من العمل الأدبي، ولا يغوص في جوانبه الأخرى التي تساهم في فهم هذا العمل وتفسر أبعاده، إذ العمل الأدبي كل متكامل مرتبط بالكيان الإنساني المتعدد الجوانب بما فيه من ذوق وإحساس بالجمال وتعبير عن هدف معين أو فكرة معينة ترصد مظاهر الحياة، أو تشترك في بنائها.

ولعلنا نجد هذه التعادلية بين اللفظ والمعنى والنظر إلى العمل الأدبي نظرة موحدة تجانس بين اللفظ والمعنى لدى الناقد الكبير عبدالقاهر الجرجاني في نظريته عن النظم، بل إنه من أبرز من خفف من غلواء المقولة النقدية القديمة «أعذبُ الشعر أكذبه». حيث إن «الحق أوسع ميدانًا، وأجدر بتوجه الهمم إليه» (٥). وهذا ما كان يحتاج إليه الفهم والتقويم للعمل الأدبي في منهج البحث، إذ يكون للصدق في التجربة الفنية أهمية تفوق الحذلقة والتزييف والتعلق بالزخرفة القولية وما يترتب عليها من إفراغ الأدب من محتواه، وأبعاده عن وظيفته في تجميل الحياة أو بنائها.

وباستطاعتنا أن نتتبع مظاهر العناية بالفن الأدبي في

مناهج البحث الأدبي في غير ما أشرنا إليه في قضية اللفظ والمعنى التي بدا فيها الميل إلى عنصر الصياغة والجمال الفني واضحًا.

ومن هذه القضايا ذات الطابع الفني وقوف النقاد عند فكرة الطبقات، وهي فكرة تفاضل بين الشعراء على أساس مقدار تجويدهم الفني وبراعتهم في التصوير، وقدرتهم على الاستحواذ على قلب المتلقي ووجدانه.

طبقات الشعراء

وهذه الفكرة تواجهنا بشكل منهجي منظم عند ابن سلام الجمحي في كتابه «طبقات فحول الشعراء» الذي يعدّ من أقدم الكتب التي أُلّفت في هذا المجال، وهو يعكس اتجاهات النقد في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، وأوائل القرن الثالث، وهي اتجاهات كان يسيطر عليها فن القول ومهارته وقدرته التأثيرية.

لقد قسم الشعراء إلى عشر طبقات، تناول في كل طبقة أربعة من الشعراء، فشعراء الطبقة الأولى الأربعة من الجاهليين هم:امرؤ القيس، والنابغة والأعشى وزهير، ويليهم شعراء الطبقة الثانية وهكذا.. ثم ذكر طبقة أصحاب المراثي، وطبقة شعراء القرى العربية، وطبقة شعراء اليهود، ثم جعل شعراء الإسلام في عشر طبقات أخرى (٦).

ولقد كان لابن سلام مقاييس متعددة في هذا التفاضل بين الشعراء، وتقسيمهم إلى طبقات: أولى وثانية.. حتى العاشرة، منها: جودة شعر هؤلاء الشعراء مما يجعلهم من درجة (الفحول)، وتشابههم في الخصائص الفنية مما يجعلهم في صف واحد أو طبقة واحدة. ومنها: كثرة شعر الشاعر، وتعدد أغراضه (٧). وهي مقاييس في أغلبها تنصب على التجويد الفني للشاعر، مما يجعل فكرة الطبقات قائمة على أساس التقويم الفني للأثر الأدبي، وهو التقويم الذي ظل ملازمًا للفهم العربي لمراحل طويلة من الزمن.



ابن سينا

ومنهج البحث الأدبي، كما يتجلّى لدى ابن سلام، في الوقت الذي يقف وقفات نقدية للنص الأدبي من حيث مادته اللغوية والتصويرية نجده يقف عند تحقيق النص، والتثبت من صحة نسبته إلى قائله. وهذا ما جعل ابن سلام يقف موقفه المعروف من ظاهرة انتحال الشعر في العصر الإسلامي، ويفسّر دواعي هذا الانتحال (٨).

وعمل كهذا يجعلنا أمام الأدوات المتعددة التي كان يتسلح بها الفهم الأدبي، فهي تذوق وتأريخ وتحقيق في الأصول والمصادر.

ومن مناهج النقاد التي نجد فيها مجلًى للفهم الفني للآثار الأدبية منهج كل من الآمدي في كتابه «الموازنة بين الطائيين»، والقاضي عبدالعزيز الجرجاني في كتابه



كتب تراثية

«الوساطة بين المتنبي وخصومه». فقد سلك كل منهما مسلكًا يقف عند النصوص، ويحللها، ويبين ما فيها من تجويد أو إخفاق، وهذا عمل فني خالص يتطلب من الناقد ثقافة وذوقًا يحتكم إليهما في الفهم والتقويم.

ولقد كان لكل منهما قدرته على استيعاب نظريات الشعر القديمة والوقوف عند آثار الشعر الجاهلي والإسلامي، وعرض الشعر المحدث سواء أكان في شعر أبي تمام أم في شعر المتنبي على تلك الآثار، وتبين ما كان لهذين الشاعرين من إضافة وتجويد (٩).

ولهذا يمكن فهم قضية السرقات التي عرض لها الناقدان على أساس أنها قضية فنية تظهر خلالها براعة الشاعر اللاحق في صياغة المعنى القديم بلغة جديدة وصورة حية. فإن مجرد صياغة المعنى القديم صياغة جديدة يكون قد ظهر خلقًا جديدًا إذا فهمنا أن المبنى الجديد لا يمكن أن يكون إطارًا ثابتًا للمعنى القديم.

صورة متكاملة

والناظر إلى نظرية عمود الشعر التي صاغها المرزوقي صياغة بارعة يجد الصورة المتكاملة لموقف النقد العربي والبحث الأدبي من أهمية البناء الفني للعمل الأدبي. فحديث المرزوقي عن عناصر عمود الشعر من مثل: جزالة اللفظ واستقامته، والإصابة في الوصف، والمقاربة في التشبيه، والتحام أجزاء النظم والتئامها على تخيّر من لذيذ الوزن، ومناسبة المستعار للمستعار له، ومشاكلة اللفظ وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما.. حديث يضعك أمام خصائص الفن الشعري في اللغة والخيال والموسيقا، وإن لم يُهمل المعنى والعاطفة إلا أنهما يأتيان مكملين للعناصر الأساسية للشعر كما حدّدها عمود الشعر (١٠).

إن التملي في الأبعاد الفنية للآثار الأدبية لا نجده في كتب النقد المتخصصة فحسب، بل يتعدى هذا إلى مناهج

التأليف الأدبي كافة على تفاوت في عمق هذا التملي وخصبه. فكتب الموسوعات الأدبية التي نأخذ الأغاني لأبي فرج الأصبهاني مثالاً لها لا نعدم فيها الوقوف عند خصائص الشاعر ومدرسته الفنية. انظر مثلاً، حديث أبي الفرج عن الشاعر العباسي أبي العتاهية بعد أن ذكر طرفًا من حياته ونشأته وبيئته: «... وكان غزير البحر، لطيف المعاني، سهل الألفاظ، كثير الافتتان، قليل التكلف إلا أنه كثير الساقط المرذول مع ذلك» (١١).

وكتاب موسوعي للتراجم التي لا تقف عند الأدباء وحدهم، بل تترجم للمفكرين والفلاسفة والفقهاء والعلماء من مثل كتاب «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان مما ثبت بالنقل أو السماع أو أثبته العيان لابن خلكان المتوفى سنة ٦٨١هـ، نجد فيه وقفات متأنية في بيان خصائص الأدباء وطوابع مؤلفاتهم. فهو عندما يتحدث عن عمرو بن مسعدة الكاتب المتوفى سنة (٢١٧هـ)، يقول عنه: «كان كاتبًا بليغًا جزل العبارة وجيزها، سديد المقاصد والمعاني» (١٢). إلى غير ذلك من الأحكام المتعلقة بطبقة الأديب ومنزلته الفنيّة.

مثل هذه الوقفات الفنية لا تعد أمرًا غريبًا في منهج بحث يُعنى بالآثار الأدبية، فيوجه اهتمامه إلى طبيعتها وخصائصها، ولكننا أردنا أن ندل على مقدار العناية التي وجهت إلى المنهج الفني في البحث الأدبي عند العرب.

الجاحظ لا ينظر إلى معنى الشعر، ولا إلى شخصية قائله، بل ينظر إليه على أنه فن له طابعه الخاص، وهو صنعته القائمة على التصوير والبراعة في التخيل

منهج علمي

وإذا كان للمنهج الفني خطره هذا في البحث الأدبي عند العرب، فإن للمنهج العلمي مظاهره المتعددة في هذا البحث، نلحظه في ذلك التوثيق والإسناد الدقيق للخبر الأدبي شأنه شأن الحديث النبوي الذي لا يدوّن إلا إذا عُرفت السلسلة التي روته من الرواة حتى تنتهي إلى أول راوية أو صحابي سمع الحديث من الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة (١٣)، وهذا ما نلحظه في كثير من كتب الأدب والنقد في القرن الثالث والرابع خاصة، حيث لا بد من التثبت من صحة الخبر وإخضاع صاحبه للجرح والتعديل مثلما يفعل مع راوي النص الديني.

والجانب العلمي من المنهج التاريخي نجده في تصنيف الشعراء على أساس الزمان والمكان. وهذا ما لاحظناه في كتاب طبقات الشعراء لابن سلام الجمحي. أما التقسيم على أساس الزمان فحديثه عن طبقات الشعراء الجاهليين، وطبقات الشعراء الإسلاميين. وأما تقسيم الشعراء على أساس المكان فحديثه عن شعراء المدينة ومكة والطائف والبحرين، وشعراء يهود المدينة وكأنه «يريد أن يوضح أثر البيئة في الشعر، وأن يقرّر أن البيئات الجاهلية ليست كلها سواء في إنتاج الشعر» (١٤).. وهذا ما سنلاحظه فيما بعد عند الثعالبي في كتابه «يتيمة الدهر» الذي قسمه على حسب الأقاليم، فشعراء الشام وشعراء العراق، وشعراء الجبال، وشعراء فارس، وطبرستان وخراسان وما وراء النهر.. وقد علل علو كعب الشعراء في الشام على نظرائهم في العراق «بقربهم من خطط العرب، ولا سيما أهل الحجاز، وبعدهم عن بلاد العجمة، وسلامة ألسنتهم من الفساد العارض لألسنة أهل العراق لمجاورة الفرس والنبط، وبجمعهم بين فصاحة البداوة وحلاوة الحضارة، وبوجود أمراء شغوفين بالأدب يحبّون الشعر ويتذوقونه» (١٥).

وبهذا يكون ابن سلام الجُمحي وأبو منصور الثعالبي قد

صورتان لابن خلدون





سبقا كلاً من سانت بيف (١٨٠٤ ـ ١٨٦٩م) وإيبولت تين (١٨٢٨ ـ ١٨٩٣م) في تأكيدهما أهمية البيئة والزمان والجنس في إنتاج الأثر الأدبي، وإن كان هناك فارق في الدرجة بين تأثير البيئة لدى النقاد العرب، وتأثيرها لدى هذين الناقدين الفرنسيين، كما سنلاحظ.

وهذا المنهج التأريخي بما له من بعد علمي نجده في رصد النقاد والباحثين العرب القدامى تطور الذوق الأدبي باختلاف الأزمنة التي يعيشها الشعراء. يقول ابن عبد ربه « .. ثم إني رأيت آخر كل طبقة، وواضعي كل حكمة، ومؤلفي كل أدب أعذب ألفاظًا، وأسهل أبنية، وأحكم مذهبًا، وأوضح طريقة من الأول؛ لأنه ناكص متعقب، والأول بادئ متقدم» (١٦).

ويقول ابن رشيق القيرواني: «قد تختلف المقامات والأزمنة والبلاد فيحسن في وقت ما لا يحسن في آخر، ويستحسن عند أهل بلد ما لا يستحسن عند أهل بلد غيره» (١٧).

ولعل أبرز جانب من جوانب المنهج العلمي في مجال البحث الأدبي عند العرب هو اعتمادهم على منهج الاستقراء الذي يجمع الجزئيات المتعلقة بالنصوص الأدبية لينتهي إلى إصدار الحكم الكلي على آثار الشاعر أو الأديب، ليكون الحكم أقرب إلى الصدق والموضوعية، بخلاف المنهج الاستنباطي الذي يبدأ بإصدار الحكم الكلي قبل استقراء الجزئيات المتعلقة بالموضوع. وهو منهج يناسب الرياضيات أكثر من العلوم الإنسانية، والبحث الأدبي جزء من هذه العلوم (١٨).

ومن المعلوم أن الأبحاث اللغوية والنحوية والفقهية في تاريخ الحضارة الإسلامية قد عوَّلت على المنهج الاستقرائي، فكان لها أن تطورت تطورًا هائلاً، وما كان لها أن تتبوأ هذه الصدارة لو أنها اعتمدت على القياس الأرسطي وحده.

وأخيرًا نجد التجرد والموضوعية أعظم ظاهرة علمية في مناهج البحث الأدبي عند قدمائنا، فقد كانوا يتورعون ويتحرزون في إصدار الأحكام، فكأنهم قضاة عدول بعيدون عن التحيز لفرد دون آخر، أو لطبقة دون أخرى. فهذا ابن قتيبة لا يتعصب ضد القديم، ولا يرى له قداسة لكونه قيل في زمان سابق، إذ يقول: «ولم أسلك فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختارًا له سبيل من قلد أو استحسن باستحسان غيره، ولا نظرتُ إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه، وإلى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره، بل نظرتُ بعين العدل على الفريقين، وأُعطيت كلاً حظه، ووفرت عليه حقه» (١٩).

وبمثل هذه الموضوعية يواجهك الآمدي في موازنته بين شعر أبي تمام وشعر البحتري، كما يواجهك القاضي الجرجاني في الانتصاف لشعر المتنبي والردّ على خصومه بروح تعطي لكل من المتخاصمين فرصته في عرض آرائه، ثم تحكم على حجته بالحق والعدل، وعلى أسس علمية تقتضيها طبيعة الموضوع أو العلم.

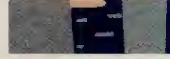
وبهذا نكون قد رصدنا بعض الآراء النقدية والآليات التي تعامل بها البحث الأدبي عند العرب مع الآثار الأدبية. وسنجد لها شبهًا بكثير من المناهج الحديثة، وهذا يستدعي وقفة مقارنة منصفة.

المراجع والهوامش

١- الحيوان، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، مطبعة الحلبي، القاهرة، ط٢، ١٩٦٥م، تحقيق عبدالسلام هارون، جـ٢، ص١٣١.
٢- قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، د. محمد زكي العشماوي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ب ط، ص٢٥٢.
٣- تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د. عبدالعزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، ط٣، ١٣٩٣هـ/١٩٧٤م، ص٢٨٠.
٤- قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، ص٢٦٤.
٥- النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر، القاهرة ١٩٧٧م، ب ط، ص٢٢١.
٦- ينظر طبقات الشعراء، دار النهضة العربية، بيروت، ب ط، ب ت، مصوّر عن مطبعة بريل بمدينة ليدن - ألمانيا، ١٩١٣م، ص١٥.
٧- النقد المنهجي عند العرب، د. محمد مندور، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٢م، ب ط، ص٢٠.
٨- تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د. عبدالعزيز عتيق، ص ٢٦٥.
٩- ينظر نظرية الشعر العربي من خلال نقد المتنبي في القرن الرابع، محيي الدين صبحي، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ط١، ١٩٨١م، ص١١٢، فصل (السرق عند الجرجاني).
١٠- تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د. إحسان عباس، دار الشروق، بيروت، ط١، ١٩٨٦م، ص٤٠٤، وينظر مقال بعنوان (نظرية عمود الشعر في النقد العربي، مقدماتها وملامحها) للدكتور شلتاغ عبود، مجلة جامعة سبها، ع٢، جـ ١، ١٩٩٥م.
١١- البحث الأدبي، د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط٦، ١٩٨٦م، ص٨٢.
١٢- منهج البحث الأدبي عند ابن خلكان، فخر الدين محمد يوسف عامر، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ط١، ١٩٩١م، ص٣٧، والوفيات جـ٦، ص ٤٧٥.
١٣- البحث الأدبي، د. شوقي ضيف، ص١٦٠، وما بعدها.
١٤- تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د. عبدالعزيز عتيق، ص ٢٨٤.
١٥- تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د. إحسان عباس، ص٣٧٤، واليتيمة، جـ١، ص٢٤. والدكتور عباس لا يرى أن الثعالبي فعل ذلك إدراكًا منه لخطورة البيئة وأثرها في الإنتاج الأدبي، ولكن لسهولة التقسيم على أساس الأقاليم. ولا أعتقد أن هذا الرأي مصيب.
١٦- مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، د. روزنتال، ترجمة د. أنيس فريحة، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ط٤، ١٩٨٢م، ص١٨٨. والعقد الفريد جـ ١، ص٢.
١٧- مناهج العلماء المسلمين، ص١٨٥، والعمدة لصناعة الشعر وآدابه ونقده، جـ ١، ص٥٨.
١٨- البحث الأدبي، د. شوقي ضيف، ص٨٠.
١٩- تاريخ النقد الأدبي عند العرب، د. عبدالعزيز عتيق، ص ٢٧٨، و (الشعر والشعراء) المقدمة، ص٣ من طبعة بريل في مدينة ليدن بألمانيا، عام ١٩٠٢م.



أعــــلام



معركة أنوال

وبطلها محمد عبد الكريم الخطابي

محمد القاضي

طنجة ـ المغرب

كان سقوط الأندلس وتردي أحوالها في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي حافزًا على قدوم الأسطول الإسباني من مدينة (طريفة وجبل طارق) للتسرب إلى مدينة مليلة المغربية، فكانت أول هدف رسمه الإسبان للنيل من الوحدة الترابية للمغرب.

وتكفل بذلك القائد (بيدرودي إيسطو بينيان) الذي نال لقب دوق مدينة «سيدو نيا» والذي قاد جيشًا تعداده خمسمئة جندي وذلك في ١٧سبتمبر/ أيلول ١٤٩٧م، وما إن نزل الجنود الإسبان بالمدينة حتى بدأ المغاربة سلسلة من المحاولات لاسترجاعها دون أن يكتب لها النجاح أبدًا، وقد ضرب الحصار على المدينة بصفة تكاد مستمرة خلال ما يزيد على أربعة قرون.

الاحتلال الإسباني لشمال المغرب

وفي عام ١٥٠٨م استولى الإسبان على جزيرة بادس على ساحل الريف الأوسط. كما انتزعوا مدينة سبتة من البرتغاليين عام ١٦٤٠م، وبهذا يكون الإسبان قد وضعوا أقدامهم على عتبة الباب، ولكنهم لم ينجحوا قط في توسيع موطئ أقدامهم الضيق، فكانوا يندفعون في انتشارهم إلى أقطار شمال إفريقية من تونس إلى الشواطئ الأطلسية، واهتمت الأوساط العسكرية الإسبانية باستعمال المواقع التي تحتلها كسبتة ومليلة بجعلها مناطق للانتشار في الأرض المغربية، فاحتلوا جزر كبدانة (قرب مليلة) عام ١٨٤٨م، ولكن قبائل (قلعية الريفية) ظلت



تجاهد وتقلق راحة المستعمرة الإسباني، حتى لا يطمئن على ما بيده ولا يستكين، وزاد الجهاد حِدَّةً ونفوذًا، وفي عام ١٨٩٣م، نشبت الحرب المعروفة (بحرب مليلة) التي كانت بداية مرحلة جديدة في تاريخ المدينة اقترنت بتطورها ونموها، وفي السنة التاسعة من القرن العشرين ١٩٠٩م، هاجم أهل الريف أحواز مليلة والخط الحديدي الذي مده الإسبانيون لحمل ما يستخرجونه من مناجم الحديد لتصديره من مينائها المهم، فقد أثارت المغامرة الإسبانية حمية القبائل ضد الغزاة، وشدّت عليهم الخناق، ووقفت بالمرصاد لأي محاولة ترمي إلى توسيع الجيوب المحتلة في الواجهة المتوسطة والاستيلاء على الأراضي القريبة منها، موجهة ضربات قوية لخطط القادة العسكريين المحنكين الذين اصطدموا بالمقاومة الريفية التي بلغت في تلك الظروف الحرجة ذروتها، وتكبدّوا على أيديها خسائر فادحة. وفي هذه الظروف وقعت «أحداث برشلونة» يوليو/ تموز، أغسطس/آب ١٩٠٩م. أو ما يسمى عند المؤرخين الإسبان بالأسبوع المأسوي بمدينة برشلونة. فقد انفجرت تلك الأحداث بسبب توجيه مزيد من القوات

الإسبانية إلى الريف لقمع الانتفاضات المتوالية لسكان المنطقة، وعبر الشعب الإسباني بالمناسبة عن معارضته للتدخل في المغرب إذ وجه التجمع الجمهوري - الاشتراكي نداءً وقعه نخبة من المثقفين والسياسيين من بينهم الزعيم الحزبي بابلو إيغليسياس والأديب الكبير بينيتو بيريث كالدوس، يقول النداء: «إننا نصر على رفض التدخل العسكري الإسباني في المغرب، وإذ نؤكد ذلك نعدّ أنفسنا متحدثين بلسان ليس هو لسان الحزبيين: الجمهوري والاشتراكي فقط، بل هو لسان الأغلبية الواسعة للمجتمع الإسباني، ونؤكد أن الاتفاقيات العمومية ليس فيها ما يلزم الحكومات الإسبانية بإعاقة هذه الإدارة الصارخة للشعب الإسباني».(١) وفي غمرة كل ذلك جاء نداء الحكومة لاحتياطي الجيش لإرساله إلى المغرب، فنظمت النساء بمدريد عملية اعتصام، ونِمْنَ على القضبان الحديدية ليعرقلن القطارات المحملة بالجنود الاحتياطيين عن السير نحو برشلونة. ومع استمرار الاحتلال الإسباني للجيوب المغربية المتوسطية ومحاولة السيطرة على باقي المناطق الريفية بعد معاهدة الحماية عام ١٩١٢م. كانت المقاومة الريفية الرافضة للاحتلال دائمًا على أهبة الاستعداد للمواجهة، إلى أن ظهر البطل محمد بن عبدالكريم الخطابي الذي ألحق بالإسبان أكبر هزيمة منوا بها طوال احتلالهم لمليلة وذلك في معركة أنوال عام ١٩٢١م، حيث لقنهم درسًا لم ينسوه أبدًا، وقد أطلق المؤرخون الإسبان (كارثة أنوال Desastre de Anual) إنها أفدح هزيمة شهدها الجيش الإسباني على تراب المغرب على اختلاف عصور وجوده بهذه الديار.

محمد عبدالكريم الخطابي زعيم القبائل الريفية

ولد محمد عبدالكريم الخطابي عام ١٨٨٢م، بقرية أجدير الواقعة في (بني ورياغل) إحدى قبائل الريف



محمد عبد الكريم الخطابي

الشهيرة، كان أبوه من الرؤساء المرموقين في الريف، فرباه تربية إسلامية.

وبعد أن حفظ القرآن الكريم تلقى مبادئ الدين واللغة العربية في قريته، أرسله والده إلى مدينة فاس العاصمة العلمية، حيث التحق بجامعة القرويين قصد تعميق المعارف التي تلقاها في قبيلته، وبعد ثلاث سنوات رجع إلى مسقط رأسه وقد تسلح بالفكر السلفي وتبحر في العلوم الفقهية واللغوية.

وبعد ذلك التحق بمدينة مليلة ليشتغل بالتدريس



الخطابي في شبابه

أولا ثم بالقضاء الشرعي، يقول العقيد الإسباني رامون شانشيت دياث عن حياة محمد عبدالكريم الخطابي الإدارية بمليلة (١٩٠٧ - ١٩١٤م) استنادًا إلى مادة وثائقية غزيرة ما يأتي: « كان ذا عقل ثاقب، وذكاء حاد، ومنطق صارم، وإدراك حصيف، وحدس سليم، وبعد نظر فقد عرف في هذه الرحلة بآرائه السديدة وحنكه وفطنته، فقد فرض نفسه على القواد الإسبانيين، فكان صاحب مبادئ راسخة، ذا قدرة على التحليق في سماء المثل العليا، إذ اتخذها دليلاً لطموحه السياسي ووسيلة ناجعة للثورة على الجهل، فتسلح بنور الفكر الإسلامي وثقافة العصر» (٢).

وقد مكنته إقامته بمليلة فعلاً من تعّرف خبايا السياسة الإسبانية، ومن خلال احتكاكه بالموظفين الإسبان استطاع أن يسبر غور النوايا الاستعمارية تجاه منطقة الريف، فلم يكن ينظر بعين الارتياح إلى مطامح الإسبان الرامية إلى احتلال جزء من بلاده، ولم تخنه الشجاعة يومًا في مواجهة رجال السلطة الإسبانية بموقفه الوطني ضد أي احتلال عسكري أو سياسي لبلاده.

وفي عام ١٩١٥م، أدت به جرأته وشجاعته إلى المثول أمام المحكمة العسكرية بتهمة التعاطف مع الدولة العثمانية من الحلفاء. وقبل أن يوصد الحراس باب الزنزانة بسجن مليلة، اقترب منه أحد الجنرالات وهمس في أذنه: عبدالكريم إن سبب اعتقالك هو معارضة والدك لسياستنا في الريف، فقد كان والده يتقاسم الزعامة في هذه المنطقة مع المجاهد محمد أمزيان الذي نازل قوات الإسبان عام ١٩٠٩م، ويعد العدة للوقوف في وجه أي هجوم أو توغل عسكري، وخصوصًا بعد إبرام معاهدة الحماية المفروضة على البلاد ١٢ مارس/ آذار ١٩١٢م، والتي أتاحت للإسبان احتلال الجزء الشمالي من المغرب .

غامر محمد عبدالكريم الخطابي بنفسه وتدلى من أعلى جدار السجن بواسطة حبل لم يكن يعلم أنه قصير إلا حينما اكتشف عمق البعد الذي يفصله عن الأرض، وبقي معلقًا في الفضاء ليلة اتسمت بعواصف عاتية وألقى بنفسه على الأرض وكُسرت رجله اليسرى وتهشم رأسه، وأغمي عليه، وتعذر على مساعديه حمله في تلك الحالة، وسارعوا إلى إعلام حراس السجن بما حدث.

لم تمض مدة طويلة على إطلاق سراحه ورجوعه إلى (أجدير) حين توفي والده في سبتمبر/ أيلول ١٩٢٠م، وظل هو وأخوه محمد الذي تابع دروسًا في الهندسة



الخطابي واثنان من أعوانه في اجتماع

بإسبانيا، وعمهما عبدالسلام، يكّونون الثلاثي الذي كُلف مهمة جمع شمل العشائر ووضع حد للضغائن الدموية التي كانت تفرق بينهما، وتوحيد كلمة رؤساء القبائل وتنظيم الفلاحين لمواجهة الغزو الإسباني، لأنهم لا يستطيعون أن يتحاربوا ويحاربوا العدو المشترك في وقت واحد، ولم يكن مؤتمر رؤساء القبائل في مكان يدعى (القامتْ) بتمسمان (إقليم الناظور حاليًا) سوى تتويج لمجهودات مضنية استغرقت شهورًا كاملة، وتعاهد الجميع على تنظيم المقاومة واعترفوا بالقيادة الفعلية لمحمد عبدالكريم الخطابي.

الاحتلال الإسباني والمقاومة الريفية

حظيت الحروب الريفية التي ترأسها محمد عبدالكريم الخطابي من فاتح يوليو/ تموز ١٩٢١م إلى ٢٧ مايو/أيار ١٩٢٦م، باهتمام المؤرخين المغاربة والأجانب، لأنه لم يسبق لأي مستعمر في أي زمان ومكان أن ذاق هزيمة تماثل هزيمة الجيش الإسباني على يد المغاربة في معركة أنوال الخالدة، كما أنه لم يسجل تاريخ أي مقاومة مسلحة في أي بلد ولا في أي وقت من الأوقات انتصارًا باهرًا يماثل الانتصار الذي أحرزه المجاهدون ضد دولة استعمارية هي دولة إسبانيا في معركة أنوال الفاصلة،


جبل طارق


الجنرال سيلفستري قائد القوات المتقدمة

وهو ما أدهش العالم كله، لأن الانتصار كان على يد جماعة من المغاربة لا «يفوق عددهم ألف رجل أمام جيش لا يقل عدده عن ثلاثين ألف جندي، زيادة على الإمكانات المادية المتوافرة لهذا الجيش. والربائد الإسبانية تزخر بمئات الوثائق السرية التي تشهد بالأعمال البطولية الخالدة التي قام بها المغاربة في هذه الملحمة العظيمة دفاعًا عن دينهم ووطنهم» (٣).

كان بطل المعركة المجاهد محمد عبدالكريم الخطابي الذي زعزع أركان الاستعمار في العالم الإسلامي، معركة فريدة في التاريخ العسكري لدرجة أن المقيم العام الإسباني بالمغرب الجنرال بيرينكير وصفها قائلاً: هذه هي أعظم كارثة عسكرية عرفتها إسبانيا في تاريخها (تصريح أدلى به بمليلة يوم ٢٤ يوليو/ تموز ١٩٢١م).

امتازت حركة محمد عبدالكريم الخطابي بميزتين أساسيتين هما:

أولاً: العمل التحريري المسلح الرامي إلى الوقوف في وجه الاحتلال الأجنبي ورد عاديته وتخليص البلاد منه.

ثانيًا: الدعوة الإصلاحية المستندة إلى تعاليم الإسلام الخالصة من شوائب الجمود، مع الأخذ بأسباب التقدم

العصري ووسائل المدنية الحديثة دون تفريط في مزايا المجتمع الإسلامي الروحية والفكرية.

وبهذا استطاع محمد عبدالكريم الخطابي أن يجمع بين الزعامة العسكرية وخصائص الرجل المصلح. تولى بمهارة قيادة الجيش في المعارك التي خاضها ضد قوات الاحتلال الإسباني والفرنسي طوال مدة خمسة أعوام (١٩٢١- ١٩٢٦م) (٤).

محمد عبدالكريم الخطابي والجنرال سيلفستري: وجهًا لوجه

كان الإسبان يقدرون جسامة المهمة التي يقدمون عليها، ولهذا ظلوا مدة طويلة يبذلون جهودًا سياسية وعسكرية باهظة الثمن في الأموال والرجال لبسط نفوذهم على المناطق المتروكة لهم بمقتضى اتفاقية فرنسا. فما بين عام ١٩١٢م حتى ١٩٢١م، وهو موعد انطلاق الثورة التي قادها محمد عبدالكريم الخطابي، لم يكن الإسبان قد تقدموا في الناحية الشرقية من منطقة الحماية سوى ١٣٠ كم غرب مدينة مليلة، وهذا كل ما أنجزوه من الناحية العسكرية طوال عشرة أعوام، فكانوا يتقدمون ببطء وحذر وبصعوبة شديدة بسبب المقاومة الشعبية القوية التي كانوا يلقونها. وخصوصًا أنهم كانوا يقدرون الصعاب التي هم مقدمون عليها وذلك لخبرتهم بالمنطقة منذ حرب الريف الأولى التي قادها محمد أمزيان عام ١٩٠٩م، والتي ذاقوا فيها الأمرين.

واستطاعوا في عام ١٩٢١م، أن يجمعوا نحو ٢٥,٧٠٠ رجل، منهم نحو ٥١٠٠ من المجندين الأهالي، في مواقع منتشرة بين قبائل الدريوش وبويميان وأنوال).

ولم يتمكن قائد القوات المتقدمة الجنرال سيلفستري من فهم حركة محمد عبدالكريم الخطابي ببعدها الوطني وزعامتها الناضجة وطاقتها النضالية، واعتقد أن تحطيم تلك الحركة في متناول يده. وكان الجنرال سيلفستري قد خلف الجنرال أثبورو في القيادة العليا لجيش الاحتلال الإسباني بناحية مليلة عام ١٩٢٠م، وقد تميز هذا الجنرال بقوة الشخصية العنيدة وشدة الشكيمة، فنظر إلى الريف نظرة كلها تطلع إلى فرض سيطرته المطلقة عليه، سالكًا سياسة جائرة حياله، متخذًا إجراءات رادعة ضده، فكان يتحين بدوره الفرصة للمسيرة نحو الساحل الريفي الأوسط، متعطشًا للحروب الاستعمارية بعد هزائمه في كوبا عام ١٨٩٨م. يقول عنه روبرت فورنو «لم يكن سيلفستري الشجاع والسريع التأثر المتهور حتى درجة الجنون يحتاج إلى أي تشجيع، إنه المخلص الذي سيحرر إسبانيا من متاعبها».

إن سيلفستري، نصف القشتالي ونصف الكوبي مولدًا، هو فتى العالم القديم وابن العالم الجديد، الجندي الذي سيقلب مصائر إسبانيا، العملاق الذي سيوقف مد الزمان، إنه الرجل الوحيد الذي يستطيع أن يغزو الريف ... وقد وقع عليه اختيار الملك الفونسو الثالث عشر الذي كان يحتقر حكومته، وينتظر بفارغ الصبر ذلك اليوم الذي سيزف له صديقه الجنرال سيلفستري خبر انتصاره على ابن

غامر محمد عبدالكريم الخطابي بنفسه، وتدلى من أعلى جدار السجن بواسطة حبل لم يكن يعلم أنه قصير إلا حينما اكتشف عمق البعد الذي يفصله عن الأرض، وبقي معلقًا في الفضاء ليلة اتسمت بعواصف عاتية

عبدالكريم في الحسيمة القريبة من قيادته.

وكانت رسالة الملك السرية له: «افعل كما أقول لك ولا تلق بالا إلى وزير الحربية الذي هو رجل أحمق!» (٥).

وبذلك يكون سيلفستري يعمل مستقلاً عن الجبهة الغربية التي يشرف عليها المقيم العام بتطوان (شمال المغرب)، ويتلقى الأوامر من الملك رأساً، كي يحقق الفخر لإسبانيا وللملك وللجيش، وينقذ شرف إسبانيا في المغرب.

وفي أوائل شهر مايو/أيار ١٩٢٠م، شرع الجنرال المذكور في اتخاذ الترتيبات اللازمة التي مكنته من احتلال عدة مراكز كان أهمها مركز (دار الدريوش) الذي كان في نظره تقدمًا لم يكلفه أي ثمن حسب ما جاء في البرقية الموجهة إلى إسبانيا.

والحقيقة هي أن الاحتلالات التي كان يقوم بها الجنرال في أول الأمر لم تكلف الجيش الإسباني أي تضحية، لأن الضحايا كانوا دائمًا في صفوف المغاربة العاملين تحت لواء إسبانيا، فلم يسقط جندي واحد من الإسبان(٦) ولكن في أوائل شهر يونيو/ حزيران بدأت تصل إلى الجنرال أخبار مفادها أن قبيلة (بني ورياغل) أصبحت تتحرك لأنها شعرت بالخطر الذي يهددها من جراء الزحف، ولم يعر الجنرال أي اهتمام للخبر واستمر

كانت المقاومة الريفية الرافضة للاحتلال دائمًا على أهبة الاستعداد للمواجهة. إلى أن ظهر البطل محمد بن عبدالكريم الخطابي الذي ألحق بالإسبان أكبر هزيمة منوا بها طوال احتلالهم لمليلة وذلك في معركة أنوال عام ١٩٢١م

في غيه مندفعًا في احتلال مناطق جديدة، إلى أن اقترب من (بني ورياغل) التي ظهر فيها الزعيم الخطابي، الذي أصبح الشخصية البارزة في المنطقة غير الخاضعة للنفوذ الإسباني، فقام بحفر الخنادق ونصب مدفعين كان قد حصل عليهما: واحدًا في مركز «بالقَامِث»، والآخر على الشاطئ الموالي لجزيرة الحسيمة، وأصدر أوامره بعدم القيام بالتجارة مع الجزيرة.

وفي ٣١ مايو/أيار ١٩٢١م، اتخذ الجنرال سيلفستري الترتيبات اللازمة استعدادًا للزحف نحو مركز «ظَهْرَ أُبَرانْ» بقبيلة تمسمان. وفي فاتح يونيو/ حزيران عند الساعة الثانية صباحًا خرجت من أنوال القوات الإسبانية متوجهة نحو المركز ليكونوا قريبين من مركز المجاهدين «بالقَامِث» بينما ظل الجنرال سيلفستري بأنوال.

وتمت عملية الاحتلال دون أن يتعرضوا لأي هجوم من طرف المجاهدين، وتم تحصينه ورجع الجيش الإسباني إلى أنوال بعد أن أبقى في المركز المذكور حامية تتكون من ثلاثمئة جندي يترأسهم قبطان. وما إن وصلت القوات الإسبانية إلى منتصف الطريق بين «ظهر أُبَرانْ» وأنوال حتى وجدت أمامها الحركة مستعدة للوقوف في وجهها للحيلولة دون السماح لها بالعودة إلى المركز الرئيس، فجرت معركة لم تسفر عن أي نتيجة. وعندئذ توجه المجاهدون بهجومهم نحو مركز «ظهر أُبَرانْ» فاقتحموه وقتلوا جميع من كان به من ضباط وجنود إلا عددًا قليلاً استطاع الهروب. واستولى المجاهدون على العتاد الحربي بأكمله، وتشهد الوثائق الإسبانية «أن الهجوم الذي قام به المجاهدون ضد المركز المذكور قاده الزعيم الخطابي بنفسه، وشعر سيلفستري أول مرة بالهزيمة في المغرب» (٧).

لقد كان استرجاع مركز «ظهر أُبَرانْ» من يد الجيش الإسباني هو الانتصار الأول الذي أحرزه محمد عبدالكريم



الخطابي في تحديه للجنرال سيلفستري، وفي خضم الحماسة الجماهيرية، والإحساس بنشوة الانتصار، انضمت قبائل جديدة إلى صفوف المقاومة، وكان على محمد عبدالكريم الخطابي أن يناضل في قلب المعركة ونقل مركزه الحربي إلى (إمزَّاوْرَو) وسط قبيلة تمسمان بعد أن قضى على الفرق العسكرية الإسبانية التي كانت تخيم فيه. وهكذا أصبح المكافحون على أبواب أنوال.

المعركة الفاصلة

كان أول عمل قام به سيلفستري بعد سقوط «ظهر أُبَرانْ» هو تعزيز المراكز الأمامية بوحدات عسكرية إضافية تفوق حاجيات كل مركز مما نتج منه مشكلات كثيرة أهمها مشكلة الإيواء، ولصعوبة تنقل قوافل التموين من مركز إلى مركز، أمرت الحكومة الإسبانية الجنرال سيلفستري بأن يقوم باحتلال أكبر عدد ممكن من مراكز الثانوية حتى يتمكن من القضاء على المشكلات، ولكن من دون جدوى.

يقول كاتب إسباني شاهد عيان (كامبا) «أصبحت قوافل التموين للمراكز الثانوية من مركز أنوال الرئيس تحتاج إلى خوض معارك دامية للوصول إلى مكانها لدرجة أن كل قطرة ماء كانت تصل إلى المراكز



أحد معالم مليلة المغربية

مثلاً كنا نؤدي ثمنها قطرة دم إسبانية» (٨).

استمرت المناوشات الحربية بين الإسبان والمجاهدين في مناطق مختلفة في الريف كانت أهمها معركة (إغْرِيبِنْ) الفاصلة التي انهزم فيها الإسبان، وعلى إثره أبرق الجنرال سيلفستري إلى المقيم العام يوم ٢١يونيو/حزيران ١٩٢١م، ما يأتي: «لقد قمت اليوم بالعملية التي أخبرتكم بها من أجل إغاثة (إغْرِيبِنْ) ولكن العدو حال دون ذلك على الرغم من أنني استعملت في تلك العملية جميع القوات التي توجد تحت تصرفي، وأخيرًا أصدرت أوامري بوجوب مغادرة المركز المذكور، فكانت عملية جلاء دامية، والآن أنا موجود بأنوال والثوار يحاصرونني من كل جهة، فالحالة خطيرة، بل جد خطيرة وسوف أحاول الخروج من هذا المأزق وإنني غير واثق من التمكن من ذلك لأن العدو استطاع قطع جميع المواصلات والمراكز المجاورة تلح عليَّ أن أقوم

للغة أيضاً دور كبير في تحديد هوية المجتمع وربطه بواقعه، ولقد عرف المستعمر ذلك منذ وقت مبكر، فحاول فصل المستولى عليهم عن لغاتهم التي تشكل نصوصها مجموع إرثهم الثقافي

بمساعدتها مع أني أحوج منها إلى المساعدة» (٩).

يتضح من البرقية المذكورة أن الجنرال كان على علم تام بالحالة الراهنة التي كان يوجد عليها وهو محاصر بأنوال فلم يستطع فك الحصار ولا أن يمد يد المساعدة إلى المراكز الأخرى، في الوقت الذي كان يعتمد فيه على جيش لا يقل عدده عن خمسة آلاف رجل. وكان يعتقد أن المجاهدين سوف يقتحمون عليه المركز حسب ما يتضح من البرقية الثانية التي وجهها إلى المقيم العام نفسه ليلة يوم ٢١ يوليو/تموز١٩٢١م، ولكنه لم يكن يعلم أي شيء عن خبرة الخطابي في (تكتيكية) الحرب، فقد أمر هذا الأخير رجاله بتشديد الحصار على أنوال والمراكز المجاورة له بدلاً من القيام بهجوم يكون الغرض منه اقتحام المركز الرئيس لعلمه بوجود الجنرال وجميع أركان حربه، وأنه لا وجود لمسؤول آخر في المراكز الخلفية يكون في وسعه القيام بمد يد المساعدة إلى رئيسه المحاصر، فالقضية قضية وقت والمراكز المحاصرة ساقطة لا محالة دون إلقاء المجاهدين إلى التهلكة، وهكذا وجد الجنرال نفسه في المصيدة التي نصبها له الزعيم الخطابي والتي كان يصعب التخلص منها بأي حال من الأحوال، فالمركز محاصر وأسلاك الهاتف مقطعة، فما العمل إذاً ؟!!، وفي يوم الخميس ٢١ يوليو/ تموز١٩٢١م، هجم العدو بجميع ما يملكه من القوة التي وردت عليه من إسبانيا وتطوان ورجال القبائل التي استحضرها المسماة بالحركة وتقدر هذه القوة بأربعين ألف جندي وعشرين ألف مقاتل من رجال القبائل (الحركة) فدارت معركة شديدة لم يسبق لها مثيل في جميع المعارك التي خاضتها إسبانيا منذ دخولها للتراب المغربي دون أن يستطيع الجيش الإسباني اختراق صفوف المجاهدين على الرغم من الأسلحة الثقيلة والخفيفة وبعض الطائرات التي ظهر أول مرة في الميدان الحربي بالريف غير أنها لم تسقط أي قنبلة منها.

عمت الفوضى معسكر أنوال، الكل يفكر في طريقة يحافظ بها على حياته ولم يستطع أحد أن يضع حداً لتلك الفوضى، وفي صباح يوم الجمعة خرج الجنرال سيلفستري من أنوال بالجيش الذي كان معه تاركًا جميع معداته الحربية الثقيلة متجهًا إلى مليلة في وضعية تشبه الفرار، ولكن الزعيم الخطابي كان قد أمر المجاهدين بالدخول ليلاً ليقطعوا الطريق على العدو إذا ما أراد الانسحاب فكان لهم ذلك.

لقد دامت المعركة يومين قضى فيها المجاهدون على جميع الجيوش التي كانت بأنوال، مات من مات، وأُسر من أُسر، كما تم القضاء على الجيش الذي كان متمركزًا بالقبائل الريفية الأخرى، ومع كل ما قيل عن مصير الجنرال سيلفستري فإنه لم يعد له وجود بعد المعركة. هكذا استطاع البطل محمد بن عبدالكريم الخطابي تحرير جميع مناطق الريف من الاحتلال الإسباني في معارك كثيرة تزيد على مئتي معركة أدت إلى سقوط مئة وستة وثمانين مركزًا فيما بين يوم ١٢ يوليو/تموز ويوم ٩

تعد حركة مقاومة الاستعمار الإسباني بقيادة البطل محمد عبد الكريم الخطابي أول حرب تحريرية في العالم الثالث اعتمدت على حرب العصابات، وعلى التنظيم العسكري والإداري لمقاومة الاحتلال الإسباني

أغسطس/آب١٩٢١م. وقد أثبتت الإحصائيات الإسبانية الرسمية أن عدد المجاهدين في حرب الريف لم يكن يفوق ألف رجل في الوقت الذي كان الجيش الإسباني يزيد على ٢٥٧٩٠ مقاتلاً، كما كلفت الدولة الإسبانية أكثر من مليون بسيطة في اليوم الواحد (١٠). لقد تركت ملحمة أنوال جروحًا غائرة في الوجدان الشعبي الإسباني الذي اهتز اهتزازًا عنيفًا، وأخذت مشاعره تُراوح بين الإحباط الشديد والدهشة لهذه النكسة المروعة والهزائم المأساوية.

في هذه الظروف الحالكة وقعت فجوة شاسعة بين رجال السياسة وقادة الجيش بسبب بزوغ الاختلافات بينهم حول عمليات غزو القبيلة الورياغلية، قلب الحركة الجهادية لإلحاق الهزيمة الحاسمة بها، فنشبت خلافات مستعصية بينهم، وكانت المعركة في الصحافة الإسبانية حامية الوطيس (١١). ومع تنامي التوعية المعادية للاستعمار داخل أوساط الرأي العام الإسباني قام النائب البرلماني الاشتراكي السيد خوليان باستيير في نوفمبر/ تشرين الثاني يخاطب البرلمان الإسباني بشأن حرب الريف قائلاً: «في عام ١٩٠٢م عندما بدأ رجال دولتنا الأشقياء في المطالبة بالحقوق المزعومة التي لإسبانيا على المغرب لم يستطع الرأي العام الإسباني - الذي كان عندئذ منذهلاً أمام خطورة الوضعية الوطنية، متحمسًا لإعادة البناء الداخلي - أن يرى تبعات تلك المحاولات الاستعمارية الأولى التي أريد لها أن تجر الشعب الإسباني إلى التورط في حرب دائمة غاشمة اتخذت ذريعة مخجلة لمنع ترقيات رتب الجنرالات وارتجالها، ... حرب قيد لها أن تحول منطقة نفوذنا المغربية إلى بؤرة تعفن مرضي أضر بالصحة الناشئة للشعب الإسباني بعد أن قضى هذا الشعب سنوات بل قرونًا من الانحلال والانحطاط ... إن الشعب الإسباني لا يوقف مصيره في أفريقية على انتصارات عسكرية مجهولة العواقب، بل يوقفه على النصر الحقيقي المؤمن الذي هو النصر الثقافي، والنصر الكامن في ازدهار حضارته وثرائها (١٢). وكان التقرير الرسمي النهائي الذي قدم للكورتيس (البرلمان) أحصى ١٣١٩١ قتيلاً. بينما مصادر أخرى ترتفع بعدد القتلى من رجال سيلفستري إلى ١٩ ألفًا و٢٠ ألف بندقية و٤٠٠ رشاش و١٢٩ مدفعًا، وأطنان لا تحصى من الذخيرة، ومقادير من المأكولات المعلبة الكفيلة تموين قوات الثورة نحو عام (١٣)، وأدت الحكومة الإسبانية أربعة ملايين بسيطة غرامة مالية مقابل إطلاق سراح أسراها.

امتازت حركة محمد عبدالكريم الخطابي بميزتين أساسيتين، هما: العمل التحريري المسلح، والدعوة الإصلاحية المستندة إلى تعاليم الإسلام الخالصة من شوائب الجمود، مع الأخذ بأسباب التقدم العصري ووسائل المدنية الحديثة دون تفريط

إن حركة مقاومة الاستعمار الإسباني بقيادة البطل محمد عبد الكريم الخطابي هي أول حرب تحريرية في العالم الثالث اعتمدت على حرب العصابات وعلى التنظيم العسكري والإداري لمقاومة الاحتلال الإسباني، فبعد الانتصارات الأولى على المستعمر شرع في تنظيم المناطق المحررة.

فعلى الصعيدين السياسي والإداري انتخب زعماء القبائل الريفية مجلسًا وطنيًا وأقروا برنامجًا للعمل سموه (الميثاق الوطني). أما على الصعيد العسكري فقد كوّن الخطابي جيشًا نظاميًا واجه به المحتل على جبهات جديدة، حيث واصل قادة قوات الاحتلال التمسك برؤيتهم المتعلقة

بمواجهة البطل الخطابي، فكانت تتحرك على عدة مستويات من أجل تقديم حجج عسكرية وسياسية مؤيدة لأهدافها، يقول المؤرخ الإسباني فيغراس في كتابه ماروبكوس (المغرب بالإسبانية): «وكانت إسبانيا التي حطمتها الحروب الاستعمارية لا تقوى على مجاراة فرنسا التي هي في عنفوان انطلاقتها، ففي عام ١٩٢٣م، وحرب الريف على أشدها كان بيرغامين وزير المالية يعلن على الملأ أن الخزينة الإسبانية لا تقوى على تحمل نفقات الحملة العسكرية في المغرب، إذ كانت النفقات العسكرية تصل إلى ٦٠٠ مليون بسيطة في العام خلال اشتداد الحرب» (١٤).

لقد استمرت المقاومة الريفية ضد التوسع الاستعماري الإسباني محققة الانتصارات الباهرة والمتوالية على حدود عام ١٩٢٤م، حيث أدركت فرنسا من جهتها أن هذه الانتصارات صارت تهدد كل إمبراطوريتها الاستعمارية، فقررت الدخول إلى جانب إسبانيا أبريل/نيسان ١٩٢٥م، كطرف مباشر في الصراع، هذا المعطى الجديد شكل في حد ذاته البداية الفعلية لعملية اختلال التوازن الإستراتيجي السياسي والعسكري لصالح القوى الاستعمارية (جندت فرنسا جيشًا تحت قيادة خمسين جنرالاً و٤ مارشالات) وعلى الرغم من ذلك أظهر المجاهدون مقاومة باسلة وصمودًا نادرًا في مواجهتهم للجيوش الفرنسية وألحقوا بها أقسى الهزائم طوال الأشهر الثلاثة الأولى لانطلاق المعارك أبريل ـ يوليو/نيسان ـ تموز ١٩٢٥م، الشيء الذي مكنهم من السيطرة على كل المواقع التي كانت قد احتلتها فرنسا من قبل في المنطقة لدرجة أن المارشال (ليوطي) أصبح يبدي تخوفًا صريحًا من إمكانية دخول المقاومة إلى منطقة نفوذه (١٥).

على الرغم من كل هذه المعطيات الإيجابية يمكن القول إنه أصبح من الصعب على حركة المقاومة بعد التدخل الفعلي الفرنسي في الحرب مواصلة كفاحها ضد دولتين استعماريتين بالفعالية نفسها خصوصًا أن فرنسا جندت كل طاقاتها العسكرية والدبلوماسية من أجل تحقيق هدفها المنشود والمتمثل في إفشال حركة محمد بن عبدالكريم الخطابي والمساهمة إلى جانب حليفتها إسبانيا في عملية إخضاع المنطقة الشمالية من المغرب.

حرب الريف والسلاح الكيماوي

في السنة نفسها التي وقعت فيها معاهدة جنيف التي تمنع اللجوء إلى السلاح الكيماوي والبكتروجي، تم استعمال الغازات الكيماوية لوضع حد للثورة الريفية في شمال المغرب.

هذه هي الخلاصة التي يؤكدها كتاب صدر مؤخرًا بألمانيا تحت عنوان الغازات الكيماوية ضد عبدالكريم: الإسبانيون واستعمال الغاز في المغرب الإسباني، للباحثين ريدبارت كونز وروف ديتر.

ففي يوم ١٧ يونيو/ حزيران ١٩٢٥م، وقعت رسميًا معاهدة جنيف، وكان من بين الدول التي وقع ممثلوها على المعاهدة فرنسا، وألمانيا وإسبانيا. لكن في صيف العام نفسه استعملت الجيوش الفرنسية والإسبانية على مستوى كبير الغازات الكيماوية ضد المقاومة الريفية، مما يجعل المغرب هو أول مكان تتم فيه عمليًا تجربة الغازات الكيماوية الألمانية، وحرب الريف هي أول حرب في التاريخ تحسم بالسلاح الكيماوي على مستوى واسع بواسطة القذف الجوي واستعمال الطيران، فقد استعملت مختلف أنواع الغازات والأسلحة الكيماوية لوضع حد لثورة الريف وانتصاراتها عامي ١٩٢٤و١٩٢٥م.

وحسب المعلومات التي توصل إليها الباحثان الألمانيان، فقد تضمنت الإستراتيجية الإسبانية لاستعمال السلاح الكيماوي مرحلتين: أولاً: قامت الجيوش الاستعمارية بقصف

القرى والأراضي الفلاحية ومنابع المياه بالقنابل لكيلا يبقى للثوار قواعد، تلزمهم التجمع والاختباء.

أما في المرحلة الثانية: فقد قصفت الطائرات بالسلاح الكيماوي الطرق والمخابئ، كما أنه تم كذلك استعمال القنابل المحرقة على مستوى كبير، وأمام اللجوء إلى السلاح الكيماوي والقنابل المحرقة لم تكن المقاومة الريفية تملك أي وسيلة للرد والحماية، فكان عدد الضحايا مرتفعًا جدًا، وقد صرح وفد ريفي لمجلة (قبلة المسلم) قائلاً: «إن إسبانيا بعد أن فشلت في حربها معنا عمدت إلى الحصار البحري وأخذت ترمي قرانا بقنابلها مستعملة حرب الجبن والدناءة، وقد قال محمد بن عبدالكريم الخطابي ردًا على سؤال مراسل صحفي: إن طياراتكم كانت تجرح كثيرين منا وإني أذكر أن قنبلة واحدة أطلقتها إحدى طياراتكم علينا جرحت ما يقرب من ستين نفرًا» (١٦).

الصحفي كان من جنسية فرنسية، مما يعني أن فرنسا بدورها استعملت الغازات في حرب الريف، وهذا ما حدث ابتداء من شهر مايو/ أيار١٩٢٥م، عندما وصل إلى المغرب الجنرال نياسل المفتش العام للطيران العسكري الفرنسي، ففي يوم ١٥ مايو قذفت الطائرات الفرنسية الريفيين، باستعمالها قنابل كبيرة من طراز جديد صنعت في زمن الحرب ولم تستعمل فيها لأن الهدنة عقدت في ذلك الحين.

بواسطة استعمال القنابل الكيماوية، وغازات الخردل ورميها بالطائرات، زيادة على جيش استعماري يقدر عدد أفراده بنصف مليون، استطاعت فرنسا وإسبانيا أن تضعا حدًا لثورة الريف الخالدة، واختار محمد بن عبد الكريم أن يسلم نفسه في مايو ١٩٢٦م، وانتهت حرب الريف كليًا، وبهذا تكون أول حرب في التاريخ استعمل فيها السلاح الكيماوي.

المراجع

١. انظر: العلم السياسي، عدد ١٨، ١٩٨٤م، ص٣٩، صورة إسبانيا في المغرب، محمد شقور.

2- 0Ramon Sanchez Diaz (Retablo Biografico de Abdelkrim/Revista de Histria Militar N 60/Ps:129 a156.

٣. محمد بن عزوز حكيم، معركة أنوال، ص ١٣.

٤. مجلة العربي الكويتية، عدد ٧٥، فبراير١٩٦٥م، ص ٤٤، عبدالكريم الخطابي، بقلم محمد العربي الخطابي.

٥. عبدالكريم، أمير الريف، ترجمة فؤاد أيوب، ص ٤٧.

٦. معركة أنوال. مرجع سابق، ص ٤.

٧. المرجع السابق، ص٤٩.

٨. المرجع السابق، ص ٦٤.

٩. المرجع السابق، ص٩٨.

١٠. محمد القاضي، أسد الريف، محمد عبدالكريم الخطابي، مذكرات عن حرب الريف، ص ٧٨.

11- C.Hernandez de Herrera Y. T. G. Fiqueras (Accion de Espanaen Marreuecos/ Ps 512 - 552.

١٢. العلم السياسي، مرجع سابق، ص ٤٠.

١٣. محلق جريدة العلم، ليوم ٢٢ يوليو ١٩٧٧م، ص ٣، معركة أنوال التي تعلم منها ماو، وجياب وغيفارا.

14- T. G. Fiqueras, Marruecos, P237.

١٥. جريدة الاتحاد الاشتراكي، عدد يوم ٢٢يوليو١٩٩٣م، ص١٢، التحالف الفرنسي الإسباني ضد المقاومة الريفية (١٩٢٥- ١٩٢٦م)، د. محمد خرشيش.

١٦. رودبيرت كونز، رولف ديتير مولر، حرب الغازات السامة بالمغرب، عبدالكريم الخطابي في مواجهة السلاح الكيميائي، ترجمة عبدالعالي الأمراني.



دارفور أرض السلاطين والتنـــوع القـــبلي

حاتم إبراهيم دينار

الخرطوم ـ السودان

دارفور تلك البقعة الطيِّبة، التي ترتمي في أحضان القطر العربي الإفريقي، السودان، أرضٌ ذات إرث تاريخيٍّ، متعددة القبائل واللهجات والعادات والثقافات، ولدارفور (أرض السلاطين) معالمها الجميلة وآثارها الباقية، وطبيعتها الساحرة الخلابة، وتضاريسها الفريدة التي ترسم حاضرها ومستقبلها برفق وتميز، ولها رقصاتها وفنونها الشعبية وتراثها الممتد.

تقع دارفور في أقصى غرب السودان، وتحتل الرقعة الجغرافية التي تمتد بين خطي عرض (٩ و٢٠) شمالاً، وخطي طول (١٦و٢٧،٣٠) شرقاً، وتقدَّر مساحتها الكلية بنحو (١٩٦،٤٠٤) أميال مربعة، وهي تساوي بالتقريب خمس مساحة جمهورية السودان، التي تبلغ المليون ميل مربع، ومن ثم فهي أكبر قليلاً من مساحة مصر.

وتعدّ دارفور البوابة الغربية للسودان، حيث توجد حدود مشتركة بينها وبين كلٍ من الجمهورية العربية الليبية، وجمهورية تشاد، وإفريقية الوسطى، وما عدا جهة الشمال حيث تمثل الصحراء الكبرى حاجزاً طبيعياً بين دارفور والجماهيرية العربية الليبية، لا توجد فواصل طبيعية بينها وبين كل من تشاد وإفريقية الوسطى، لذلك هنالك حركة تواصل اجتماعي وثقافي واقتصادي بين مواطنيها ومواطني هاتين الدولتين.

نبذة تاريخية

لقد كان الجزء الأكبر من أرض دارفور ـ حسب اعتقاد كلٍ من الرحالة الإنجليزي براون (١٧٩٣م)



والألماني اختفال (١٨٧٤م)، والعربي محمد عمر التونسي (١٨٠٣م) - موطناً للكثير من القبائل الإفريقية. إلا أنه قدمت إليه بمرور الزمن جماعات من الساميين والحاميين في موجات متتالية، عبر حقبٍ تاريخية مختلفة من الشمال والشرق والغرب. كان من أهم دوافعها الاستقرار السياسي النسبي في المنطقة، وتوفُّر البيئة والظروف المناخية الملائمة لتربية الحيوان، وهما ما أغريا الكثير من القبائل الرعوية - وبخاصة العربية الهلالية - من شمال إفريقية، بوضع أيديهم على إقليم دارفور آنذاك، وقد كانت تلك بداية التلاقح والتمازج بين الثقافتين العربية والإفريقية في هذه المنطقة.

كان احترام سلاطين الكيرا بدارفور في الماضي واهتمامهم بالعلماء والفقهاء، وإغراؤهم بالكثير من الامتيازات أيضًا، أمراً جعلهم يأتون من كل حدب وصوب، خاصة في منطقة النيل ومصر وشمال إفريقية، واختلطوا بقبائلها، إضافة إلى الكثير من العلماء وحفظة القرآن من غرب إفريقية الذين كانوا يفدون عن طريقها حجاجاً إلى بيت الله الحرام، وكثيراً ما كانوا يستقرون في هذه المنطقة (١).

سلطنات الفور

واستطاعت دارفور قديماً أن تخلق سلطنات امتد نفوذها، فاكتسبت اعترافاً بكينونتها في الأسرة الدولية الممتدة جنوب الصحراء، من البحر حتى المحيط وفي مصر، وكذلك في كتابات الجغرافيين والرحالين، واحتفظت دارفور بهذا الطابع من الذاتية المستقلة ذات الكيان المتميز، فكانت آخر إقليم امتدت إليه يد الفتح المصري، وذلك بعد نصف قرنٍ تقريباً من سقوط دولة سنار، وكانت آخر إقليم ارتفعت عليه رايتا الحكم الثنائي بعد ثمانية عشر عاماً من سقوط أم درمان (٢).

وقد سارت إدارة دارفور قديماً على نظام الحكم المطلق، فالسلطان هو صاحب الأرض، يمنحها من يشاء وهو منبع التشريع، تجري كلمته مجرى القانون (٣).

وقد استمر السلاطين الأوائل في دعم هذا الحق من اعتقاد العامة بقدسيتهم، كما يبدو جلياً من ركوع الناس ومشيهم حفاة الرأس في حضرة السلطان، واعتباره مصدر الخير والخصب، فهو الذي يفتتح موسم الزراعة، يبذر البذور في موكب عظيم (٤).

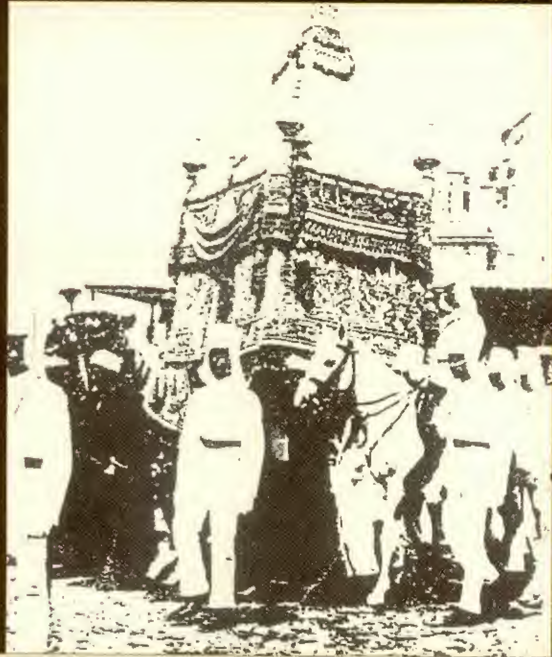
بيد أن ثمة عاملين قيَّدا - من الوجهة الواقعية - تلك الإرادة المطلقة، وهما: التزام السلاطين شريعة الإسلام الذي ارتضوه ديناً، ثم استناد المجتمع إلى قاعدة قبلية شبه إقطاعية، وليس أدل على احترام ملوك دارفور للإسلام من تطبيقهم لتعاليمه في محاكمهم، وبنائهم عشرات المساجد ومعاهد تدريس القرآن، كما يشهد بذلك عهد السلطان أحمد أبكر (٥).

وقد كان السلطان علي دينار، يرسل محملاً سنوياً لمكة المكرمة، وكانت تخرج القافلة من الفاشر- عاصمة السلطنة آنذاك - في احتفال عظيم، ويحلَّى الجمل الذي يحمل المحمل بشتى انواع الزينة، ويخرج السلطان تتبعه حاشيته مع المحمل إلى خارج الفاشر في موكب مهيب.

أما أثر التكوين القبلي الإقطاعي كقيدٍ على حرية السلطان، فتنبئ عنه الطريقة التي أسس بها هيكل الإدارة، وتفسره طبيعة العلاقة بين السلطان وكبار معاونيه، ثم صلته بشيوخ القبائل.

فقد قسِّمت دارفور إلى مقاطعات كبيرة، جعل على كل منها نائب للسلطان، ويسمى الملك حيناً والمقْدُوم في غالب الأحيان، وكان لكل مَقْدُومٍ عدد من المساعدين، يُعرفون (بالشراتى) عند الفور، وبالشيوخ عند غيرهم، وبخاصة بين قبائل البقارة والرُحَّل، وسمِّيت التقسيمات الداخلية للمقدومية بالحاكورة في مناطق الاستقرار، وبالدار في أرض الرحل، ونادراً ما يتدخل السلطان في الشؤون المحلية للمقدوميَّات، فكان يقنع بما يعطيه له

صورة لموكب محمل سلطنة الفور عام ١٩٠٥م الذي ارسله السلطان علي دينار لدى وصوله الى الحجاز



النواب من مالٍ يجمع في هيئة زكاة من البادية. و(فُطرة وعُشور) من الحضر. وفوق هذا كان للسلطان العشرُ من قيمة البضائع المستوردة، وحصيلة المحاكم من غرامات، فضلاً عن الأموال المصادرة وناتج الأرض الخاصة به.

والواقع أن إدارة دارفور كانت أشبه باتحاد فدرالي يجلس في قمته سلطان، له من الوجهة النظرية مطلق التصرف، لكنه كان في حقيقة الأمر رمزاً لوحدة ضعيفة بسبب التكوين العنصري المتنافر للبلاد، ونزعة التفرد وحب الوطن الصغير عند القبائل، ومركز المقاديم الإقطاعيين المنيع. ولعلنا واجدون في تمرد القبائل المستمر على أوامر السلطان خير مصدِّقٍ لهذا الحكم (٦).

وقد بدأ حكم سلاطين الفور بعائلة (كيرا الفوراوية) التي حكمت جبل مرة حوالي القرن الخامس عشر الميلادي، وبدأت تنشر نفوذها في منطقة دارفور حتى سيطرت عليها كلها نحو عام (١٧٠٠م) وبها انتهت مملكة (التُنجُر) وإمارات العرب التي كانت منتشرة حول منطقة دارفور. وفي نحو (١٧٥٠م) بلغ نفوذ عائلة كيرا أقصاه عندما فتح السلطان تيراب كردفان، وضمها إلى دارفور، وتلا تيراب السلطان عبد الرحمن والسلطان محمد الفضل وحافظا على حكم كردفان ودارفور، وبدأ تفكك هذا الملك عندما غزا الجيش المصري كردفان، وانتهى مؤقتاً، عند غزو الزبير باشا لدارفور ومقتل السلطان إبراهيم قرض في مغاواشي (٧).

آخر سلاطين الفور

وفي أثناء المهدية (١٨٩٨م) كان رجال دارفور يكوِّنون أغلبية جيش السودان المحارب، لهذا كانت منطقة دارفور شبه مهجورة حتى عاد لها السكان بعد سقوط أم درمان، وبعد ذلك حكمها السلطان علي دينار، واستمر حكمه ثمانية عشر عاماً، وكان السلطان علي يدفع جزيةً اسميةً لحكومة السودان آنذاك، ويتقبَّل نصائحَها، ثم أوقف الجزية، وساءت العلاقات بعد ذلك.

وقد كان للسلطان علي دينار معارك ضارية مع الفرنسيين فقد حاول السلطان التوسع غرباً، فاستولى على مركز (وردة) بالسودان الفرنسي، ولكن استطاع الفرنسيون أن يهزموا قائده في يونيو عام (١٩٢٨م) كما كان للسلطان علي دينار معارك ضارية مع القوات الانجليزية، فسمع بتقدمهم نحوه لاحتلال سلطنته وفكر في ملاقاتهم خارج الفاشر، وأرسل (ود كرومة) قائده، وقابل هذه القوات الغازية في جبل (الحلة) ولكن (ود كرومة) هُزِم بينما تقدمت القوات الإنجليزية المصرية حتى قابلت الملك محمود الدادنقاوي في الأبيِّض (كردفان)،


صورة نادرة لجثمان السلطان علي دينار فور مقتله من قبل الإنجليز



وهزمته أيضاً، وتقدمت عن طريق مليط، وقابلها سليمان ورمضان - قائدا جيش السلطان - في (سيلى) حيث كانت واقعة الفاشر الفاصلة، والتي هُزِمَت فيها جيوش السلطان الرئيسة، وقتل قائده رمضان، وكانت الجيوش الإنجليزية متفوقة في التسلح بعدد من المدافع الرشاشة.

تحرك الإنجليز لمقابلة السلطان علي دينار في منطقة (كولس) فنشبت معركة صغيرة هناك، تراجع السلطان بعدها، واحتلها الإنجليز كغيرها، وحرقوا موقعه الدفاعي.

وفي اليوم التالي، وبينما السلطان يصلي بأتباعه صلاة الصبح، فاجأهم الإنجليز بوابل من مدافع (المكسيم) وقتل رجلٌ واحدٌ في هذه العملية، هو عباس بن السلطان، وبينما كان السلطان على حصانه إذ فاجأه أحد الرماة وأصابه، ووقع السلطان من حصانه، ورقد على الأرض في مكان يدعى (جوبا) بالقرب من(أرولا)، وهكذا تنتهي دولة السلطان علي دينار في عام (١٩١٦م)، ووصلت بذلك الخاتمة لسلاطين الفور وملوكهم.

وعندما عقد الإنجليز العزم على فتح دارفور عام (١٩١٦م) ما كان ذلك بهدف فتح بلدة جديدة، بل كانوا يهدفون إلى ضم جزء من السودان لم يخضع لهم كل هذه الفترة، أي بعد ثمانية عشر عاماً من فتح كتشنر للسودان.

ولقد ظلت دارفور جزءاً من السودان النيلي منذ فجر التاريخ، حيث تؤكد بعض الدراسات التي أجراها علماء الآثار أن الحضارة السائدة في منطقة وادي هور بشمال دارفور قبل نحو ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد، هي الحضارة نفسها أو امتداد للحضارة السائدة في منطقة النيل.

وعلى الرغم من خصوصية ثقافة دارفور إلا أنها

توجد في دارفور أماكن سياحية لا مثيل لها في منطقة جبل مرة، مثل شلالات قلول، ومرتجلو، إضافة إلى منطقة عين فرح السياحية، وحديقة الردوم للحيوانات البرية

استطاعت أن تحافظ على صلتها بمنطقة النيل عبر الأزمان، فمنذ حوالي القرن السادس عشر الميلادي بذل سلاطين الفور جهوداً جبارة لاستقطاب العلماء والفقهاء من شمال وأواسط السودان النيلي وكردفان، مثلما فعلوا مع شمال وغرب إفريقية، لنشر تعاليم الدين الإسلامي ويقول (أوفاهي) في هذا الشأن: إن الرحالة الفرنسي شارلس كني قابل الشيخ محمد الشايقي في مدينة الخندق على ضفاف النيل عام (١٨٥٨م) يحمل عدداً من كتب الفقه للسلطان محمد الحسين بن السلطان محمد الفضل هدية من عباس خديوي مصر، كما أورد ود ضيف الله في طبقاته أن الشيخ عبيد ود بدر تتلمذ على يد أحد علماء البرقو، ولقد كان لهذا الاحتكاك المبكر والاختلاط أيما أثر في توحيد الرؤى والمزاج العام والسمات الثقافية المشتركة بين المنطقتين (٨).


البقارة يستخدمون الثيران كوسيلة مواصلات

دارفور وخدمة الحرمين الشريفين

لقد تمكنت دارفور، وهي تبعد عن الحجاز آلاف الأميال، من الاتصال بها وخدمة الحرمين الشريفين، والإنفاق على أهلها والقائمين على أمر البلد الحرام حينها، دون غيرها من دول العالم أو ممالك إفريقية، بل يصل الأمر أبعد من ذلك بمعرفة أحوال المجتمع على اختلاف طبقاتهم وتقديم يد العون للفقراء وأصحاب الأغراض، لقد كانت دارفور تقدم هذه الخدمة على الرغم من أن الرحلة إلى الحجاز، كانت تستغرق شهرين من دارفور عن طريق الأربعين الى مصر، وتتجه الى القدس، ومنها تستأنف الرحلة الى الحجاز ومصوَّع، لأن مجرى النيل لم يأخذ شكله الحالي ولم يكن عائقاً على طريق القوافل.

وجدت في بعض الكتب التي تحدثت عن تاريخ دارفور، أن أهلها كانوا يخدمون الحرمين بالصرة والأغوات، والصرة هي مبلغ من المال يرسل إلى أرض الحرمين ليوزع بقائمة مفصلة تفصيلاً دقيقاً، سواء لحاكم الحجاز أو مأمور جدة، وبقية الصرة لطلبة العلم وخدمة بئر زمزم وبني شيبة المشرفين على الكعبة، والبوابين.

أما الأغوات فهم مجموعة من (الطواشيه) وهو اسم يطلق في مصر على الغلمان (الخصيان) الذين يعملون في خدمة الحرم المكي، وهي عادة عرفتها دارفور قديماً،

ويقال: إنها ربما تكون انتقلت إليها من مصر الفرعونية، واحتفظت بها دارفور ضمن أعرافها، وقد عمل السلاطين في عهد الإسلام على إرسالهم إلى الحجاز لخدمة الحرمين الشريفين، كما تدل على ذلك الوثائق، وأطلق عليهم اسم الأغوات وتعني الخصيان [٩].

قام السلطان علي دينار - أيضاً - بحفر الآبار على طول طريق الحجاز في المدينة المنورة، حتى اشتهرت باسم (آبار علي) وعمل السلطان علي دينار على جمع المواشي والعيش والسمن والعسل والمعادن النفيسة والزكوات للفقراء والمساكين، حتى امتلأت خزائن بيت المال وفاضت، فخصص أجزاء كبيرة من هذه المبالغ لخدمة الحرمين الشريفين.

تضاريس دارفور وسكانها

عندما قُسِّم السودان إلى مديريات في عهد الحكم التركي المصري، كانت دارفور إحدى المديريات المعروفة، حيث عين غردون باشا حكمدار السودان آنذاك، سلاطين باشا النمساوي مديراً على (دارا) شرق مدينة نيالا الحالية، كما عيَّن النور عنقرة، مديراً على كبكابية، ومسدالية بك مديراً عاماً على الفاشر.

من حيث تعداد السكان، يعيش في دارفور حاليًا حسب إحصائية آخر تعداد للسكان أجريت في البلاد في العام (١٩٩٣م) نحو (٤,٧٤٦,٤٥٦) نسمة، ينتمون إلى قبائل شتَّى، كالفور، والبني هلبة، والتنجر، والبرتي، والهبانية، والزغاوة، والزيادية، والرزيقات، والمساليت، والمعاليا، والتعايشة، والميدوب، والبرقد، والداجو، والبني حسين، والتاما، والماهرية، والمحاميد، والمسيرية، والفلاتة، والقمر، وبني منصور، والترجم، والهوارة والجوامعة على سبيل المثال لا الحصر.

وتتمتع ولاية دارفور الكبرى بتنوع بيئتها الطبيعية وظروفها المناخية، وذلك لامتداد رقعتها الجغرافية، حيث تقل معدلات الرطوبة والأمطار في أجزائها الشمالية المتاخمة للصحراء الليبية، وتزداد تدريجياً كلما اتجهنا جنوبًا، ويسود مناخ السافنا الفقيرة ذات الأشجار الشوكية معظم أنحائها، ما عدا أطرافها الجنوبية المتاخمة لمنطقة بحر العرب، التي تظهر فيها سمات السافنا الغنية، وتبعاً لاختلاف معدلات الرطوبة والأمطار ودرجات الحرارة ونوع التربة، يتباين الغطاء النباتي في أجزاء دارفور المختلفة، حيث تكثر الأعشاب والأشجار والغابات كلما اتجهنا جنوباً أما منطقة (جبل مرة) في أواسط دارفور، فهي واحدة من


الدخن هو الغذاء الرئيس لمعظم سكان دارفور

منطقة دارفور تزخر بالكثير من الموارد الطبيعية النادرة، مثل خام الحديد . وتحتل دارفور المركز الثاني في العالم من حيث الكمية. كما يوجد النحاس والغاز الطبيعي والزنك والعطرون

المعالم البارزة للمنطقة، وذلك لارتفاعها الملحوظ عن سطح البحر، يسودها مناخ منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط، لذلك نجحت فيها زراعة الكثير من أنواع الخضراوات والفواكه، كالبرتقال والتفاح والليمون، ساعد على ذلك توفر التربة البركانية الخصبة.

وفي أقصى الشمال ينمو نبات (الجزو) الذي يختزن كمية عالية من الرطوبة، والذي تعيش عليه الإبل لبضعة اشهر دون ما حاجة الى الماء، لذلك ليس غريباً أن يتجه إليها رعاة الإبل والأغنام من مختلف قبائل دارفور لقضاء الفترة من يوليو حتى ديسمبر من كل عام، وذلك تقليلاً للضغط على مصادر الحياة الشحيحة في المنطقة، وتجنباً للاحتكاكات القبلية،

يطلق اسم الفور على سكان دارفور الأصليين تمييزاً لهم من الوافدين عليهم، وللفور عدة فروع من كيرا، وكنجار، والتموركا، والمسبعات وكراكيت وغيرهم

التي كثيراً ما تحدث بسبب المنافسة حول الماء والكلأ.

وقد أدى هذا التباين في الظروف البيئية والمناخية، إلى تنوع النشاط الاقتصادي، وهذا ما يدفع بعض الجماعات كالميدوب والزغاوة والرزيقات على الاعتماد على رعي الإبل والماعز والأغنام كحرفة رئيسة.

ولكن إلى جانب التباين البيئي، قد تؤثّر بعض القيم في اختيار المهن في دارفور، فجماعة الميدوب - على سبيل المثال - يستنكفون عن ممارسة حرفة الزراعة بعكس جيرانهم (البرتي)؛ لأنهم ينظرون إليها على أنها حرفة محتقرة، كما فضل الكثير من قبائل جنوب دارفور، كالرزيقات والهبانية والتعايشة، الاعتماد على تربية الماشية لتناسب طبيعة التربة والحشائس التي تنمو في هذا الجزء، وكما هو معلوم فإن دارفور الكبرى، ولاية كثيرة الأعراق والأجناس، إذ تقول بعض المصادر: إن بها أكثر من ثمانين قبيلة، ويتحدث أهلها - إلى جانب اللغة العربية - كثيراً من اللهجات المحلية، كلهجة الفور والمساليت والزغاوة والميدوب والفولاني والهوسا والبرقو والكنين (الطوارق) ولهذا فهي تمثل السودان من حيث التباين الثقافي ومشكلات الهوية والثنائية العرقية التي يشكو منها الكثير من دول القارة الإفريقية، كثنائية العرب والبربر في الجزائر، والفولاني والهوسا في نيجيريا، والعروبة والزنوجة في السودان، وقد أدى هذا التباين إلى تعدد الأمزجة والثقافات الفرعية، ولهذا ليس غريباً أن تواجه ولاية كثيرة القبائل والأعراق كدارفور مشكلات ونزاعات قبلية بسبب اختلاف الآراء والأهواء؛ لأن وراء كل رأي منها هوى وعصبية تدافع عنها، أي دون استحكام الدولة، كما أشار إلى ذلك عبد الرحمن بن خلدون في مقدمته.

ولهذا فإن قوة العصبية القبلية لم تدع دارفور



جبل مرة طبيعة ساحرة

لتصل إلى تلك الدرجة من الانصهار والانسجام والوحدة والتمازج بين بنيها، والمؤسف أن هنالك اتجاهاً بدأ يتبلور تدريجياً نحو تصنيف المجموعات القبلية التي تسكن هذه المنطقة الى (عرب) و(زرقة) وهو منزلق خطير يجب تداركه (١٠).

حاول السلطان علي دينار التوسع غرباً، فاستولى على مركز (وردة) بالسودان الفرنسي، كما كان للسلطان علي دينار معارك ضارية مع القوات الإنجليزية

تقسيمات دارفور

ومنذ الحكم الثنائي لدارفور، كانت دارفور تقسم إلى ثلاث مديريات، أصبحت أقاليم في عهود سابقة، إلى أن صارت الآن ولايات على حسب التقسيم الرسمي لجمهورية السودان.

وتشكِّل الآن ولايات دارفور الثلاث، وهي ولاية شمال دارفور وعاصمتها (الفاشر)، وولاية غرب دارفور وعاصمتها (الجنينة)، وولاية جنوب دارفور وعاصمتها(نيالا) جزءاً مقدراً من مساحة السودان. وكلاً لها قبائلها ولهجاتها وطبيعتها وتضاريسها وحرفها المختلفة.

ولاية شمال دارفور:

ولاية شمال دارفور تبلغ مساحتها نحو (٢٩٦، ٤٢٠) كيلومتراً مربعاً وتعدّ من أكثر ولايات السودان مساحة. ويبلغ عدد سكانها حسب تعداد (١٩٩٣م) (١، ١٥٥، ٨٧٢) نسمة في المرتبة الثامنة من حيث تعداد السكان فى السودان. يسكن غالبيتهم في الريف حيث يشكِّلون نسبة (٧٥٪)، وهم يمتهنون الزراعة كحرفة رئيسة ومنهم (٩٪) رحل و(١٦٪) يقطنون الحضر في مدن الولاية الرئيسة.

عاصمة الولاية، مدينة الفاشر، وهي مدينة تاريخية شهدت التطور العمراني منذ تأسيسها كعاصمة لسلطنة الفور، ثم تدرجت تاريخياً إلى أن أصبحت عاصمة لإقليم دارفور، وولاية دارفور الحالية. وتوجد بها رئاسة الوحدات الحكومية. وتنقسم الولاية إلى أربع محافظات تضم (٢٤) محلية منها (٧) محليات مدن و(١٧) محلية ريف والمحافظات هي: الفاشر وأم كدادة وكبكابية وكتم.

وتضم الولاية عدة مجموعات قبلية أهمها قبائل البرتي، والفور، وزغاوة والرزيقات، وهذه القبيلة تضم عدة بطون تشمل المحاميد والعريقات، والعطيفات،



والمهادي، والحمدانية واولاد جلال، كما تضم الولاية قبائل التنجر، والميما، والميدوب والزيادية.

وتعدّ لهجة الزغاوة، والفور، والميدوب، هي اللهجات السائدة واللغة العربية تشكل لغة التخاطب الرئيسة، توجد مجموعات أخرى من القبائل الصغيرة بهذه الولاية، وعددها كبير، وتمثل أفرعاً من قبائل السودان المختلفة، وتمتهن القبائل المهاجرة من شمال البلاد التجارة، والوظائف الحكومية

ومن أهم قبائل الولاية (الفور) ويطلق اسم الفور على سكان دارفور الأصليين تمييزاً لهم من الوافدين عليهم، وللفور عدة فروع من كيرا، وكنجار، والتموركا، والمسبعات وكراكيت وغيرهم، ويوجد الفور في كل من ولاية شمال دارفور في كتم والفاشر وأم كدادة كما يوجدون في ولاية جنوب دارفور بنيالا ومناطق ولاية غرب دارفور في قارسيلا ووادي صالح وكاس.

والنشاط الاقتصادي لقبيلة الفور يتمثل في زراعة الذرة والحبوب الزيتية والفاكهة والخضراوات والهشاب وتربية الاغنام والماشية والتجارة، ويعتمدون على المجالس الأهلية ومجالس الجودية والعرف والقانون في فض منازعاتهم، ويهتمون بتلقي العلوم القرآنية.

ومن عادات وتقاليد الفور أنهم يمتازون بالنظام التعاوني المتمثل في النفير (التوزي)، كما يمتاز الفور كذلك بالمصنوعات اليدوية كالطاقية والمندولة (إناءٌ يوضع فيه الطعام) .

أما الزغاوة ثاني أكبر قبائل الولاية، فيقطنون في شمالها في محافظة كتم ويحدهم من الجنوب دار قمر ودار تاما، ومن الغرب تشاد، ومن الشمال الغربي ليبيا، ومن الجنوب الشرقي بنو حسين. ويروى أنه كان للزغاوة قديماً مملكة عظيمة تحدها شرقاً مملكة النوبة القديمة، وتعددت الروايات حول أصل الزغاوة، وتجمع معظمها على أنها قبائل ليبية من أصل عربي، وتتكون الزغاوة من عدة فروع، هم الفلا أكوبي، وأرتاج، وكاينتقا، وكيكا، والبديات، ومعظم أفراد القبيلة يمارسون مهنة الرعي، كما يمارس أفراد القبيلة التجارة، لأن منطقتهم تقع في ملتقى السودان وليبيا وتشاد حيث يوجد في الطينة

كان السلطان علي دينار، يرسل محملاً سنوياً لمكة المكرمة، وكانت تخرج القافلة من الفاشر في احتفال عظيم، ويحلّى الجمل الذي يحمل المحمل بشتى أنواع الزينة

الشبرية أو الهودج جزء من التراث الشعبي في دارفور

(إحدى محليات محافظة كتم) أكبر سوق للماشية.

من فنونهم الشعبية، النقارة والجراري ورقصة الطنبور والإنداو، وتنفرد زغاوة كوبي برقصة الخاسي. ويلجأ الزغاوة في فض نزاعاتهم إلى مجالس الجودية، والرجوع الى الأعراف والتقاليد المتعارفة لدى الطرفين المتنازعين (١١).

تؤكد بعض الدراسات الآثارية أن الحضارة التي كانت سائدة في منطقة وادي هور بشمال دارفور قبل نحو ثلاثة آلاف عام ق.م هي الحضارة نفسها أو امتداد للحضارة السائدة في منطقة النيل

ولاية غرب دارفور:

ولاية غرب دارفور تبلغ مساحتها نحو (٧٩,٤٦٠) كيلومتراً مربعاً وتتميز بالأراضي الرملية في شمالها، والأجزاء الجنوبية والوسطى أراض طينية وجبلية، أما الشكل العام لجغرافية الولاية فتشكله مجموعة من الجبال والتلال الرملية والأراضي الزراعية، وتنتشر فيها الأودية، مثل وادي كجا، وزوم وباري وتلولو، وتدخل في نطاق السافنا الغنية التي تتميز بغطائها النباتي الجيد للرعي.

ومن أشهر ظواهرها الطبيعية جبل مرة، الذي يعدّ من أخصب المناطق بالسودان، ويسود فيها الغطاء النباتي الكثيف والغابات الغنية بأشجار السرو والقمبيل والمهوقني.

يبلغ عدد سكان الولاية حسب تعداد (١٩٩٣م) نحو (١,٣٢٩,٨٣٢) نسمة. ومن النمط السائد يتبين أن (٩٪) من إجمالي سكان الولاية يقطنون الحضر، ويتركزون بصورة أساسية في مدينتي الجنينة وزالنجي، وتأتي الولاية في المرتبة الثامنة من حيث عدد السكان في السودان، وتنقسم الولاية الى (٦) محافظات و(٢٨) محلية، منها محلية مدن و(٢٦) محلية ريف، وهي محافظات الجنينة عاصمة الولاية، وزالنجي وجبل مرة وهبيلا وكلبس ووادي صالح.

وتعدّ ولاية غرب دارفور منطقة تداخل قبلي نسبة إلى امتداد الشريط الحدودي بينها وبين الجارتين تشاد وإفريقية الوسطى لأكثر من (١٠٠٠) كيلو متر، كما أن طبيعتها الرعوية جعلت منها منطقة جذب لكثير من القبائل، حيث نجد بها (٥٢) قبيلة، وتعدّ اللغة العربية هي اللغة السائدة في المنطقة لجميع تلك القبائل، مثل المساليت والفور والبرقو والمهادي والميما والعطرية.

ويعدّ المساليت من أهم قبائلها، ويتمركزون في محافظة الجنينة وهبيلا، وترد أصولهم الى خليط من السلالات المختلفة والغالب عليها العنصر الزنجي،

وللمساليت سلطنة عريقة وقديمة بولاية غرب دارفور وتحد دار مساليت أربعة أودية، السيما من الغرب، وكمبا وباري وأزوم من الشرق، ودار جبل ودار أرنقا تحدانها من الشمال، وتعدّ قبيلة المساليت من القبائل المشتركة بين السودان وتشاد، وقد جاء تقسيم القبيلة في إطار المعاهدة التي وقعت بين الإنجليز والفرنسيين عام (١٩٢٠م) وأصبح المساليت في تشاد في مناطق غرب وادي أسونق (الحد الطبيعي الفاصل بين السودان وتشاد).

ومن فروع المساليت بنق، وفكونق، وأمشرونق وهي فروع رئيسة تتفرع منها عدة فروع أخرى، كما نجد من عناصر المساليت المسلات، ويسكنون الى الغرب من البيقو والبرقد، ويمارس المساليت زراعة المحاصيل المطرية بأنواعها إلى جانب تربية الأبقار والضأن والإبل والتجارة الحدودية.

أما البرقو فأصل قبيلتهم من دولة تشاد في منطقة (وداي) وهي متاخمة لمحافظة الجنينة، وقد بدأت هجرتهم إلى السودان في عام (١٩٢٠م) بقيادة السلطان (محمد ود مرة) الذي ساند المساليت في معركة (دوتي) ضد الفرنسيين، إلا أن أكثر الهجرات بدأت بعد ذلك نتيجة لبطش الحكومات التشادية.

ويوجد البرقو في مناطق الجنينة، وهبيلا، وخور برنقا، وكريتك بولاية غرب دارفور، ويهتم البرقو بحفظ القرآن وتجويده وتدريسه في الخلاوي، وكتابة المصحف بخط اليد، والبرقو مزارعون للخضراوات والفاكهة بالطرائق التقليدية، ويمتازون بالصناعات اليدوية، خاصة الأحذية البلدية (المركوب)، كما يمارسون التجارة وتربية الأبقار.

ولاية جنوب دارفور:

تمثل ولاية جنوب دارفور، أحد أضلاع مثلث دارفور الكبرى، وتبلغ مساحتها نحو (١٢٧.٣٠٠) كيلومتر مربع، ويبلغ عدد سكانها حسب تعداد (١٩٩٣م) نحو (٢.١٥٢.٤٩٩) نسمة، وتأتي الولاية في المرتبة الثالثة من حيث عدد السكان في السودان.

وتقسم الولاية الى (٧) محافظات و (٤٣) محلية منها (١٥) محلية مدن، و(٢٨) محلية ريف، وتعدّ مدينة نيالا عاصمة الولاية، والمدينة التجارية الأولى في ولايات الغرب، وبها كثافة سكانية عالية، كما نجد بها محافظات عِد الفرسان، ورهيد البردي، وبرام، والضعين، وعديلة، وشعيرية

فولاية جنوب دارفور بوتقة انصهرت فيها نحو (٨٤) مجموعة قبلية رئيسة وفرعية، وأهم هذه القبائل الرزيقات، والمسيرية، والهبانية، والسلامات، والصعدة، وغيرها، واللغة العربية هي السائدة والرئيسة وتتحدث بها جميع القبائل كما توجد لهجات محلية لكثير منها.

الرزيقات هي أكبر قبائل ولاية جنوب دارفور، وتحد دار الرزيقات ببحر العرب جنوباً، ودار أكد شرقاً، والبيقو

وجه من دارفور



من حظيرة الردوم السياحية في دارفور



والداجو والبرقد شمالاً، والهبانية غرباً، وللرزيقات فروع منها أولاد الحسن، وأولاد زيد، والغير باتية، والتطرية، وهم من فروع الرزيقات في الشمال، ويرعون الإبل، ويطلق عليهم الرزيقات الشمالية. ويعرفون بالمحاميد، أما الذين يعيشون في الجنوب فإنهم رعاة للأبقار، والقليل منهم يعملون في الزراعة في منطقة شكا، وأبو جابرة، وأبو مطارق، كما يربون الخيول العربية الأصيلة، التي تساعدهم على مهام رعي الماشية والصيد. ومن الفنون الشعبية لدى قبيلة الرزيقات رقصة (أميقو) وهي رقصة النقارة التي تقام عادة في المناسبات التي يشارك فيها الهداي (المغني الشعبي) والحكامة (المغنية الشعبية).

أما المسيرية ثاني أكبر القبائل في الولاية، وهي من قبائل البقارة، وينتسبون إلى عبد الله الجهني القحطاني، فيحدها من الغرب قبيلة الداجو، ومن الشرق والشمال والجنوب قبائل البرقد والزغاوة، والمنطقة زراعية رعوية.

ويعدّ (٧٥٪) من أفراد قبيلة المسيرية في هذه المنطقة من رعاة الأبقار والإبل، وهم رُحَّل، يجوبون أرجاء ولاية جنوب دارفور، وغرب دارفور، وبعضهم يدخل في دول الجوار (تشاد، إفريقية الوسطى).

ويتمثَّل اقتصاد القبيلة، في الأعداد الكبيرة من الماشية والإبل والأغنام والضأن، بالإضافة إلى الخيول المحسَّنة، كما يمارسون الزراعة في مناطق استقرارهم.

احتفظت دارفور بطابع من الذاتية المستقلة ذات الكيان المتميز، فكانت آخر إقليم امتدت إليه يد الفتح المصري، كما كانت آخر إقليم ارتفعت عليه رايتا الحكم الثنائي

أرض الثروات

منطقة دارفور تزخر بالكثير من الموارد الطبيعية النادرة، مثل خام الحديد الذي تحتل دارفور المركز الثاني في العالم من حيث الكمية، كما يوجد النحاس في منطقة (حفرة النحاس) المشهورة بجنوب دارفور، والغاز الطبيعي في منطقة جبل مرة، والزنك والعطرون في شمال دارفور، والذهب والرصاص والبوكسايت والأسمنت في مواقع مختلفة في دارفور الكبرى، كما تتميَّز بالثروة الحيوانية، والحبوب الزيتية، كالفول السوداني والسمسم والحبوب الغذائية، كالذرة والدخن، إضافة إلى التبغ في منطقة (شقرا)، والمانجو والبرتقال في منطقة زالنجي والجنينة، وأن المخزون الإستراتيجي من المياه الجوفية في الحوض النوبي،

وتوفُّر التربة الزراعية الخصبة والمناخ الملائم تجعل من دارفور ولاية واعدة وذات مستقبل.

معالم وآثار

واليوم يعدّ قصر السلطان علي دينار من المعالم التاريخية لدارفور، حيث يمر طريق واسع من (النقعة) حتى مدخل القصر من جهة الشرق، والنقعة هي ما يطلق على الميدان الفسيح في دارفور، وهي التي كانت تقام فيها الاحتفالات والاستعراضات العسكرية، كما توجد شجرة (هجليج) تعرف بشرك الموت؛ لأن أحكام الشنق كانت تنفَّذ على فروعها، يخرج السلطان صباح كل جمعة، ويجلس عند وردايا: (بوابة الرجال)، وبالقرب من وردايا يمكن رؤية شجرة أخرى، وهي مخصصة لجلوس المظلومين فقط، ولا يسمح لغيرهم بالاقتراب منها، تسمى هذه الشجرة (القاضي الاطرش)؛ وذلك لأن السلطان يذهب لينظر إلى قضايا المظلومين، ويحكم هذه القضايا إيجازياً، دون السماع

خضراوات مما تشتهي الأنفس



إلى أي شـهـود، وينفـذ الحكم فـوراً عند وردايا (مـدخل الرجـال)، نجد مـأوى (المرنجيـة)، وهم فريق الحرس، كما نجد مـخـازن الأسلحـة والدروع، ثم نجـد (الكروروك) وهو يضرب، فتسمعه الفاشر كلها، فتعلم أن السلطان خارج.

القصر بنيت أسقفه من خشب الصندل، كما يوجد به نحاسان كبيران، وكرسيان ملوكيان، وأربع حراب نحاسية، عليها علم السلطان الأخضر، في موسم الأعياد كانت تضرب نحاسات بلغ عددها (٣٢) نحاساً لسبعة أيام على التوالي يتقدمها نحاس كبير يسمى (منصورية)، وتستعمل لجمع (شراتي) دارفور.

وقـصـر السلطان علي دينار الذي بناه عـام ١٨٨٩م عـقب عـودته إلى الفـاشـر، وإعـادة السلطنة، وعـرش أجداده، يشهد لمجد دارفور وحضارتها، في وقت لم تعرف فيه إفريقية مثل هذه الأعمال الباهرة، وبُني من طابقين وألحقت به حديقة. لقد ترك علي دينار أعمالاً خلَّدت اسم دارفور في العالم الإسلامي، عبر خدمته للحرمين الشريفين، وخاصة وقوفه مع الخلافة العثمانية في الحرب العالمية الأولى ضد بريطانيا.

كما نجد الآثار التي ما زالت باقية تروي لنا قصص الأولين من سكان دارفور بأمانة تامة. والمناطق الآتية في دارفور ذات قيمة أثرية لكل الباحثين، وهي ثروة ضخمة لكل كاتب في هذا المجال، ومن أهمها (عين فرح)، وهي منطقة تقع في شمال دارفور على بعد (٥٠) ميلاً غرب (كتم) فيها آثار قصر السلطان شاو دور شبيد أقدم سلاطين دارفور، كما توجد آثار مدينة قديمة.

ومنطقة (وادي) تقع في شمال دارفور، شمال شرق (كتم) على بعد (١٥٠) ميلا تقريباً، بها مقبرة قديمة، وآثار مدن على سطح جبل (تيقا)، ويلاحظ الزائر بقايا فخار كثيرة مبعثرة في منطقة الجزو شمال الوادي (١٢).

ومن المناطق أيضاً (كبكابية) في شمال دارفور، وهي منطقة غنية بالآثار، ونجد في شوبا (عشرة أميال جنوب كبكابية) جامع السلطان تيراب، وآثار مساجد يرجع تاريخها إلى القرن الثامن عشر الميلادي.

ومنطقة (طرة) على بعد (٧٢) ميلاً شرق (زالنجي) وفيها مقابر تسعةٍ من سلاطين الفور، و(دايا) (٥) أميال من طره من جهة الجنوب الشرقي، وفيها آثار قصر السلطان ود أحمد بكر، و(فوجا) (٤) أميال شرق دايا، فيها قصر السلطان دالي وجبل، (تامي) على بعد (٣) أميال شرق طرة، فيه قصر السلطان سليمان سلنق، ومنطقة جبل (ضريبة) يعتقد الأهالي أنها مقبرة الإسكندر ذي القرنين وكلبه، ولا يعرف كيف سادت هذه الفكرة بين الناس.

كما توجد في دارفور أماكن سياحية لا مثيل لها في منطقة جبل مرة، مثل شلالات قلول، ومرتجلو، وبحيرة ضريبة، واستراحة سوني، إضافة إلى منطقة عين فرح السياحية، وحديقة الردوم للحيوانات البرية، وشلال كتم وسهوب بوادي هور (١٣).

المراجع

١. شقير، ص١٣٦
٢. د. جعفر محمد علي، مديريات دارفور، ص٥٠
٣. آركل، السودان في رسائل، مجلد٣٢، ص٢٢٨.
٤. لامين، تاريخ السودان، ص١٨٥.
٥. أبو سن، مذكرات أبو سن عن مديرية دارفور ص٢.
٦. المصدر نفسه.
٧. ثيوبولد، ص٦٤.
٨. محمد ضيف الله، الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين.
٩. إبراهيم محمد إسحق، دارفور وخدمة الحرمين الشريفين، ص٥٤.
١٠. د. التيجاني مصطفى، الصراع القبلي في دارفور، ص٢٧.
١١. عمر عوض الله، الولايات السودانية حقائق وأرقام، ص٩٨.
١٢. آركل، المناطق الأثرية في دارفور، ص٢٠.
١٣. وزارة السياحة السودانية.





إحياء النسيج العمراني لمراكز المدن التقليدية

(استانبول نموذجا)

محمود زين العابدين

الرياض ـ السعودية

يتشابه مركز مدينة إستانبول التاريخي مع عدد كبير من مراكز المدن العربية التقليدية، فتنتشر فيه المساجد الجامعة وقصر الحاكم والساحات والحدائق، وغيرها من العناصر المعمارية الأخرى التي تحولت إلى أماكن جذب للسكان والسياح. ولمدينة إستانبول موقع إستراتيجي فريد ومتميز، إذ تقع بين قارتي آسيا وأوربا.

ويقع مركز المدينة التاريخي في القسم الأوربي من المدينة، ويعد هذا القسم أشبه بنصف جزيرة تاريخية، فيحيط بها بحر مرمرة الذي يربط بين البحر الأبيض المتوسط والممر البحري الممتد نحو البحر الأسود، إضافة إلى ميناء القرن الذهبي.

وللمدينة أهمية تاريخية، فبعد أن كانت عاصمة للإمبراطورية الرومية الشرقية، أصبحت إمبراطورية شرقية عام ٣٧٥م، وسميت بالإمبراطورية البيزنطية، والإمبراطورية الرومية أو الإغريقية، وظلت قائمة بعد ذلك لأكثر من عشرة قرون، وذلك لمناعة العاصمة (١)، وفي العهد العثماني فتح السلطان محمد الثاني مدينة إستانبول، وبعد حصار مكثف في ٢٩ مايو/أيار١٤٥٣م (٢). وتحولت العاصمة العثمانية من أدرنة إلى القسطنطينية وسميت بإسلام بول أي مدينة الإسلام، ودار السعادة، وسميت بالآستانة لتتحول إلى قاعدة للأعمال العسكرية في الشرق والغرب (٣)، وأتى السلطان محمد الفاتح بأسر تركية وعربية كثيرة من الأناضول، وأسكنها في العاصمة الجديدة، لتتكون منها الأسر الإسلامية، وبدأت سياسة الفاتح في إعمار المدينة، وانتعشت فيها حركة



البناء والإنشاء والتجارة والاقتصاد، فقد أصلح الفاتح بعض أسوارها المهدمة، وشيّد فيها عدداً من المباني الكبرى، كالجوامع والمدارس والقصور، وقلده في ذلك وزراؤه وقواده (٤). وفي عام ١٦٠٠م بدأ بالازدياد وبسرعة في عدد سكان المدينة إلى أن بلغ ٨٠٠ ألف نسمة، بعد أن تناقص إلى ٥٠ ألفًا أو ١٠٠ ألف نسمة حسب التقديرات المختلفة، وكان هذا العدد أكثر بكثير من عدد سكان أي عاصمة أوربية آنذاك (٥).

ومع تأسيس الجمهورية التركية، ونقل العاصمة إلى مدينة أنقرة، شهدت المدينة اهتمامًا ملحوظاً، حتى عام ١٩٥٠م، إذ بدأت نهضة عمرانية وصناعية سريعة، كان لها الدور في إعادة الاهتمام بهذه المدينة، انعكست سلباً على نسيجها العمراني، غير أن المشروعات التي قامت بها بلدية مدينة إستانبول الكبرى، وبالتعاون مع القطاع الخاص في بعض المشروعات، كان لها الدور الرئيس في إعادة إحياء مركز المدينة التاريخي.

مراحل التطور العمراني للمدينة

يتميز النسيج العمراني لمركز مدينة إستانبول بعدد كبير



من الأوابد التاريخية التي تعود معظمها إلى العهد العثماني، وقد بدأت هذه النهضة في عهد السلطان محمد الفاتح (١٤٥١ - ١٤٨١م)، الذي أمر ببناء قصر طوب قابي (باب المدفع) بمساحة قدرها ٧٠٠ ألف متر مربع، ويحمي القصر من جهة البر سور ضخم بطول ١٤٠٠ متر مدعم بثمانية وعشرين برجًا، ويشتمل على استراحات ومساجد وقاعات اجتماعات ودواوين حكومية ومكتبات ومعسكرات ومبانٍ أخرى متنوعة، تدور حول أربعة أفنية كبيرة، يقع الواحد منها وراء الآخر (٦). وأصبح قصر طوب قابي أشبه بمدينة متكاملة داخل مركز مدينة إستانبول، ولأهميته السياسية أحيط القصر بالساحات والشوارع الواسعة، ومن أهمها السوق المغلق الواقع بين جامع بيازيد ومنحدر محمود باشا، ويشغل مساحة قدرها ٣٠.٠٠٠ متر مربع، وللسوق ١٨ باباً و٦٥ زقاقاً و٣,٠٠٠ دكان، ولكل مهنة من المهن منطقة خاصة بها. كما بني الكثير من المساجد العثمانية الضخمة والكليات، التي من أهمها جامع السلطان أحمد وجامع بيازيد، إضافة إلى وجود كنيسة أياصوفيا في المنطقة نفسها (منطقة السلطان أحمد). وقد انتشرت عمارة المساجد الضخمة والكليات التي تحمل اسم السلطان وخاصة في عهد المعماري سنان، الذي عاش في القرن السادس عشر الميلادي، وهي الفترة التي حكم فيها السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠ - ١٥٦٦م)، وضمت الكثير من المباني المهمة، مثل الجوامع والخانات والمدارس والحمامات والحدائق والساحات والأسبلة والجسور، وتم تأمين المياه إلى المدينة من خلال القنوات، فأخذت مدينة إستانبول في تلك الفترة حلة جديدة ومتكاملة، وحوت جميع عناصر المدينة الإسلامية التقليدية، من حيث المخطط العام للمدينة. وتعد المنشآت المعمارية الحضارية الضخمة أحد الرموز المهمة المستخدمة كوسيلة من وسائل الدعاية السياسية، وقد عدت من المعايير التي تميز المدينة من

يعدّ ميدان السلطان أحمد أحد أهم ميادين مدينة إستانبول، والواقع في مركز نصف الجزيرة التاريخية، ويشكل نواة مهمة، إذ يحيط بهذا الميدان متحف أياصوفيا، وقصر طوب قابي سراي، وجامع السلطان أحمد


بعض مظاهر النهضة الحديثة التي شهدتها المدينة

غيرها من مراكز الاستيطان الحضري، وتشكل هذه المنشآت جزءاً من تكوينات المدينة الإسلامية (٧). ولم تقتصر النهضة العمرانية على القصور والمساجد فحسب، بل شملت بناء الحمامات والخانات، فأصبحت إستانبول مركز الثقل في العالم الإسلامي كله، وموئلاً لعلمائه، ومقراً لتراثه العلمي والثقافي والفني (٨).

عوامل تدهور مركز المدينة

في أعقاب الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨م) ومع التطور الذي شهدته الساحة السياسية في العالم، تقهقرت الدولة العثمانية، وتقلصت مساحتها، كما أصدر المجلس الوطني في جلسته المنعقدة بتاريخ ١٣ أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٢٣م، قانوناً ينص فيه على إعلان مدينة أنقرة عاصمة رسمية لدولة تركيا بدلاً من إستانبول، وفي تاريخ ٢٩ أكتوبر/تشرين الأول ١٩٢٣م، أقر المجلس بناءً على طلب مصطفى كمال دستوراً أعلنت فيه الجمهورية التركية، وانتخب أول رئيس جمهورية لها (٩)، وكان تعداد سكان مدينة إستانبول مع بداية القرن العشرين نحو ٨٥٠ ألف نسمة، وفي عام ١٩٢٧م، وحسب الإحصاءات، تراجع عدد السكان ليصبح ٧٠٠ ألف نسمة، بعد أن فقدت مدينة إستانبول أهميتها السياسية، فتحولت الأنظار والمشروعات العمرانية والسياسية والثقافية إلى العاصمة الجديدة أنقرة، وأصبحت جميع القرارات التي تتعلق بمدينة إستانبول تؤخذ من العاصمة الجديدة. فقد أهملت المدينة تماماً، وقامت الحكومة الجديدة بإعادة توظيف بعض الدوائر العثمانية (سابقاً) إلى دوائر رسمية، مع تغيير مسميات بعض المباني والدوائر العثمانية إلى مسميات جديدة، بعيدة عن المصطلحات العثمانية، وفي الفترة نفسها تم تحويل جامع أياصوفيا إلى متحف (١٠).



منظر ليلي لمدينة إستانبول



مظاهر تدهور مركز المدينة

شهدت مدينة إستانبول أول نهضة عمرانية وصناعية في عام ١٩٥٠م، وهو التاريخ الذي ترأس فيه الحكومة عدنان مندرس، رئيس الحزب الديمقراطي، الذي استمرت رئاسته إلى عام ١٩٦٠م، وكان توجهه بجعل إستانبول مدينة حديثة وصناعية أيضاً، فبدأت الحركة العمرانية بشكل سريع ومكثف، رافقها تنفيذ عدد من القرارات والمخططات الحديثة، التي لم تراع الجانب التاريخي للنسيج العمراني لمركز مدينة إستانبول، ومن أهم تلك المظاهر:

. هدم المباني التاريخية:

يتميز مركز مدينة إستانبول بنسيج عمراني تاريخي مترابط فيما بينه، يعود تاريخه إلى ما قبل العهد العثماني، وازدادت كثافته في العهد العثماني، فقد شيد الكثير من الجوامع والقصور والحمامات والمدارس، ويربط بين هذه التكوينات المعمارية شبكة من الشوارع، وبمقاييس مختلفة، وفق نوعيتها وحاجة المرور بها، ولم يكن عرض تلك الشوارع القديمة يخاطب السيارات والمركبات، التي بدأ عددها

النسيج العمراني لمدينة إستانبول يتميز بعدد من الأوابد التاريخية



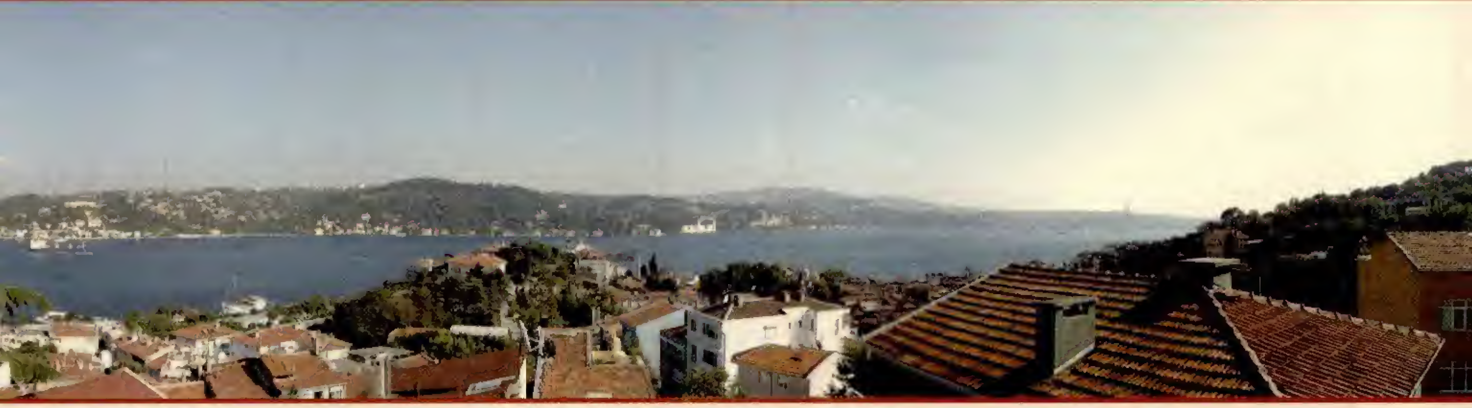


يتزايد في العهد الجمهوري، مما أدى إلى فتح عدد كبير من الشوارع الواسعة الجديدة مثل شارع الوطن Vatan Caddesi، والشارع الذي يربط بين بيازيد وأكساراي Bayazit - Aksaray، وشارع أردو – شهزادة باشي Ordu- Sehzadebasi، وطريق الساحل الذي يربط بين منطقتي فلوريا وسيركاجي Florya - Sirkeci، وتوسعة طريق دولمابهجة Dolmabahce، فأدت توسعة هذه الشوارع القديمة، أو شق الشوارع الجديدة إلى أضرار بالغة في النسيج العمراني التاريخي، فقد هدم الكثير من المباني العثمانية المهمة مثل حمام مراد باشا، وخان حسن باشا، وحمام بيازيد، ومدارس البحر الأبيض المتوسط التابعة لكلية الفاتح ومكتبة كوجا راغب باشا، ومدرسة الصبيان، وغيرها من المباني الأخرى في أثناء أعمال توسعة هذه الشوارع، أو في فتح الشوارع الجديدة، دون الأخذ في الحسبان أهمية تلك المباني التاريخية.

أتى السلطان محمد الفاتح بأسر تركية وعربية كثيرة من الأناضول، وأسكنها في العاصمة الجديدة، لتتكون منها الأسر الإسلامية، وبدأت سياسة الفاتح في إعمار المدينة، وانتعشت فيها حركة البناء والإنشاء والتجارة والاقتصاد

. الاختناقات المرورية:

مع النهضة العمرانية السريعة التي شهدتها مدينة إستانبول تم البدء ببناء عدد كبير من المباني الضخمة والحديثة في قلب مركز المدينة أو بالقرب منه، وخاصة الفنادق الفاخرة، لاستقطاب السياح ورجال الأعمال، لما تحققه السياحة الثقافية من دخل اقتصادي مرتفع لمدينة إستانبول، ومن أهم الفنادق التي بنيت في فترة (١٩٥٠ - ١٩٦٠م)، فندق هيلتون وفندق ديوان، فتحولت هذه المباني إلى نقاط جذب للسائح أو الزائر، أدت إلى توجه عدد كبير من السيارات والمركبات نحو مركز المدينة، مما أدى إلى مزيد من الاختناقات المرورية بسبب صعوبة المرور في شوارع المدينة الضيقة، ولعدم وجود عدد كافٍ من مواقف السيارات لتلك المباني، انتشرت السيارات على جوانب الأرصفة، لتزيد في ضيق المواصلات وازدحامها، وأصبحت عائقاً لحركة مرور السيارات، أو حافلات النقل العام، كما أن الكثافة السكانية قد رافقها زيادة في عدد السيارات، ولم تعد شوارع مركز مدينة إستانبول القديمة تستوعب هذا الكم الهائل من السيارات التي تتوجه معظمها إلى



مركز المدينة لوجود الدوائر الحكومية التي شيدت في الفترة نفسها، مثل قصر البلدية أو المراكز التجارية، وخاصة في بداية ساعات العمل ونهايتها.

ظهور التجمعات السكانية العشوائية

في أوائل عام ١٩٥٠م، ومع التوجه الحكومي بجعل مدينة إستانبول مدينة صناعية وتجارية، انطلقت هجرة سريعة وغير منظمة من الأناضول والمدن المجاورة نحو مدينة إستانبول، للبحث عن فرص العمل، مما أدى إلى كثافة سكانية سريعة، لم تكن الجهات الحكومية قادرة على استيعابها. كما أثر ذلك سلباً في البنية التحتية للمدينة. ولم تقتصر هجرة الناس بمفردهم، بل نقلوا معهم ثقافتهم وطبائعهم التي نشؤوا عليها في الأناضول، علماً أن معظم المهاجرين كانوا من المزارعين، مما انعكس سلباً على الهوية الثقافية لمدينة إستانبول، وعلى الكثير من العادات والتقاليد التي كانت تتميز بها المدينة خلال العهد العثماني، فكان هناك تدنٍ في مستوى الوعي لدى السكان الجدد المهاجرين إلى المدينة، وانعكس ذلك على نظافة الشوارع، وعلى حماية المباني التاريخية، وقد ظهرت المجمعات السكنية العشوائية، والمشيدة بطريقة غير نظامية، دون الحصول على رخص من البلدية، فغرقت مدينة إستانبول بعدة مشكلات أهمها: النظافة العامة، وتلوث المياه من جهة، إضافة إلى عدم كفاية نسبة المياه الموزعة على سكان المدينة، وقضية المواصلات التي كانت إحدى أهم القضايا لمدينة إستانبول، والتلوث البيئي الناتج من استخدام الفحم في فصل الشتاء، وغيرها من القضايا الأخرى التي أدت إلى تدهور شديد وملحوظ في البنية التحتية لمدينة إستانبول. وقد أثبت آخر الإحصائيات حول الكثافة السكانية التي شهدتها مدينة إستانبول، أن ٦٢,٧٪ من سكانها ليسوا من مواليد مدينة إستانبول، بل هاجروا إليها من مناطق أخرى، وخاصة منطقة الأناضول، بهدف البحث عن العمل ولقمة العيش (١١).

قامت بلدية إستانبول الكبرى، وجمعية السياحة والسيارات بعدد من المشروعات التخطيطية والمعمارية التي كان لها دور إيجابي في إنقاذ مركز مدينة إستانبول التاريخي، وحماية نسيجه العمراني

تمتاز مدينة إستانبول بموقع فريد ومتميز



القرارات المتخذة لإنقاذ المدينة

انطلاقاً من اهتمام بلدية مدينة إستانبول الكبرى وحرصها على حماية النسيج العمراني للمدينة، ولإعادة الحيوية إلى قلبها التاريخي، صدر عن مجلس الوزراء قرار برقم ٩٤٣٦/٩٧ وتاريخ ١٣ مارس/ آذار ١٩٩٧م، بإحداث مديرية حماية البيئة التاريخية، وقد بدأت مهامها في عام ١٩٩٨م. كما صدر عن مجلس البلدية قرار رقم ٣١٣، تاريخ ٤ يونيو/ حزيران ١٩٩٩م، حددت فيه مهام هذه المديرية، والتي يمكن أن تنحصر في النقاط الآتية:

ـ أن تكون هذه المديرية مسؤولة عن كل ما يتعلق بالموروث الثقافي غير القابل للنقل، وذلك ضمن حدود الصلاحيات الواردة في قانوني ٢٨٦٣ و ٣٣٨٦ الصادرين عن مديرية مدينة إستانبول الكبرى، والمتعلقين بالمحافظة على الموروث الثقافي والطبيعي، وبقرار بلدية مدينة إستانبول الكبرى رقم ٣٠٢٠.

ـ القيام بتوثيق الموروث الثقافي والعمراني وتطويره وتقويمه، سواء كان عن طريق المخططات والمشروعات المقامة، أو البرامج التنفيذية بشكل مباشر أو غير مباشر، ومن أهم المشروعات التوثيقية أسوار مدينة إستانبول التاريخية، والواقعة على بحر مرمرة، وعلى ساحل الخليج (القرن الذهبي)، والبدء بترميمها.

ـ القيام بحماية البيئة التاريخية لمدينة إستانبول، من خلال أعمال الترميم للمباني التي تصدعت نتيجة الزلازل وفق برامج مدروسة مع مراعاة الأولوية فيها، ومن أهم المشروعات الترميمية التي قامت بها البلدية، ترميم جامع أياصوفيا الصغير عام ٢٠٠٢م ولا يزال العمل جارياً فيه ليستكمل في العام الحالي ٢٠٠٤م، وترميم صهريج ياراباطان.

ـ مراجعة وتقويم المشروعات التصميمية أو التنفيذية الجديدة الواقعة ضمن النسيج العمراني التاريخي لمدينة إستانبول، من قبل مديرية حماية البيئة التاريخية، لمنح الرخص التي تتناسب مع النسيج العمراني والتاريخي لمركز مدينة إستانبول (١٢).

لم تقتصر النهضة العمرانية على القصور والمساجد فحسب، بل شملت بناء الحمامات والخانات، فأصبحت إستانبول مركز الثقل في العالم الإسلامي كله

أهم المشروعات التخطيطية والعمرانية:

قامت بلدية إستانبول الكبرى، وجمعية السياحة والسيارات Automobile and Touring Club، بعدد من المشروعات التخطيطية والمعمارية التي كان لها دور إيجابي في إنقاذ مركز مدينة إستانبول التاريخي، وحماية نسيجه العمراني، وللتعرف إلى تلك المشروعات، نستعرض أهمها وفق الترتيب الآتي:

مشروع دراسة الحركة المرورية:

تعد قضية المواصلات إحدى أهم القضايا التي

تواجهها مراكز المدن التقليدية، لما تسببه من اختناقات مرورية، وتلوث بيئي ناتج من دخان المركبات، وقد شهد مركز مدينة إستانبول في السنوات الأخيرة تدهوراً ملحوظاً، بسبب دخول السيارات والمركبات وحافلات النقل العام إلى مركز المدينة.

وانطلاقاً من حرص بلدية مدينة إستانبول الكبرى في الحفاظ على النسيج العمراني لمركز المدينة قامت بدراسة شاملة لشبكة شوارع مدينة إستانبول بشكل عام، إضافة إلى الشوارع الواقعة ضمن النسيج العمراني لمركز المدينة، لإيجاد الحلول المناسبة في قضية تخفيف الاختناقات المرورية داخل مركز المدينة وخارجه، وفي عام ١٩٩٤م قامت البلدية بمنع حركة مرور المركبات عن شارع عالم دار ـ أردو - Alemdar Ordu ، الذي يعد الشريان النابض والمار من مركز المدينة التاريخي، وهو يربط بين أهم المناطق الواقعة في مركز المدينة، مثل: أمين أنو ـ السلطان أحمد ـ بيازيد ـ أك ساراي، Eminonu - Sultan Ahmet - Bayazit - Aksaray. وتم رصفه بالحجارة، وخصص الشارع لمرور قطارات حديثة تسير على السكة الحديدية، تعمل على الطاقة الكهربائية، ويصل طول خط القطار إلى ١٢ كم، يربط بين منطقتي: أمين أنو – زيتبورنو Eminonu - Zeytiburnu، وبهذه الطريقة تم الاستغناء وبشكل كامل عن حافلات النقل العام الأخرى.

وقد تم تنفيذ المواقف بشكل مدروس، من ناحية ارتفاع منسوبها بما يتناسب مع منسوب القطارات، ومما يسهل الحركة في صعود النساء والأطفال والمسنين وذوي الاحتياجات الخاصة ونزولهم، علماً أن لجميع المواقف منحدرات وحواجز ودرابزينات، إضافة إلى أماكن للجلوس، ولوحات إرشادية توضح طول خط القطارات وعدد المواقف وأسماءها، مما يسهل حركة التنقل للسكان أو السياح.

أهداف المشروع:

يهدف المشروع إلى النقاط الآتية:

ـ عدم السماح بدخول المركبات إلى مركز المدينة التاريخي، لتفادي الأضرار الفيزيائية على المباني التاريخية القديمة، ولتخفيف الضجيج وتلوث الهواء الناتج من المركبات، للمساهمة في خلق جو مناسب للسائح أو الزائر خلال تجواله داخل مركز المدينة التاريخي.

ـ حل قضية النقل العام، بواسطة مركبات كهربائية تسير على سكة الحديد، ولها مواقف محددة.

ـ توحيد اتجاهات السير في الشوارع الفرعية الضيقة.

حوت مدينة إستانبول جميع عناصر المدينة الإسلامية التقليدية



لتجنب الاختناقات المرورية.

- تأمين مواقف للسيارات في محيط المدينة التاريخي، وخاصة عند أطراف المناطق التاريخية، مثل المتاحف (متحف طوب قابي سراي) والمساجد، لوقوف الحافلات المخصصة للسياح، ومواقف لسيارات الأجرة.

- تصميم المخططات المرورية وتنفيذها ضمن نطاق مخطط تنظيمي شامل لمركز المدينة التاريخي ولأطرافه.

مشروع تطوير ميدان السلطان أحمد وشارع عالم دار:

غولهانة التاريخية، وتجتمع هذه التكوينات ضمن نسيج عمراني متكامل، وبشكل متجانس وفريد.

أهداف المشروع:

يهدف المشروع إلى الحفاظ على الطابع التاريخي للمنطقة من خلال:

- الربط بين العناصر التاريخية الواقعة في مركز المدينة من خلال توفير طرق مخصصة للمشاة فقط ومرصوفة بالحجارة، دون دخول السيارات أو المركبات الأخرى.

أحد الجسور في مدينة إستانبول



يعد ميدان السلطان أحمد أحد أهم ميادين مدينة إستانبول، الواقع في مركز نصف الجزيرة التاريخية، ويشكل نواة مهمة، إذ يحيط بهذا الميدان متحف أياصوفيا، وقصر طوب قابي سراي، وجامع السلطان أحمد، الذي يحيط به فناء خارجي رحيب من ثلاث جهات، ويقع المسجد في وسط المجمّع الذي يحتوي كذلك على ضريح السلطان أحمد، ومدرسة، ودار للمرق، ومستشفى، وحمام، وسوق، وقيسارية، وصهريج ياراباطان، والمسرح البيزنطي، والسبيل الألماني، وغيرها من المباني التاريخية التي تعد جميعها نقاط جذب سياحي شديد وعلى مدار السنة، إضافة إلى تدفق سكان المدينة. وفي شمال الميدان تقع جادة عالم دار، وهناك منطقة السيركجي، وحديقة

- توثيق ودراسة واجهات المباني المطلة على ميدان السلطان أحمد بشكل عام، وعلى شارع عالم دار بشكل خاص، والقيام بترميم بعضها، لتكون جميع المباني متناسقة فيما بينها، دون اللجوء إلى استخدام مواد بناء تتنافى مع النسيج العمراني التاريخي لمركز المدينة، من حيث اللون والشكل.

- تطوير الساحات المحيطة بالمناطق التاريخية، وجعلها مناطق جذب واستراحة للزائر والسائح؛ وذلك من خلال توفير العناصر الجمالية من مسطحات خضراء ومائية، وتأمين ممرات إضافية للمشاة، إضافة إلى توفير المرافق العامة، مثل الأكشاك والحمامات، وتحديد المواقع المناسبة لها.

- توفير العناصر التأثيثية، مثل أماكن الجلوس، ووحدات الإنارة، بما يتماشى مع النسيج التاريخي لمركز



مدينة إستانبول، وتأمين اللوحات الإرشادية التي تساهم في سهولة حركة السياح في المنطقة التاريخية.

- دراسة المسطحات الخضراء، وجعلها أماكن راحة واستجمام، إضافة إلى الاستفادة منها في تنظيم الحفلات والمهرجانات.

مشروع ترميم شارع صووك جاشما وإعادة تأهيله:

يقع شارع صووك جاشما Soguk Cesme في قلب مركز مدينة إستانبول التاريخي؛ إذ يربط بين متحف أياصوفيا وقصر طوب قابي، ويتألف هذا الشارع السكني من تسعة بيوت خشبية يعود تاريخ إنشائها إلى عهد السلطان محمد الثاني (١٤٥١ - ١٤٨١م)، وتؤكد البحوث والدراسات التاريخية أن معظم سكان هذه البيوت كانوا يعملون في قصر طوب قابي، وبعضها الآخر يؤكد أن أصحاب هذه البيوت كانوا يسكنون في بيوت مطلة على البوسفور (الممر البحري الذي يربط بين بحر مرمرة والبحر الأسود)، ويسكنون في هذه البيوت فترة فصل الشتاء فقط، لأن موقع هذه البيوت يقيهم من الرياح الشتوية العاتية، وقد استمرت هذه البيوت على شكلها ووظيفتها حتى عام ١٩٥٠م، فمع التدهور والازدحام اللذين شهدهما مركز المدينة هاجر أصحاب هذه البيوت إلى أطرافها، فتهدم بعضها، وتشوه بعضها الآخر بهدمه وتشييده من جديد على شكل مبانٍ أسمنتية بعيدة كل البعد عن الهوية العمرانية للشارع.

وانطلاقاً من أهمية موقع هذه المباني، ومن حرص الجهات الحكومية بأهمية السياحة الثقافية، قامت جمعية السياحة والسيارات Automobile and Touring Club عام ١٩٨٦م بتجديد الشارع، وبشكل متكامل، كما كان الحال عليه في العهد العثماني، واستثماره سياحياً؛ وذلك بتحويل جميع هذه البيوت إلى شقق سكنية مفروشة على الطراز العثماني؛ مما مكنها أن تستوعب ١٢٠ شخصاً تقريباً، إضافة إلى تحويل أحد هذه البيوت

إلى مكتبة؛ وذلك لتفعيل الجانب الثقافي في الشارع. وتعد هذه التجربة فريدة ومتميزة بمدينة إستانبول، وقد زارت شارع صووك جاشما ملكة إسبانيا صوفيا في ربيع عام ٢٠٠٠م، وقضت أربع ليالٍ في أحد هذه البيوت خلال زيارة سياحية لها لمدينة إستانبول (١٣).

أهداف المشروع:

- إعادة وضع الشارع كما كان عليه في العهد العثماني؛ وذلك بالعودة إلى الصورة التاريخية والتوثيقية للشارع قبل تشويهه، فقد تمت الاستعانة بالصور التاريخية لواجهة الشارع، مما سهل إعادة شكل الشارع كما كان عليه في السابق.

- استثمار الشارع سياحياً من خلال تحويل جميع البيوت المنتشرة فيه إلى شقق سكنية مفروشة بأثاث ذي طراز عثماني يعود إلى القرن الثامن عشر الميلادي، من أسرّة نحاسية، وستائر حريرية، ومقاعد مخملية، تنقل السائح إلى أجواء العهد العثماني.

- رصف أرضية الشارع بالحجارة بشكل منتظم، وتزيينه بالأشجار ونباتات الزينة والأزهار، إضافة إلى استخدام وحدات إنارة ذات شكل كلاسيكي يتماشى مع العهد التاريخي الذي شيدت فيه هذه البيوت.

- تطوير البنية التحتية للشارع من تجديد تمديدات التصريف والتغذية بالمياه للشارع، بسبب تلف شبكات البنية التحتية التي تعود إلى العهد العثماني؛ مما يحافظ على جميع المباني من الأضرار الإنشائية.

- منع دخول حركة السيارات إلى داخل الشارع، وتخصيصه للمشاة فقط؛ مما يساهم في المحافظة على البعد الإنساني لمركز المدينة التقليدي.

إيجابيات تجربة مدينة إستانبول وسلبياتها

رافق تجربة مدينة إستانبول عدد من الإيجابيات



أصبحت المدينة جاذبة للزوار

والسلبيات التي يمكن أن نستعرضها وفق الترتيب الآتي:

الإيجابيات:

- عدم السماح بدخول المركبات إلى مركز المدينة التاريخي، والقيام بتوحيد اتجاهات السير في الشوارع الفرعية الضيقة، لتجنب الاختناقات المرورية.

- الاعتماد على المركبات الكهربائية التي تعمل على السكة الحديدية في حل قضية النقل العام بمركز مدينة إستانبول التاريخي وخارجه.

- تأمين مواقف للسيارات في محيط المدينة التاريخي لوقوف السيارات الخاصة، وسيارات الأجرة، إضافة إلى الحافلات المخصصة للسياح.

- توثيق المباني التاريخية ودراسة واجهاتها، والقيام بترميم بعضها الآخر بما يتماشى مع النسيج العمراني التاريخي لمركز المدينة.

- الاعتناء بالساحات المنتشرة في مركز مدينة إستانبول التاريخي من خلال توفير العناصر الجمالية، من مسطحات خضراء ومائية، وتوفير العناصر التأثيثية لتلك الساحات، مثل أماكن الجلوس، ووحدات الإنارة، واللوحات الإرشادية.

- التوجه نحو الاستثمار السياحي من خلال ترميم بعض المباني التاريخية، وتحويلها إلى فنادق سياحية، إضافة إلى تطوير البنية التحتية لتلك المباني، ومعالجة البيئة المحيطة بها، من رصف الشوارع بالحجارة، وتزيينها بالأشجار والنباتات التزيينية، وتأمين وحدات إنارة ذات شكل يتماشى مع النسيج التاريخي لمركز المدينة.

السلبيات:

- انتشار الفنادق والأسواق والمطاعم في مركز المدينة التاريخي أدى إلى الكثافة المرورية، الناتجة من إقبال الزوار والسياح وسكان المدينة، والتوجه نحو مركزها.

- هجرة السكان من مركز المدينة التاريخي إلى مناطق أخرى، بسبب انعدام الخصوصية في أحياء مركز المدينة، لتحول مركز المدينة إلى منطقة تجارية سياحية، إضافة إلى الضجيج والازدحام الناتجين من الكثافة السكانية لمركز المدينة التاريخي، مما أدى إلى إرباك السكان وصعوبة حركتهم داخل مركز المدينة..

- تحول مركز مدينة إستانبول إلى منطقة تخاطب السائح فقط، لتوفر جميع احتياجاته، بينما أهملت احتياجات سكان مركز المدينة.

- إهمال بعض المباني السكنية والتاريخية المنتشرة في مركز المدينة، مما أدى إلى تهدم بعضها، وتشويه بعضها الآخر، أو تحويلها إلى سكن للغرباء والقادمين من خارج المدينة.

- استثمار بعض المباني التاريخية الصغيرة، سياحياً بما يتنافى مع أهميتها التاريخية، مثل استغلال بعض الأسبلة التاريخية، وتحويلها إلى أماكن بيع للمشروبات أو إلى أكشاك لبيع المرطبات.

كيفية الاستفادة من تجربة مدينة إستانبول

أخيراً، وللاستفادة من تجربة مدينة إستانبول في تطوير النسيج العمراني لمركزها التاريخي وإحيائه، نستعرض أهم النقاط التي يمكننا أن نستفيد منها، ونطبقها في مراكز المدن العربية التقليدية، ومن أهمها:

- حماية النسيج العمراني لمراكز المدن العربية التقليدية بمنع دخول السيارات والمركبات داخل محاور مركز المدينة التاريخي، والحد من الضغط المروري للمحاور المتوجهة نحو مركز المدينة التاريخي.

- دراسة حركة الشوارع الفرعية المحيطة بمركز المدينة التاريخي من خلال دراسة تحديد الاتجاه المروري (اتجاه مروري واحد) لضيق الشوارع.

- الاستفادة من وسائل النقل العام التي تسير على

السكك الحديدية، والتي تعمل على الطاقة الكهربائية، وللحد من التلوث البيئي الناتج من دخان المركبات، وللحد من الضجيج الناتج من الحركة المرورية داخل مركز المدن العربية التقليدية.

. الاستفادة من الاستثمار السياحي بترميم البيوت التقليدية وتحويلها إلى فنادق ومطاعم ومراكز ثقافية؛ مما يحقق المحافظة على النسيج العمراني التاريخي لمركز المدينة التاريخي، ويساهم في تشجيع المشروعات الاستثمارية، ويجعل من مركز المدينة مركز جذب سياحي، إضافة إلى الدور الإيجابي الذي يمكن أن تحققه الأنشطة الثقافية والاجتماعية للمواطنين والزائرين، على أن تتم دراسة هذه المشروعات الاستثمارية بعناية فائقة من قبل الجهات المعنية.

. العناية بالساحات العامة في مراكز المدن العربية التقليدية، وتأمين أماكن مخصصة للجلوس، مع العناية بالمسطحات الخضراء والمائية، لكونها مناطق جذب والتقاء واستراحة؛ مما يساهم في تفعيل الجانب الإنساني داخل مركز المدينة، مع الاستفادة من هذه الساحات في الأعياد والمهرجانات.

. القيام بتوثيق جميع المباني التاريخية، وإنشاء قاعدة بيانات تساعد الباحث على حصوله على المعلومة التاريخية المطلوبة، من خلال وضع هذه المعلومات في مواقع خاصة على شبكة الإنترنت.

. ترميم المباني التاريخية بشكل يتوافق مع المعايير والشروط الدولية لأعمال الترميم.

المراجع والهوامش

١- المرسى الصفصافي أحمد. استانبول عبق التاريخ وروعة الحضارة، القاهرة، دار الآفاق العربية، ١٩٩٩م، ص١٢

٢- علي سيد رضوان، السلطان محمد الفاتح بطل الفتح الإسلامي في أوروبا الشرقية، جدة، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٩٨٢م، ص٣٥

٣- المصدر نفسه، ص٣٨ . ٣٩.

٤- المصدر نفسه، ص٦٧.

٥- المصدر نفسه، ص٦٩.

٦- آبا أوقطاي أصلان، فنون الترك وعمائرهم، إستانبول، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية بإستانبول، ١٩٨٧م، ص٢٢٥.

٧- عثمان محمد عبدا لستار، المدينة الإسلامية، القاهرة، دار الآفاق العربية، ١٩٩٩م، ص٣١٤.

٨- ريحاوي عبدا لقادر، قمم عالمية في تراث الحضارة العربية الإسلامية المعماري والفني، دمشق، وزارة الثقافة، ٢٠٠٠م، ج٢ ، ص٥٦٣.

٩- برجاوي سعيد أحمد، الإمبراطورية العثمانية تاريخها السياسي والعسكري، بيروت - الأهلية للنشر والتوزيع ١٩٩٣ م، ص٣١٤.

١٠- موقع بلدية إستانبول: www.istanbulbuyuksehirbelediyesi.com.

١١- المصدر نفسه.

١٢- المصدر نفسه.

١٣- موقع جميع السياحة والسيارات: www.turing.org.tr

- ورقة بحث مشاركة في ندوة مركز المدينة العربية التقليدية بين الحاضر والمستقبل، والتي عقدت بمدينة حمص في الجمهورية العربية السورية، بتاريخ ١ - يونيو (حزيران) ٢٠٠٤م.٩١ من ٩٠





قصائد قصيرة

يوسف عبدالعزيز علي

أسوان ــ مصر

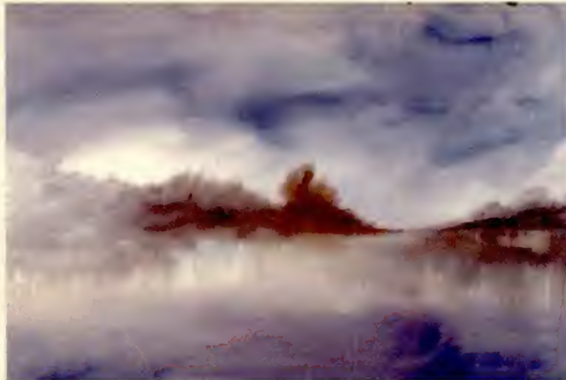
(إليه .. وقد دخل عقده الرابع)

مُحَاصَرًا بماءِ مَوْتِكَ البَطِيء،
تدخلُ الألفيَّةَ الجديدةْ،
تُرَاوِغُ السَّهْمَ الذي نَفَذْ
وتَرْتَجِي غدًا،
شُمُوسُهُ.. بعيدةْ!

سَمَاءُ وَقْتِكَ العَجُوز
غَادَرَتْهَا نَجْمَةٌ فريدةْ،
فَأَغْلَقَتْ ظلامَها عليكَ،
أَرْهَقَتْ عيونَك العنيدةْ،
فَصِرْتَ كالجَريحْ
تؤلمه آهاته العتيدةْ

مستسلمًا للظلِّ
والغبارُ يأكُلُكَ

تَنْتَظِرُ المُحَالَ، والخُرافِيَّ المُريبْ!
لعلَّ رَجْفَةً غَيْبِيَّةً
تَنْبُعُ مِنْ تَارِيخِكَ المَهِيبْ!



المـــكـــان

زينة المالكي

الطائف ـ السعودية

لهذا المكان حكاية
ولي في ثراه بداية
ولا شيء يشبه هذا الوجود
فاستبقت خطاي
على صهوة الريح
مسرجة بحنيني
أعانق جسد الهواء
وأوقد ذكرى السنين
في قناديلك المعتمة



أحدق في عنفوان النخيل
أتأمل أقفالك الواجمة
والصور المعدنية
وشمتك السنين
وفي طرقاتك نبت الخريف
وبين طلوعك حمى الرحيل
ورمل الغربة



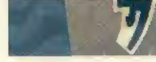
كأني بأشرعة المتعبين
تجوب البقايا
تلثم دفء اللقاء
وعناق البوح يضيء المدى
بمواويلهم...
فيبتهج النبض في ردهات
التأمل...



لا لم يطلني الجفاء رذاذا
ولم يذو وجدي بطول
الغياب
ولم تستبح الحضارة أمسي
ولمّا تذب بقلبي جذوته لنداء
المكان...
قد عدت والنبع لما يجف
تعبرني الريح لا أستدير
ليس بين.. وبين لحظة فاترة







المريضة

ميخائيل زوسشينكو

ترجمة: هاشم حمادي

أوكرانيا ـ الاتحاد السوفييتي

قطعت أنيسيا ثلاثين فرسخًا للوصول إلى المشفى الريفي. غادرت قريتها مع الفجر، وعند الظهيرة توقفت أمام مبنى أبيض من طابق واحد، وسألت الفلاح الجالس على السلم المؤدي إلى الداخل:

هل يستقبل الجراح؟

فسألها الفلاح باهتمام: الجراح؟ وهل أنت مريضة؟

ردت أنيسيا: مريضة.

ـ وأنا يا عزيزتي مريض أيضًا. لقد أفرطت في تناول الجريش... إن دوري السابع.

ربطت أنيسيا الحصان إلى السياج، ودخلت المشفى.

كان مساعد الطبيب، إيفان كوزميتش، هو الذي يستقبل المرضى.

كان قصير القامة، عجوزًا، لكنه معروف للقاصي والداني. الجميع يطرونه. ودونما سبب يلقبونه بـ «الجراح».

دخلت أنيسيا غرفته، وجلست على الكرسي، بعد أن حيته بانحناءة كبيرة.

ـ مريضة؟ ـ سأل إيفان كوزميتش.

ـ نعم، أقصد أنني مريضة جدًا، فكل عظمة في جسمي تؤلمني، وقلبي يكاد ينفطر.

وسأل الطبيب، بلا مبالاة: ما سبب ذلك؟ ومنذ متى؟.

ـ منذ الخريف يا إيفان كوزميتش. منذ الخريف بالذات. لقد أصابني المرض في الخريف. فما إن عاد زوجي، دميتري ناعوميتش من المدينة، حتى أصابني المرض. كنت حينها أقف لدى الطاولة أضع الأرغفة في الدقيق. كان دميتري ناعوميتش يحب هذه الأرغفة جدًا. وتساءلت: أين هو الآن يا ترى؟ فدميتري ناعوميتش في المدينة نائب سوفييتي.

وقاطعها الطبيب: اسمعي يا امرأة، بوسعك أن تكذبي، لكن لا تفرطي في التلفيق، قولي مم تشكين؟

وردت أنيسيا: إنني أقول لك.. بينما كنت واقفة لدى الطاولة، أرق الأرغفة... إذا بالعمة أغافيا تدخل على عجل، كأنها كبش غنم، وهي تصرخ، وتلوح بيدها: «تعالي يا أنيسيوشكا؛ تعالي بسرعة، يبدو أن زوجك وصل من المدينة، إنه آت يحمل كيسًا وعصا».

توقف قلبي عن الخفقان، وتقوست ساقاي. وبقيت واقفة، كما الحمقاء، ورحت أعجن أقراص الخبز... بعد ذلك تركتها، وجريت إلى الحوش.

كانت الشمس تسطع، والهواء في منتهى الخفة. وإلى اليسار، قرب الزريبة، كان يقف عجل أصفر، يكش الذباب بذيله القصير. ولم أكد أرى العجل حتى ترقرقت الدموع في عيني، وقلت لنفسي: لكم سيسر دميتري بهذا العجل الأصفر.

ـ اسمعي، هلا تحدثت في المهم ـ قال الطبيب بتجهم:

ـ إنني أتحدث يا إيفان كوزميتش المحترم. أرجوك ألاّ تغضب، فأنا في المهم أتحدث.. إذن اندفعت من البوابة وألقيت نظرة.

عن يساري طالعتني الكنيسة، ورأيت عنزة تسير، وديكًا يتبختر. أما عن يميني، وفي الوسط تمامًا فقد وقعت عيناي على دميتري ناعوميتش، كان قادمًا باتجاهي.

ولم أكد أراه حتى شعرت بأن قلبي ينفطر، وكدت أختنق، أوه يا إلهي. يا مريم العذراء... يا إلهي.

أما هو فكان يتقدم بخطى رزينة، قصيرة، ولحيته تتراقص في الهواء، وهو في ثياب المدينة، ويرتدي حذاء... ما إن رأيت الحذاء حتى شعرت أن شيئًا قد تمزق في داخلي، فأين أنا الجاهلة منه. وهو الإنسان الأول «النائب السوفييتي»... وهكذا تسمرت كما الحمقاء لدى السياج، لا تقوى ساقاي على الحركة.. ورحت أمرر بأصابعي على عيدان السياج، وأنا أقف في مكاني نفسه. أما هو، دميتري ناعوميتش، النائب السوفييتي، فقد دنا مني بمشية بطيئة، وسلم عليّ: «مرحبًا يا أنيسيا فاسيليفنا. منذ عهد بعيد لم نر بعضنا».

وبدلاً من أن أسارع، أنا الحمقاء، فأتناول الكيس من دميتري ناعوميتش. تسمرت عيناي على حذائه، ولم أحرك ساكنًا، وخطر لي أنه لا بد أن يكون قد سلاني، فهو في حذاء، وربما يتبادل الحديث مع بنات المدينة الشبيبيات.

وجاءني صوت دميتري ناعوميتش الجهير: «آه، لكم أنت جاهلة يا أنيسيا فاسيليفنا. عم سأتحدث معك من الآن فصاعدًا؟ فأنا إنسان متعلم، نائب سوفييتي، وربما أكون أتقن قواعد الحساب الأربع. إنني أعرف التقسيم.. أما أنت فجاهلة، لا شك أنك لا تعرفين كيف توقعين على الورق! إن رجلاً آخر كان سيتخلى عنك بكل بساطة بسبب جهلك وكونك غير متعلمة.

أما أنا فبقيت في مكاني قرب السياج، وأنا أتمتم بما معناه: «بالطبع يا دميتري ناعوميتش، من حقك أن تتخلى عني، أنا الجاهلة. لكنه يأخذني من يدي، ويقول: «إنها مجرد مزحة يا أنيسيا فاسيليفنا كفاك تفكيرًا، فأنا لا أقصد شيئًا. ما بالك...».

ومن جديد كاد قلبي يتوقف، وشعرت أنني على وشك الاختناق، وقلت له:

ـ اطمئن يا دميتري ناعوميتش. فأنا بالطبع أستطيع معرفة التقسيم والقواعد الأربع، وبوسعي التوقيع على الورق ولن أخذلك أنت المتعلم..

نهض مساعد الطبيب إيفان كوزميتش، عن كرسيه، وراح يذرع الغرفة، ثم قال:

ـ طيب، طيب، كفاك هذرًا. والآن مم تشكين؟

ـ مم أشكو؟ الآن لم أعد أشعر بأي ألم يا إيفان كوزميتش. يبدو أنني ارتحت قليلاً. إنني لا أشكو من صحتي. أما هو، دميتري ناعوميتش، فقال: «لقد مزحت!» كان ذلك مجرد مزاح، إذن؟

وقال مساعد الطبيب: كان يمزح، بالطبع. لقد كان ذلك مجرد مزاح، هل أعطيك مسحوقًا؟

ـ كلا، لا داعي، شكرًا لك يا إيفان كوزميتش على نصائحك. بالطبع، أشعر الآن بتحسن كبير. شكرًا جزيلاً، وإلى اللقاء.

وضعت أنيسيا صرة الحبوب على الطاولة، ومشت ناحية الباب، لكنها عادت:

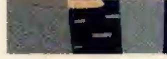
ـ هلا أخبرتني يا إيفان كوزميتش عن التقسيم، أين بوسعي تعلمه؟ هل أذهب إلى المعلم؟

ورد مساعد الطبيب: إلى المعلم، بالطبع إلى المعلم، فهذا ليس من اختصاص الطب.

حيته أنيسيا بانحناءة كبيرة، ثم خرجت.







الناس في مصر القديمة

تأليف: د.فوزي مكاوي

عرض: أماني عبد الرازق البيلي

فرسان ـ السعودية

يأخذنا هذا الكتاب في رحلة إلى عالم شديد الثراء والغموض والتشويق، كثيرًا ما تقنا إليه، وأحببنا أن نعرف عنه الكثير، فحضارة مصر القديمة موضوع قديم متجدد يثير خيال القراء وحماسة الباحثين، فهي حضارة تطاول الزمن عمرًا، وقد أثرت التاريخ الإنساني كله، كما أثّرت في أعظم الحضارات التي جاءت بعدها: فجاءها الإغريق يعبون من تراثها وحكمتها.

وللكاتب، كما لغيره، كتب وأبحاث متخصصة في هذا المجال قد لا تكون مطروقة للقارئ العادي .. لذا أحببت أن أطرح هذا الكتاب الذي يخاطب أساسًا عاشقي الحضارة المصرية القديمة من المثقفين الذين لا تترك لهم تخصصاتهم وقتًا للقراءة الموسوعية فيها، ويشير الكاتب إلى أن الخطوة القادمة هي زيارة المتحف المصري بالقاهرة والتعرف إلى محتوياته الرائعة التي عرض الكتاب بعضًا منها.

الأهرامات الثلاثة

ويقدم الكاتب في الفصل الأول (٥٦ صفحة) عرضًا لأهم أحداث التاريخ المصري القديم وشخصياته بإيجاز،



ويبدأ بالعصر الحجري (٢٠ ألف سنة ق.م) الذي انتهى بتوحيد مملكتي الشمال والجنوب (عام ٣٢٠٠ ق.م) على يد الملك نارمر الذي يظهر على لوحة التوحيد (١). ثم العصر العتيق (٣٢٠٠ ـ ٢٧٨٠ ق.م) الذي حكمت خلاله الأسرتان: الأولى والثانية. كانت هذه الفترة وقتًا حاسمًا في تاريخ الحضارة المصرية؛ إذ تقدمت فيها اللغة الهيروغليفية، وأصبحت أداة مرنة لتسجيل الأحداث، ثم الدولة القديمة التي حكمت خلالها الأُسَر من الثالثة إلى السادسة، وقد شهدت ازدهارًا حضاريًا هائلاً، ويكفي أن طفرة هائلة في فن البناء قد حدثت في الأسرة الثالثة ببناء هرم زوسر المدرج بسقارة الذي يعد أول بناء في التاريخ يقام كله من الأحجار، وارتفاعه ٦٦مترًا، كما شهدت الأسرة الرابعة حدثًا تاريخيًا عظيمًا وهو بناء الأهرامات الثلاثة الشهيرة التي تبقى من أعظم المباني التي شادها الإنسان على مر العصور.

إن مساحة هرم خوفو وارتفاعه ودقة مبانيه لتدل كلها على مدى التطور الذي وصلته مصر في ذلك العصر في كل نواحي الحياة، كما تدل على تطور علم

التابوت الذهبي للملك توت عنخ آمون



الرياضيات والهندسة عند المصريين القدماء بشكل مذهل، وقد أقر المحدثون أن نسبة الانحراف عن الصواب في تحديد الزوايا أو تربيع المساحات لا تزيد على جزء من عدة آلاف من الأجزاء، وقد قدرت أحجام الهرم الأكبر بمليونين وثلث المليون من الكتل الحجرية، متوسط وزن الواحدة طنان ونصف الطن، ويبلغ ارتفاعه ١٤٦ متراً وكل جانب من جوانبه ٢٣٠م.

وقد أقام خفرع هرمه في الجيزة أيضاً، وهو أقل قليلاً في الارتفاع والمساحة من هرم أبيه، ولكن موقعه أعلى مما يوحي بأنه أكبر. وخفرع يبدو هو الملك الذي حمل أبو الهول ملامحه، هذا الأسد الرابض ذو رأس إنسان يرمز إلى القوة والحكمة، وقد نحت من صخرة واحدة ليحمي الأهرامات. ويرجح الكاتب أن كاهل البلاد كان قد أثقل بهذين الهرمين، فجاء هرم منكاورع صغيراً جداً بالموازنة بسابقيه.

تدهور وتوحد

شهدت مصر في نهاية الأسرة السادسة ترديًا في الأوضاع الداخلية، وضعف الملوك، واستقل حكام الأقاليم بمناصبهم، واشتدت المظالم التي كان ضحيتها دائمًا الفلاح الصابر الذي ثار أخيرًا ثورة عارمة دمّر فيها كل شيء، ودخلت مصر فترة مظلمة من تاريخها استمرت خلالها تصارع آلامها إلى أن تغلبت عليها أخيرًا، وعرفت هذه الفترة التي استمرت أكثر من قرن بفترة الانتقال الأولى، وقد حكمت خلال هذه الفترة الأسر من السابعة إلى العاشرة، وشهدت محاولات لإعادة توحيد السلطة المركزية إلى أن تم ذلك في بداية الدولة الوسطى (الأسرتان الحادية عشرة والثانية عشرة ٢٠٥ ـ ١٧٨٦ ق.م) واستقرت الأوضاع الداخلية، واستعادت مصر قوتها وازدهارها، ولكن في أواخر حكم الأسرة الثانية عشرة دبّ الوهن في أوصالها، وبسقوطها دخلت مصر فترة الانتقال الثانية (١٧٨٦ ـ ١٥٦٧ ق.م) وكانت فترة مظلمة وغير واضحة المعالم في تاريخ مصر تَصَارَع في أولها أمراء الأقاليم المختلفة كل منهم يدعي الملك لنفسه، وفي خضم هذا الصراع زحف على مصر من حدودها الشرقية أقوام عرفوا في التاريخ المصري بالهكسوس، وقد كرههم المصريون وملؤوا كتبهم بسبهم ونعتهم بأحط الصفات، ونسبوا إليهم كل نقيصة حاقت بمصر خلال فترة وجودهم

كانت النوبة دائمًا امتدادًا لمصر، وسادت بها العبادات نفسها، ويذكر لملوكهم ترميمهم للمعابد، وإضافتهم إليها

بل إن قوائم الملوك في الكرنك قد أسقطت فترة حكمهم من تاريخ مصر، فقد أهانوا الشعب، ولم يحترموا عقائده، إلاّ أن تأثير الحضارة المصرية فيما يبدو قد طغى عليهم، فلم يلبثوا أن اتبعوا أساليب المصريين في الحكم والحياة، واتخذ ملوكهم أسماء مصرية. وقد ظلت مصر تعاني الاحتلال أول مرة في حياتها مدة تزيد على قرنين استمرت هذه الفترة حتى نجح أحمس في طردهم من مصر في عام ١٥٦٧ ق.م، وبذلك بدأت الدولة الحديثة، وقد حكمت خلالها الأسر الثامنة عشرة إلى العشرين التي سقطت في عام ١٠٨٥ ق.م.

نهضة عمرانية

وقد عني ملوك هذه الأُسَر بتعمير ما خربه الهكسوس في البلاد، واهتموا ببناء القلاع على الحدود وتأمينها، وانشغلوا بتوطيد أركان الدولة. وتميزت هذه الحقبة ببناء المعابد الرائعة في الكرنك وغيرها مما ينم على نهضة فنية رائعة.

ومن أشهر ملوك هذه الأسرة الملكة حتشبسوت التي تولت في البداية الوصاية على الملك الطفل تحتمس الثالث، ولم تلبث أن أزاحته عن العرش، وتوجت ملكة، وارتدت ملابس الرجال، وشهد عصرها اهتمامًا كبيرًا ببناء المعابد، وأشهرها معبدها الفريد في الدير البحري، وقد نجح تحتمس الثالث في استعادة ملكه بعد ثمانية عشر عامًا، واختفت الملكة حتشبسوت بصورة غامضة، كما طمس اسمها، وتعرضت تماثيلها لمحاولات تخريبية رهيبة، كما شهدت هذه الأسرة (أخناتون) وهو من أشهر شخصيات التاريخ المصري القديم، وقد دعا إلى عبادة القوة الكامنة خلف الشمس (آتون) وحده، ونبذ كل الآلهة الأخرى، وعدّه إله العالم، وليس إله مصر وحدها، وواجه أخناتون مقاومة عنيفة من الكهنة، فبنى لنفسه مدينة

(أخيتاتون)، وانتقل إليها مع زوجته الجميلة نفرتيتي، وأتباعه المخلصين، وتفرغ لعبادة إلهه إلى أن مات بصورة غامضة، وهجرت مدينته، واندثرت عبادته من بعده، وخلفه توت عنخ أمون زوج ابنته، وقد حظي بشهرة ذائعة عند العثور على مقبرته كاملة، وآثارها معروضة بالمتحف المصري، وكلها غاية في الروعة والدقة، ومطعمة بالذهب والأحجار الكريمة، وهنا يطرح الكاتب تساؤلاً بالغ الأهمية عن مدى ما نهب من آثار مصر إذا كانت هذه هي محتويات مقبرة ملك تولى الحكم طفلاً، وتوفي في الثامنة عشرة تقريبًا، ولم يكن له من الأمر شيء. فماذا كان يمكن أن نجد في مقابر ملوك مصر العظماء الذين طالت مدة حكمهم إلى نصف قرن، مثل رمسيس الثاني أشهر ملوك أسرة العشرين الذي يرى الكاتب أنه كان أشهر ملك في مصر القديمة، وذلك بسبب طول مدة حكمه الذي امتد سبعة وستين عامًا، وبسبب إنشاءاته الضخمة بطول مصر وعرضها وأشهرها معبداه بأبي سمبل.

ليبيّون ونوبيّون

وبعد انتهاء الدولة الحديثة شهدت مصر ما عرف بفترات الأسر المتأخرة (١٠٨٥ إلى ٣٣٢ ق.م)، ففي هذه الحقبة اعتلى عرش مصر ملوك غير مصريين في الأغلب، فقد حكمت مصر أسرة ليبية فترة امتدت أكثر من قرنين، وكانوا قد استوطنوا مصر في عهود سابقة، وقد أخذوا بالحضارة المصرية، وانخرطوا فيها، واتبعوا أساليبها. والجدير بالذكر أنه ظهر من بينهم بعض الملوك المصلحين الذين أخلصوا لمصر، ودافعوا عنها بحق. ثم اعتلى عرش مصر بعدهم ملوك نوبيون تقريبًا في الفترة من (٧٢٧ ق.م إلى ٦٥٤ ق.م).

ويشير الكاتب إلى أن المصريين والنوبيين لم يعدوا الأمر استعمارًا، إذ كانت النوبة دائمًا امتدادًا لمصر، وسادت بها العبادات نفسها، ويذكر لملوكهم ترميمهم للمعابد، وإضافتهم إليها، وقد تخللت فترة حكمهم صراعات متتالية مع الآشوريين انتهت بخروجهم من مصر، واكتفى الآشوريون باستمرار ولاء مصر لهم تحت حكم أمراء مصريين إلى أن غزاها الفرس في عام ٥٢٥ ق.م بقيادة قمبيز؛ ومما يذكر أن الفرس أتموا حفر القناة التي تربط بين النيل والبحر الأحمر. وكانت هناك ثورات ومحاولات للتحرر، لكنها كلها فيما يبدو لم تنجح إلى أن انتهى الحكم الفارسي لمصر على يد الإسكندر المقدوني الذي نظر إليه المصريون على الرغم من أصله الأجنبي، على أنه محرر مصر من الاحتلال الفارسي.

ازدهار الفن

والجدير بالذكر أن الفن في هذه الفترات المتأخرة لم يعان التدهور الذي عانته السياسة، فبقي الفنانون المصريون ينتجون أعمالاً غاية في الدقة والروعة، كما بقي الإغريق ينظرون إلى مصر على أنها مخزن الثقافة والحكمة، وجاء إليها أساطين الفكر الإغريقي، مثل سولون وأفلاطون، وغيرهما ليتعلموا من تراثها. وقد حرص الإسكندر على التقرب إلى المصريين، وإبداء

اهتم المصري القديم اهتمامًا بالغًا بالترفيه عن نفسه وأسرته، والاستمتاع بأوقات فراغه؛ فأقام الولائم والحفلات التي كانت في غاية البذخ، ونسقت الأزهار بها بشكل بهيج، وقدمت فيها الموسيقا والغناء

احترامه لعقائدهم. كما قام ببناء مدينة الإسكندرية الجميلة. وبعد وفاته دخلت مصر في العصر البطلمي نسبة إلى بطليموس بن لاجوس (٣٣٢ - ٣٠ ق.م)، وقد حرص البطالمة على عدم الاصطدام بالمعتقدات المصرية، كما ظهر ملوكهم على جدران المعابد المصرية بالأسلوب المصري التقليدي، واتخذوا الألقاب المصرية، وقد اهتموا ببناء دولتهم في مصر، فطوروا الاقتصاد، وأعادوا تنظيم الجيش، وفرضوا اللغة الإغريقية لغة رسمية للبلاد، وأنشؤوا الموانئ الجديدة، ورعوا العلم، وأنشؤوا مكتبة الإسكندرية العظيمة. ولكن أعقب ذلك الازدهار تدهور وضعف أديا إلى سقوط مصر في يد الرومان عام ٢٩ق.م. وبذلك ينتهي الفصل الأول.

داخل المجتمع المصري

يقدم الفصل الثاني دراسة في أحوال الناس في مصر القديمة وعدد صفحاته ٨١ صفحة، ويصطحبنا الكاتب خلال هذه الصفحات في جولة سريعة داخل المجتمع المصري، فترى البيوت والأسواق وتعرف إلى العادات والعبادات وألوان الترفيه وأنماط الثياب وطرائق صباغتها وطرائق تصفيف الشعر وشكل الأثاث

لم يعبد المصري القديم الظاهرة في ذاتها، ولكنه عبد القوة الخالقة لها، وتعددت الآلهة بسبب تعدد المجتمعات والظواهر، وتقبل الفكر المصري القديم حق الآخرين في اختيار عقائدهم

ولعب الأطفال وألوان الآداب والفنون والعقود المختلفة، حتى الشكاوى، كشكاوى الفلاح الفصيح التي قدمها للملك نب كاورع، وشكوى الضابط (٢)، كما تناول المؤلف كذلك تطور الصناعات المختلفة، والعلاقات التجارية بين مصر ودول العالم القديم، مثل بلاد بونت (الصومال الحالية) وفلسطين وفينيقيا وسورية وكريت وغيرها. وقد قسم هذا الفصل إلى نقاط:

أولاها: الأسرة والبيت، ويشير في هذه النقطة إلى أن الزواج كان من أهم الأسس التي يقوم عليها المجتمع المصري القديم، وكان يتم في سن مبكرة، ويبدو أن ذلك قد ساعد على قلة الانحرافات الخلقية. وكان الزواج يتم بناءً على رغبة متبادلة بين الشاب والفتاة يتوجها الوالدان بموافقتهما، وقد حرص المصري القديم على تسجيل عقود الزواج، وقد عثر على الكثير من العقود، أقدمها يعود إلى ٥٩١ ق.م (٣). وكانت واجبات الزوجة في البيت المصري القديم متعددة؛ فهي ترعى الأطفال، وتعدّ الطعام، وتعنى بالدار، وتعدّ الخبز بدءًا بطحن القمح، وتغزل الخيوط وتنسجها. وكان على الزوج أن يرعاها، ويوفر لها كل ما تحتاج إليه، ويتعهد بأن كل ما يملكه سيكون لأطفاله منها، وكانت العلاقة بين الزوجين يسودها الإخلاص والحب وحسن العشرة، وتتجلى هذه المعاني في التماثيل الكثيرة التي تبدو فيها الزوجة وهي تحيط زوجها بيديها بحنان ومودة (٤)، وقد صحبهما أولادهما أحيانًا. وكانت مكانة الأبوين ممتازة وإن تفوقت مكانة الأم، ونجد الحكيم ينصح ولده بقوله: «فتذكر أمك التي ولدتك، وأنشأتك تنشئة صالحة، فلا تدعها تلمك، وترفع أكفها إلى الله، فيستمع إلى شكواها» (٥).

أما الأطفال فكانوا يمارسون طفولة طليقة خلال سنوات عمرهم الأولى، وبعد ذلك يذهبون إلى المدرسة حيث يلقنون مبادئ الكتابة والقراءة والحساب، وعندما


امتلأت المعابد بالتماثيل التي تمجد ملوك الفراعنة

أحد المعابد المصرية القديمة


يبلغ الطفل الثانية عشرة تقريبًا يعهد به إلى كاتب في أحد دواوين الحكومة ليتتلمذ له ويصير كاتبًا ذا علم ومعرفة. وقد كان المصري القديم يفضل مهنة الكتابة على كل ما عداها من المهن الأخرى، وعثر على الكثير من البرديات تحث على العلم، وتعظم قدر العلماء وتقول إحداها: «إن الرجل المحظوظ هو الذي يضع العلم في قلبه». وكان الأطفال يتعرضون للعقاب إذا أهملوا واجباتهم، ولكنهم مع ذلك كانوا يمرحون على شطآن الترع والقنوات، وقد عثر على نماذج من ألعابهم متقدمة في الصناعة والفكر أيضًا. وكان لأبناء الملوك مدارس خاصة تلحق بالقصر الملكي، ويصاحبهم فيها أبناء كبار رجال الدولة، وفي بعض العصور انضم إليهم أبناء أمراء سوريا وفلسطين والنوبة، وكان يشرف عليهم عدد كبير من الوصيفات والأتباع يطلق عليهم الآباء المربون، وكان المصري القديم ينظر نظرة استعلاء إلى الشعوب الأقل منه تحضرًا، لكنه في مجتمعه كان حريصًا على أن يكون ممتازًا في عمله وعلاقاته بالآخرين، وكانت قواعد السلوك تحث على التعلم وعدم الغرور، والابتعاد عن الآثام وقرناء السوء، ونجد بتاح حتب (وزير من الأسرة الخامسة) ينصح ابنه قائلاً: «لا يداخلك الغرور بسبب الملك، ولا تتعال لأنك رجل عالم....» (٦).

كما كانت هناك قواعد خاصة للتعامل مع العظماء وأساليب للإصلاح بين المتخاصمين، وكلها تدل على الرقي والتقدم، فنجد أحد الحكماء من الأسرة التاسعة عشرة يقول: «إذا أردت إصلاح ذات البين بين المتخاصمين فأحسن اختيار ألفاظك...»، إلى أن يقول: «فحذار من فقد صداقة الأصدقاء» (٧). وبالنسبة إلى الميراث فإن التفاصيل غير معروفة لنا، كما يقول الكاتب، ولكن تدل الإشارات على توريث الأم والأب لأبنائهما، وكذلك الزوج لزوجته. ويوضح الكتاب كيف أثر اعتقاد المصري القديم بوجود

نقش جداري بمعبد إدفو



حياة ثانية أبدية في أسلوبه في بنائه لبيوته، فقد بناها من طين النيل وبعض الأعشاب؛ فهي مؤقتة كحياته فيها.. وهكذا ضاعت آثار المدن العظيمة في تاريخ مصر كطيبة ومنف، أما المقابر التي ظن أنها ستكون مقامه الدائم فقد تفنن في بنائها، واختار لها من مواد البناء أقواها على مغالبة الزمن، وكذلك فعل مع المعابد التي أولاها اهتمامًا عظيمًا، وكما نرى فقد ظلتا على مر العصور شاهدتين على دقة فن البناء ورقيه وروعته في مصر القديمة. وعلى كل فقد أمكن دراسة تطور البيت المصري القديم من خلال الاستثناءات التي عثر عليها. في البداية كان المنزل مجرد كوخ صغير من الطين ونباتات البوص والبردي وألياف النخيل، يتكون من غرفة واحدة ثم تطور وتعددت ردهاته وحجراته، وكان يتكون أحيانًا من طابقين، وتحيط به حديقة، وتزين جدرانه وتطلى من الداخل والخارج باللون الأبيض أو الأصفر في كثير من الأحيان، وأصبح يبنى باللبِن.

كما ضمت كل دار ما يشبه ورشة عمل صغيرة، واختلفت مساحة البيت ومستوى رفاهيته حسب مستوى مالكه، وعمومًا كان المنزل المصري القديم يحقق راحة العائلة واحتياجاتها الصحية والاجتماعية والاقتصادية، ولم يكن يخلو من الجمال أيضًا. ويدعونا الكاتب إلى تخيل تلك الحصر الملونة التي كانت تغطي الأرضيات والجدران، والمصابيح المتعددة الأشكال التي كانت توضع على قواعد عالية للانتفاع بضوئها إلى أقصى حد، والمواقد التي كانوا يستدفئون بنارها شتاء والمقاعد والأسرة، وما يخص الملوك منها كان يطلى بالذهب (٨)، وكانت قوائم بعضها كقوائم الحيوانات، ولا ننسى الحشايا والوسائد المصنوعة من الجلد أو القماش، وقد رسمت عليها أزهار أو أشكال هندسية ملونة. وكانت موائد الطعام تصنع من الحجر بقوائم قصيرة، ثم صارت أعلى في عصور لاحقة. وتجدر الإشارة إلى أن المائدة المصرية كانت زاخرة بألوان متعددة من الطعام، حتى إن الخبز وحده كان أربعين صنفًا. وقد صنع المصري صناديق من الخشب زينت بالرسوم والنقوش المختلفة لحفظ أدواته وثيابه التي عرف صناعتها منذ أقدم العصور، وكانت في البداية مجرد ساتر للعورة، ثم تطورت واختلفت حسب اختلاف العصور والطبقات والأعمار والمهن أيضًا، وكانت الطبقات الأدنى تقلد الطبقات الأعلى التي لا تلبث بدورها أن تنتقل إلى أنماط جديدة. ولم تعرف مهنة حائك الثياب، وإنما كانت كل أم تقوم بصناعة ثياب أسرتها بنفسها، وقد عرفت السيدات تصفيف الشعر بطرائق مختلفة، وظهرن على النقوش والوصيفات يصففن شعورهن، وقد عرفن استخدام الشعر المستعار، وكذلك استخدمه الرجال، كما استخدموا اللحى

المستعارة أيضًا وكانت اللحية تكبر كلما ارتفع شأن صاحبها، وقد حرص المصري القديم على النظافة والتزيين، وأنتج مادة تساعد على التنظيف، كما صنع الفراجين لتنظيف الأسنان من الحلفاء والجريد وغيرهما، وكان يحول أطرافها إلى شعيرات بالدق عليها. واستخدم كذلك طاقات الأزهار، كما استخدم مساحيق التجميل التي تم استيراد بعضها، وتعددت العطور، ويكفي أن الميت كان يزود بسبعة أنواع من العطور، ونوعين من الكحل. كما عثر على أشكال متعددة من المرايا التي كانت تصنع من البرونز المصقول، كما أتقن المصري القديم صناعة الحلي التي عدّها المختصون رائعة، حتى بمقاييس العصر الحديث (٩). كما عرف النعال منذ عصوره المبكرة، ولكن استخدامها لم يصبح إلا في الدولة الحديثة. وقد اهتم المصري القديم اهتمامًا بالغًا بالترفيه عن نفسه وأسرته والاستمتاع بأوقات فراغه؛ فأقام الولائم والحفلات التي كانت في غاية البذخ، ونسقت الأزهار بها بشكل بهيج، وقدمت فيها الموسيقا والغناء اللذين شهدا تطورًا أعجب به الإغريق، وكانا يقدمان أيضًا كنوع من الطقوس الدينية، وكذلك التمثيل الذي كان يعرض صراعًا بين الخير والشر ينتهي بانتصار الخير. وقد استمتع المصري القديم بقضاء يومه على شاطئ النيل، وبصيد النهر والبر، وتصوره النقوش وهو يصطاد الطيور وبصحبته أسرته، كما صنع قوارب خصيصى للنزهة على صفحة النهر؛ وعرف الرياضات المختلفة، كالمصارعة والمبارزة ورفع الأثقال والرماية والكرة، وغيرها، ويبدو أنه كانت تقام بها المسابقات.

الاقتصاد

وينتقل الكاتب بعد ذلك إلى الحياة الاقتصادية في المجتمع المصري القديم التي شملت الزراعة، وتربية الحيوان، والصناعة، والتعدين، والمواصلات، والتجارة، ويبدأ بالزراعة وتربية الحيوان، مشيرًا إلى أن ازدهار الزراعة بمصر القديمة كان بفضل ذلك النهر الفتي الذي يتدفق من جنوب مصر إلى شمالها حاملاً معه الخصب والنماء. وقد زرع المصري القديم القمح والشعير والكتان والكروم والزيتون والتين والنخيل والجميز والكثير من الفواكه والخضراوات والبقول، وكان يخزن حاجته من الحبوب في صوامع من الفخار أو الخشب لها فتحة من أعلى للتخزين، وباب من أسفل للاستهلاك، وما يفيض عن حاجته كان يصدره. كما استأنس المصري القديم أنواعًا كثيرة من الحيوانات والدواجن لينتفع بها، وعني بها عناية فائقة، وبنى لها حظائر نظيفة.

وبعد ذلك ينتقل الكاتب إلى الصناعة، التي اعتمدت على عنصرين: الأول: هو العامل الماهر، والثاني: هو المادة الخام. وقد ادعى بعضهم، ومنهم هيرودوت، أن العامل كان يعمل في ظل القهر والسخرة إلا أن المؤلف هنا يرفض هذا الادعاء ويشير إلى أن هذا الإبداع الفني الدقيق لا يمكن أن يكون نتاج إنسان مقهور يعمل تحت السخرة، وبالنسبة إلى المواد الخام فقد توافر بعضها، كما استورد المصري القديم ما احتاج إليه منها، ونلاحظ تفوق الصناعات الزراعية، فمثلاً نبات البردي الذي ينمو

الزواج كان من أهم الأسس التي يقوم عليها المجتمع المصري القديم، وكان يتم في سن مبكرة، ويبدو أن ذلك قد ساعد على قلة الانحرافات الخلقية

بغزارة حول المجاري المائية صنعت منه القوارب الخفيفة والحبال والنعال والسلال والحصر التي لونها المصري القديم وزخرفها بأشكال هندسية جميلة، كما استخدمه في بناء أكواخه المبكرة وإن كان أشهر ما صنعته مصر من البردي هو الورق الذي احتكرت صناعته لعصور طويلة، وصدرته إلى دول العالم القديم، ويكفي أن نعرف أن ما كانت تنتجه عقول علماء أثينا في فترة ازدهارها كان محدودًا بكمية البردي التي تصل من مصر، كما ازدهرت صناعة النسيج، وكان يصنع من الكتان، واستخلص المصري القديم الصبغات المختلفة لتلوين الأقمشة، وكانت ثابتة لا يتغير لونها بالماء أو الأحماض، كما استخدمت الأخشاب المحلية والمستوردة في صناعة الأثاث وآلات الزراعة والسفن الكبيرة والتوابيت، وعرف المصري أيضًا صناعة الفاكهة المجففة مثل: العنب، والبلح، والتين، والنبق، وحب العزيز. وقد عثر على ثمار مجففة من الأسرة الـ ١٩. كما استخلص الزيوت المختلفة مثل: زيت بذرة الكتان، والخس، والقرطم، والسمسم، والخروع، والحنظل، والزيتون، واستخدمها لأغراض مختلفة مثل: الطهي، والتدليك، والتطهير، والإضاءة، والتلوين، والطب، والطقوس الدينية. وكذلك برع المصري في صناعة الفخار من طمي النيل وزخرفه ولونه، وكان يدويًا، ثم ابتكر عجلة الفخراني.

كان المصري القديم ينظر نظرة استعلاء إلى الشعوب الأقل منه تحضرًا، لكنه في مجتمعه كان حريصًا على أن يكون ممتازًا في عمله وعلاقاته بالآخرين

ويشير الكاتب إلى أنه من الطريف أن الإنتاج صار بعدها أقل جمالاً وإتقانًا، إذ طغى الكم على الكيف. وقد عرف المصري صناعة الزجاج المصبوب وعرف تلوينه، كما صنع الخرز والفسيفساء وشباك الصيد والغرابيل وغيرها مما احتاج إليه في حياته.

وينتقل الكاتب إلى التعدين مشيرًا إلى دوره المهم في تطوير الحياة بمصر؛ فقد اكتشف المصري القديم النحاس في عصر سابق على تحقيق الوحدة، ثم اكتشف البرونز واستخدمه في صناعة أسلحته وأدواته، كما عرف الحديد، وإن لم يستخدمه على نطاق واسع إلا في الدولة الحديثة. كذلك استطاع المصري القديم أن يستخلص الذهب والفضة التي كانت أغلى ثمنًا لندرتها، كما استخلص الأحجار الكريمة واستخدمها في الحلي، وقد تفنن في قطع الأحجار المستوية الجوانب بأنواعها المختلفة كالحجر الجيري والصوان والحجر الرملي والجرانيت والمرمر، وهو نوع من الأحجار يخترقه الضوء.

وينتقل أخيرًا إلى المواصلات والتجارة؛ فقد استخدم المصري القديم السفن الصغيرة والكبيرة حسب الغرض، وقد أبحر في النيل والبحرين الأبيض والأحمر، واستخدم برًا الحمير والخيول والثيران في التنقل ونقل المحصولات، وبالنسبة إلى التجارة الخارجية فقد عرفت منذ عهد الدولة القديمة، وكان لها عصور ازدهار واضمحلال حسب قوة الدولة أو ضعفها، وبالنسبة إلى التجارة الداخلية فقد كانت المقايضة هي وسيلة التعامل.

الإبداع العلمي والأدبي

وينتقل الكاتب إلى مجال العلوم والآداب، ويبدؤه بالإشارة إلى المكانة الكبيرة التي تمتع بها العالم والأديب في مصر القديمة، وكيف حظيا بالوظائف السامية،



أبو الهول أشهر ما تركه المصريون من آثار

والتقدير العظيم، وقد ساعد ظهور الكتابة على تقدم العلوم والفنون؛ فظهرت الدراسات الفلسفية العميقة، كما ساعدت على وضع الأسس الثابتة للتقويم، فقد قسم المصري السنة إلى ثلاثة فصول: فصل فيضان، وفصل الزرع، وفصل الحصاد. كما قسم اليوم إلى ساعات النهار التي عرفها بقياس الظل، وابتكر ساعة مائية لقياس ساعات الليل. واستخدم المصري عدة طرائق للكتابة، فمثلاً المعاملات والقوانين استخدم لها كتابة أكثر اختزالاً من تلك التي كتبت على جدران المعابد والمقابر.

وبلغ المصريون القدماء تقدمًا عظيمًا في الطب، وأقدم طبيب مشهور هو إيمحتب وزير الملك زوسر من الأسرة الثالثة (١٠). ولم يقتصر الأمر على وجود الطبيب العام، بل عُرف الاختصاصيون أيضًا، فهناك طبيب الأسنان، وطبيب العيون، والطبيب الباطني، وطبيب الأطفال، وطبيب أمراض النساء، وطبيب أمراض الأطراف، والطبيب البيطري، وقد عثر أيضًا على برديات طبية تدل على عمق خبرة الأطباء المصريين، وبعضها يقدم حالات جراحية متنوعة، كما يذكر معلومات مدهشة عن المخ، ويرجح الكاتب أن الطب قد عرف الكثير عن أسرار جسم الإنسان من تجارب المصريين في التحنيط الذي ما زال سرًا لم يصل إليه العلم بعد، ويكفي أن مجموعات المومياوات الموجودة الآن في المتاحف التي تعود إلى ثلاثة آلاف سنة ق.م ما زالت تحتفظ بمعالم أصحابها وشعورهم ورموش عيونهم (١١).

وبلغ المصري في علم الرياضيات والهندسة تقدمًا عظيمًا بُهر به الإغريق الأقدمون، ويذكر الكاتب ما أشار إليه أفلاطون في كتابه «القوانين» من إعجابه بمستوى الرياضيات في مصر، حتى إنه دعا مفكري الإغريق إلى أن يتذكروا فضل المصريين عليهم في هذا المجال، وتنطق بذلك الآثار التي تميزت بالدقة الشديدة سواء منها ما كبر حجمه كالأهرامات أو مادق حجمه كالأحجار الكريمة، وقد بلغ المصري القديم في ميدان الأدب مكانة عظيمة، وعلى الرغم من قلة ما عثر عليه إلا أنه يشير إلى ثراء هذا الإنتاج الذي شمل كل أنواع الأدب المعروفة لنا اليوم تقريبًا كالشعر والنثر والقصة والأسطورة والملحمة والنصيحة والحكمة والمديح والهجاء والمثل والنشيد والأدب التعليمي والنقد والتوجع والرسائل وأدب

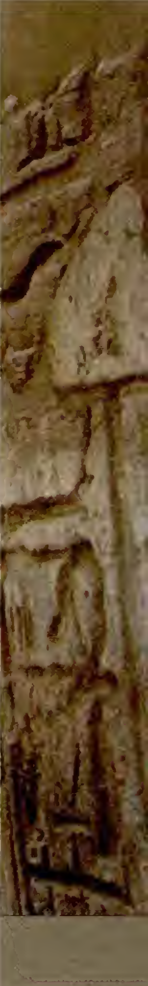


التراجم والرحلات والغزل، وقد عبر النتاج الأدبي بصدق عن ظروف الحياة والبيئة في مصر القديمة إلا أن كثيرًا منها يبدو كأنه كتب في العصر الحديث خاصة ما يتناول منها الحكم والنصائح أو وصف المشاعر والطبيعة، حتى إن شكوى مؤلف في الأسرة الثانية عشرة تبدو مألوفة لنا وهي صعوبة الوصول إلى شيء جديد.

وقد قدم الكاتب عدة نماذج متنوعة من الأدب المصري القديم أحدها من أدب النصيحة والحكمة لملك ينصح ابنه وولي عهده فيقول له: «أن يهدئ من روع الباكي، ولا يظلم الأرملة، وألاّ يحرم إنسانًا من ثروة أبيه أو يطرد موظفًا من عمله.. وأن يحمي الحدود ويشيد الحصون..» إلى آخره، كذلك الشاعر الذي يصف حبيبته بأنها «جميلة العينين عندما تنظر، حلوة الشفتين عندما تتحدث، طويلة العنق.. إلى أن يقول.. أصابعها مثل براعم اللوتس.. ما أرشق قدها عندما تسير، لقد سلبت قلبي».

ويتناول الكاتب الفنون والعمارة في مصر القديمة، ويرى أن أبرز الفنون المصرية هي الرسم والنقش والتصوير والنحت، ولكنها خضعت لقانون الاتجاهات المستقيمة في الفن.

وقد حافظ المصري على تقاليده في الفن، ولم يحد عنها إلا قليلاً طوال عصوره الفرعونية، وربما لغرض ديني خاص. وقد شمل الفن المصري الآثار الضخمة كالأهرام وأبي الهول والمعابد، كما شمل أعمال الصياغة والنقش على الأحجار الكريمة، وشمل التماثيل العظيمة التقليدية للملوك، كما شمل التماثيل غير التقليدية؛ وهناك أمثلة يعدّها الفنانون أعظم صور العصور القديمة، وأكثرها فردية وإثارة للعواطف مثل: رأس الملكة نفرتيتي بمتحف برلين، وتمثال الكاتب الجالس القرفصاء بمتحف اللوفر، وتمثال شيخ البلد بالمتحف المصري.. وقد حرص الفنان المصري على أن يظهر



الأشياء على حقيقتها دون مراعاة لقواعد الرسم، فإذا رسم مثلاً إناء به فاكهة، رسم الفاكهة كاملة دون مراعاة لعدم شفافية الإناء ويرجع ذلك إلى اعتقاده أن الأشياء والأشخاص المرسومة ستتحول إلى أشياء حقيقية عند البعث، كما كان أهم الأشخاص يظهر أكبر حجمًا مما عداه.. ويقدم الكاتب أمثلة ونماذج لذلك، كما يعرض لتطور الفن خلال العصور المختلفة. وعمومًا نجد الفن المصري يُشعِر الرائي بالوقار والخلود، بينما الفن اليوناني يُشعِر بالحياة والحركة، وإن كان هناك الكثير من الأعمال الفنية المصرية التي تموج بالحركة والحياة. وفي العمارة بلغ المصري القديم الذروة، وقد بدأ باستخدام الطمي، وجعل الأعمدة حزمًا من نبات البردي، ثم استخدم الأحجار في بناء المعابد والمقابر الضخمة، وجعل الأعمدة تحاكي شكل حزم البردي أو النخلة، أو جعل لها تيجانًا على شكل زهرة اللوتس. أما المسلات التي تميز بها الفن المصري القديم فقد كانت مثالاً للروعة والدقة. وقد حظي مهندسو المسلات بمكانة مرموقة في المجتمع المصري القديم، ولا شك أن نحت المسلة من حجر واحد، ونقلها من أسوان إلى مكانها وإقامتها التي كانت تتطلب دقة وحذرًا بالغين؛ إذا لم تهبط ببطء وحرص لتستقر على قاعدتها كما ينبغي فمن المحتمل أن تتعرض للكسر، ويضيع جهد سنوات من العمل؛ كل هذا يدل على مدى كفاءة الفنان المصري القديم. وأقدم مسلة لمعبد ما زالت قائمة في مكانها الأصلي، وهي تلك التي أقامها سنوسرت الأول في هليوبوليس، وارتفاعها ٦٨ قدمًا (١٢).

الدين

وننتقل إلى آخر جزء في الكتاب وهو «الحياة الدينية والجنائز» وقد قسمه المؤلف إلى قسمين: الأول: هو العقائد، والثاني: هو الموتى والعالم الآخر، وهنا يشير الكاتب إلى أن نشأة العقائد في مصر متلازمة مع نشأة الحضارة فيها، ومن الواضح أنها تأثرت تأثرًا عميقًا بظروف البيئة المصرية والظواهر الطبيعية التي حكمتها، فمثلاً: فيضان النيل المنتظم كل سنة والرياح والأمطار والشمس ردها المصري إلى قوى عليا تحركها، وقد كانت هذه الظواهر وغيرها قد تحمل إليه الخير أو الشر، ومن ثم فإن مشاعر الحب والخوف قد شكلت تلك العقائد.. ولم يعبد المصري القديم الظاهرة في ذاتها، ولكنه عبد القوة الخالقة لها، وتعددت الآلهة بسبب تعدد المجتمعات والظواهر، ومما يذكر أن الفكر المصري القديم تقبل حق الآخرين في اختيار عقائدهم.

وبالنسبة إلى الموتى والعالم الآخر فقد كان إيمان المصري بالبعث والحياة الأبدية يدفعه إلى الاهتمام اهتمامًا بالغًا بالمقابر، والطقوس الجنائزية، وتحنيط الموتى، وقد اعتقد اعتقادًا راسخًا أن الرجل القويم الذي ستبرئه محكمة الموتى هو فقط الذي سينعم بالحياة السعيدة في العالم الآخر، وقد تصور تلك الحياة مثل حياته في بلاده يفيض بها النيل، وتزدهر الزراعات، وهو يحيا بها حياة أبدية، ويأكل طعامًا شهيًا.. وما إلى ذلك، أما الأشرار الذين لا تبرأ ساحتهم أمام المحكمة فسيذهبون إلى عالم للعذاب مملوء بالحيوانات المفترسة والزواحف السامة، ويعرض المؤلف الأشياء التي يأخذها الميت معه في قبره اعتقادًا منه أنها ستنفعه في حياته الأبدية. ويتناول التحنيط ودفاع الميت عن نفسه أمام محكمة الموتى، فيقول في دفاع طويل: «لم أرتكب ذنبًا.. لم أضلل الرعية.. ما قسوت على فقير.. لم أقتل.. لم أطفف الكيل والميزان... إلى أن يعلن أني طاهر». وهكذا نصل إلى نهاية الكتاب الذي يلقي الضوء على حياة الفراعنة القدماء وتاريخهم.



تقدمت اللغة الهيروغلوفية في عصر الفراعنة حتى أصبحت أداة مرنة لتسجيل الأحداث

الهـــــــوامش

١. اللوحة موجودة بالمتحف المصري بالقاهرة تحت رقم ٣٠٥٥.
٢. موجودة بالمتحف المصري القاعة ٢٩.
٣. هناك عقد بالمتحف المصري يرجع تاريخه إلى ٢٣١ق.م.
٤. يوجد تمثال للملكة (تي) وزوجها (أمنحتت الثالث) بالدور الأرضي القاعة ١٨ بالمتحف المصري.
٥. ص ٧١ بالكتاب.
٦. ص٧٢ بالكتاب.
٧. ص ٧٣ بالكتاب.
٨. مجموعة توت عنخ آمون بالمتحف المصري تحوي نماذج رائعة.
٩. توجد مجموعات رائعة من الحلي بالمتحف المصري بالقاعات ٣٥، ٤٤ بالطابق السفلي، و ٢، ٩ بالعلوي.
١٠. وكان أيضًا عالمًا وفلكيًا ومهندسًا، وإليه ينسب الفضل في بناء هرم زوسر المدرج بسقارة.
١١. توجد مجموعة نادرة من مومياوات الملوك بالطابق العلوي بالمتحف المصري بالقاهرة.
١٢. توجد مسلة في باريس في ميدان الكونكورد الشهير، واثنتان في لندن ونيويورك، كما يوجد عدد منها في روما بالإضافة إلى الموجودة في مصر، وأشهرها اللتان بالكرنك.



حــوار

البروفسور الياباني طيب المختار موتو

طريقــتنا في الدعـوة إلى الإسلام مختلفة!!

أجراه: سمير عبد الحميد إبراهيم

الرياض ــ السعودية

تشهد العلاقات اليابانية السعودية في الفترة الأخيرة تطورًا ملحوظًا، سواء كان ذلك على المستوى الرسمي أو الشعبي. وقد شمل هذا التطور عدة مجالات، منها: التجارية والثقافية والرياضية وغيرها، وهذا ما يدعم العلاقات الحميمة بين البلدين الصديقين المملكة العربية السعودية واليابان.

ومن ملامح تطور العلاقات بين البلدين الاهتمام بإقامة عدد من الندوات في المملكة العربية السعودية واليابان تهدف إلى إقامة حوار بين المثقفين والمسؤولين الذين يناقشون أساليب زيادة دعم هذه العلاقات وطرائقها، ومن ملامح تطور العلاقات بين البلدين أيضًا تبادل الزيارات بين المسؤولين، لبحث سبل تطوير هذه العلاقات. وهكذا تأتي زيارة البروفسور طيب المختار موتو الأستاذ في مركز دراسات الشريعة الإسلامية في جامعة تاكشوك ضمن سلسلة زيارات قام بها عدد من اليابانيين لمؤسسة الملك فيصل الخيرية، للاطلاع على أنشطة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، والاستفادة من الخدمات التي يقدمها المركز للباحثين من جميع أنحاء العالم.

ولم تكن هذه الزيارة هي الأولى لمسؤول من جامعة تاكشوك، فقد سبق أن زار رئيس جامعة تاكشوك البروفسور فوجيتو مركز الملك فيصل قبل عام، يرافقه البروفسور نور الدين موري أستاذ العلاقات الدولية ورئيس قسم دراسات الشريعة في الجامعة،



وعدد من الضيوف اليابانيين الذين قدموا للمشاركة في مهرجان الجنادرية، ومن هنا حرصت الجامعة على إقامة علاقات تعاون مع مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، وتأتي زيارة البروفسور طيب المختار موتو ضمن هذا الإطار.

كان اللقاء مع البروفسور موتو في المركز وديًا لما تربطه مع القائمين عليه من علاقات طيبة فلم يأخذ طابع اللقاءات الرسمية مما أتاح الفرصة لمناقشة عدد من القضايا بوضوح وصراحة.

وحين طلبت من البروفسور موتو أن يقدم نفسه لقراء الفيصل ويعرف بنفسه، قال:

انتظر لا بد أن أشكر أولاً القائمين على مجلة الفيصل، لأنهم يرسلون أعدادها إلينا في اليابان منذ سنوات، منذ أن زرنا مكتب المجلة في أثناء الاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية الحديثة.

ذكر البروفسور موتو أن اسمه بالكامل هو «هيديومي موتو» وهو الاسم المثبت في جواز السفر، أما اسمه الإسلامي المعروف به فهو طيب المختار. ثم قال :

الياباني حين يدخل الإسلام، يختار هو بنفسه أو يختار له الشيخ الذي أسلم على يديه اسمًا إسلاميًا، يوضع في شهادة إسلامه، وهذا لا علاقة له بالاسم المثبت في جواز السفر الذي لا يتغير بالطبع.

ماذا عن المولد والحالة الاجتماعية ؟

ضحك البروفسور موتو قائلاً:

أنا عجوز. انظر شعري كله أبيض مثل الثلج. . وعلى كل حال أنا من مواليد نوفمبر/تشرين الثاني عام ١٩٤١م، ولدت في مقاطعة تينشين بالصين، ولكني عشت حياتي كلها في اليابان.

وعن دراسته قال :

درست في كلية التجارة بجامعة تاكشوك، وحصلت على بكالوريوس التجارة عام ١٩٦٥م، وبعدها سافرت إلى مصر حيث التحقت بكلية الشريعة في جامعة الأزهر، وتخرجت عام ١٩٧١م.

وعن خبراته العملية ذكر البروفسور موتو أنه بدأ حياته العملية عام ١٩٧٢م محاضراً في معهد كنيو للغات الأجنبية في طوكيو، بالإضافة إلى عمله في شركة الزيت العربية، التي التقطت هي وشركات البترول اليابانية الأخرى معظم اليابانيين المسلمين الذين درسوا في مصر في تلك الفترة ليعملوا فيها.

ومن خلال حديثه ذكر أنه قضى جل عمره يخدم دعم العلاقات العربية اليابانية من خلال عمله في شركة الزيت العربية، وحين طلبت منه أن يفصل الحديث عن هذا الأمر قال :

لقد أرسلتني الشركة إلى الخفجي عام ١٩٧٥م، وهناك عشت أربع سنوات تقريبًا حتى عام ١٩٧٩م، وبعدها عينتني الشركة نائبًا للمدير في الكويت مدة طويلة امتدت حتى عام ١٩٨٤م، رجعت بعدها إلى طوكيو. لأعمل منسقًا عامًا للشركة، لكني رجعت مرة أخرى إلى الكويت عام ١٩٩٠م لأعمل سنتين نائبًا للمدير العام.

معنى هذا أن ارتباطك كان دائمًا بشركة الزيت العربية ؟!

نعم مع أنني كنت أقوم بإلقاء المحاضرات في معاهد مختلفة، لكن التزامي كان حتى آخر لحظة مع الشركة. . حتى عام ٢٠٠١م.

يعني هذا أنك عملت في أماكن أخرى ؟!

نعم. . فرضت الظروف نفسها. . ففي عام ١٩٩٥م حتى عام ١٩٩٧م كنت أمينًا عامًا لمنظمة تطوير الاستثمارات اليابانية في السعودية، وكانت هذه فرصة لي، لأتردد كثيرا إلى المملكة العربية السعودية، برفقة رجال الأعمال، أو لحضور مؤتمرات أو ندوات.

هل تذكر لنا بعضها ؟

نعم حضرت مؤتمر الاحتفال بالمئوية هنا بالرياض عام ١٩٩٩م، وفي ذلك الوقت زرت مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، وقد شاركت في المؤتمر ببحث عن أنشطة تطوير الاستثمارات اليابانية في المملكة العربية السعودية، نال استحسان المهتمين بالموضوع، وقد طبع ضمن بحوث المؤتمر، وهو باللغة الإنجليزية.

وحين طلبت من البروفسور موتو أن يحدثنا قليلاً عن نشاطه الإسلامي في اليابان، فهو مسلم ياباني

إننا بحاجة إلى المساعدة في أمور محددة. وهي اختيار كتب الشريعة والكتب المتعلقة بها وتقديمها لمركزنا، وكذلك العمل على تنظيم برنامج لتبادل الزيارات

تخرج في كلية الشريعة بالأزهر. ولا بد من أن تكون له أنشطة في مجال الدعوة الإسلامية وخدمة الإسلام؟

ضحك وقال:

اسمع . . اسمع. . أنا لا يمكن أن أقول: إنني داعية أو أقول: إنني أدعو إلى الإسلام؛ لأن هذه مسؤولية، وأنا كنت معظم الوقت خارج اليابان أو مشغولاً في الشركة، لكن من خلال عملي في الشركة أو في المؤسسات التعليمية كنت أخدم الدعوة الإسلامية، وأعرف بالإسلام بشكل غير مباشر مع بقية إخواني من اليابانيين المسلمين ومن المسلمين غير اليابانيين المقيمين في اليابان.

حين طلبت منه أن يوضح عبارته قال :

مثلا أنا كنت نائب مدير جمعية الطلبة المسلمين في اليابان منذ عام ١٩٦٢م حتى عام١٩٦٥م، كما أنني عضو بجمعية مسلمي اليابان منذ عام ١٩٦٢م حتى الآن، وأنا أحد مديري جمعية مسلمي اليابان منذ عام ١٩٩٢م حتى الآن، هذا بالإضافة إلى رئاستي للجنة الشريعة الإسلامية في جمعية مسلمي اليابان منذ عام ٢٠٠١م حتى الآن ..

قلت له: هذه مناصب، ربما تكون مناصب فخرية؟

فقاطعني :

لا . . في اليابان هذه مسؤولية كبيرة، فكل منصب يستلزم الارتباط بأمور كثيرة تخدم الدعوة الإسلامية، وكل منصب يتطلب مني عملاً، ووقتًا، وجهدًا . . فقاطعته:

لكن هل تنال مكافأة ؟!

فرد بسرعة :

لا. هذا عمل تطوعي. . نحن ندفع اشتراكات لجمعية مسلمي اليابان من مرتباتنا . . وهناك نفقات كثيرة، ولهذا فالاشتراكات لا تكفي. . ونغطي النقص من تبرعات أهل الخير في البلاد الإسلامية ومن الدخل الذي يعود على الجمعية من خلال تقديم خدمات معينة.

مثل ماذا؟

مثل إصدار شهادة لبعض الشركات تفيد أن هذا المنتج حلال، أو تقديم استشارة لشركات معينة مقابل مبلغ معين.

وهنا وجدت نفسي أسأله عن هذه النقطة بالذات: لأن مسألة الحلال والحرام فيما يتعلق بالمنتجات الغذائية، تحتل أحيانًا صفحات في الصحافة اليابانية، وفي صحافة البلدان الإسلامية المجاورة مثل إندونيسيا وماليزيا، حتى تثار هنا في المملكة العربية السعودية: وذلك لوجود منتجات غذائية مستوردة من اليابان، وطلبت من البروفسور موتو أن يوضح هذه النقطة وما يتعلق بها ودورهم كمسلمين يابانيين سواء من داخل جمعية مسلمي اليابان أو من داخل لجنة الشريعة في مركز دراسات الشريعة لجامعة تاكشوك فقال موضحًا :

شهادة المنتج الحلال شهادة مهمة جدًا في اليابان، وهي مهمة من أجل الدعوة الإسلامية، بصرف النظر عن الأهمية التجارية، فجمعية مسلمي اليابان تصدر هذه الشهادة للشركات والمؤسسات التي تصدر منتجاتها الغذائية للبلاد الإسلامية، وذلك بالتعاون مع لجنة الشريعة بمركز دراسات الشريعة في جامعة تاكشوك، وهناك فريق عمل يقوم بالاتصال بالشركات، وأخذ عينات المنتج إلى المختبرات إن كان الأمر يستلزم ذلك، ثم رفع تقرير إلى اللجنة، وبعد موافقة اللجنة في

لا يمكن أن أقول: إنني داعية أو أقول: إنني أدعو إلى الإسلام: لأن هذه مسؤولية، لكن من خلال عملي كنت أخدم الدعوة الإسلامية، وأعرف بالإسلام مع بقية إخواني من اليابانيين المسلمين



جامعة تاكشوك يتحول التقرير إلى اللجنة الشرعية في جمعية مسلمي اليابان لإصدار الشهادة المطلوبة.

حين لاحظ البروفسور موتو علامات الاستغراب على وجهي قال:

سأشرح .. انتظر هذا العمل عمل دعوي يدخل في نشاط الدعوة الإسلامية، وتسألني كيف؟ أقول لك: إننا نقوم بشرح مبادئ الإسلام ببساطة جداً للعاملين بالمؤسسات والشركات، حتى نبين لهم الفرق بين الحلال والحرام في الإسلام، ونحن في مركز دراسات الشريعة نشرح لمن يريد المزيد ماهية الشريعة الإسلامية، ولهذا أنا طلبت من الدكتور يحيى محمود بن جنيد الأمين العام لمركز الملك فيصل


الضيف في زيارة لمكتبة الملك عبد العزيز العامة

أن يساعدنا، ويمدنا بالمصادر المفيدة في عملنا هذا.

لكن لماذا لا تقوم جمعية مسلمي اليابان بالعمل كله؟ ما دخل الجامعة في هذا؟

هذا سؤال مهم. . في أوربا هناك تبرعات من الشركات للمؤسسات الدينية، لكن في اليابان هذا غير جائز. فالشركات تدفع من صافي أرباحها، ولا تستقطع هذه الأموال من الضرائب، وإذا قام أحد أعضاء جمعية مسلمي اليابان بزيارة المؤسسة أو الشركة فهي ترفض استقباله، وترفض الاستماع إليه، لكن إذا قامت جهة تعليمية كالجامعة مثلاً بزيارة الشركة، فإن الشركة تستجيب وتستمع أيضًا؛ لأن الاستماع في هذه الحالة يدخل ضمن الأمور التعليمية، وما يدفع مقابل ذلك يحسب على تكلفة الإنتاج، أي إن الشركة لا تتكلف شيئًا .. هذا هو السر .. ونحن من جانبنا نعتقد أن الشركات اليابانية يجب أن تعرف المزيد عن الإسلام، وعن المسلمين، وعن حياة المسلمين بما في ذلك العقيدة والعبادات. ونحن في اليابان نتعاون مع مجلس العلماء الإندونيسي الذي يشرف على إصدار شهادات الحلال، ونتبع أسلوبه ومستواه نفسيهما فيما يتعلق بالأمور الشرعية؛ لأنه يتمتع بمكانة محترمة في جنوب شرق آسيا .. حاولت أن أعيده إلى النقطة الأولى الخاصة بالدعوة الإسلامية فقال :

أنا أفهم قصدك. . طريقتنا في اليابان مختلفة. . نحن من خلال جمعية مسلمي اليابان نقوم بعمل مختلف، مثلا نقيم لقاءات أو ندوات أو حفلات بمناسبات إسلامية فيتجمع المسلمون وغير المسلمين ويتعرف هؤلاء إلى الإسلام من خلال هذا العمل .. وحين سألته عن نشاطه المباشر قال :

هناك نشاط تحريري، وآخر شفهي .. كتبت بعض المقالات والبحوث القصيرة، وألقيت بعض المحاضرات.

فطلبت منه أن يذكر أمثلة قليلة فقال :

مثلا عام ١٩٩٤م كتبت كتابًا بعنوان «كيف تعيش في البلاد الإسلامية» وطبعته جمعية ما وراء البحار اليابانية، وبعدها كتبت بحثًا بعنوان «الإسلام ودول الخليج» جاء على شكل سلسلة مقالات نشرت في

مجلة جمعية الصداقة اليابانية السعودية، كما كتبت سلسلة من المقالات والأبحاث عن الإسلام نشرت في دورية جامعة تاكشوك مؤخرًا عام ٢٠٠٢م، وكتبت أيضًا عن الإسلام والأصولية مقالاً نشر في جمعية أمن آسيا عام ٢٠٠٢م، وكتبت مقالاً بعنوان: «الأطعمة الحلال من وجهة نظر الشريعة الإسلامية» نشر في مجلة جمعية مسلمي اليابان عام ٢٠٠٢م، وأخيرًا كتبت مقالاً بعنوان: «الإسلام ومنهجه في الحياة» نشر في مجلة الحرية الشهرية عام ٢٠٠٣م.

ما شاء الله وبالنسبة إلى المحاضرات المتعلقة بشرح الإسلام لليابانيين أعرف أن لك نشاطًا ملموسًا في اليابان!

لا أوافق على تسميته بالنشاط الملموس، هي مشاركة متواضعة مع بقية الإخوة، فقد ألقيت محاضرة في جامعة تاكشوك عام ١٩٩٧م بعنوان «بلدان الشرق الأوسط والإسلام». وألقيت سلسلة من المحاضرات بعد ذلك من عام ١٩٩٢م حتى ٢٠٠٢م عن الإسلام والمملكة العربية السعودية، وفي الجمعية الإسلامية بجزيرة هوكايدو في الشمال ألقيت محاضرة في أغسطس/آب عام ٢٠٠٣م عن تعاليم الإسلام، والآن أنا مشغول بإلقاء سلسلة محاضرات عن الشريعة الإسلامية في مركز دراسات الشريعة بجامعة تاكشوك حيث أعمل أستاذًا زائرًا .. وربما كان هذا هو السبب الرئيس لزيارتي الآن لمركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية. .ولما رأى علامة الاستفهام على وجهي قال:

نعم .. جئت هنا بسبب تفعيل العمل في مركز دراسات الشريعة.

وقاطعته، ماذا تعني بمركز دراسات الشريعة ؟

مركز دراسات الشريعة مركز أسسته جامعة تاكشوك التي مضى على تأسيسها نحو مئة عام، فقد أسست في عام ١٩٠٠م المطابق لسنة ١٣١٧هـ، والجامعة منذ تأسيسها تقريبًا اهتمت بالدراسات الإسلامية والعربية، ويكفي أن أقول: إن الحاج نور محمد إيبيه تناكا ثاني ياباني مسلم يؤدي فريضة الحج عام ١٩٢٤م /١٣٤٢هـ، كان من بين أول دفعة تخرجت في هذه الجامعة .. ولهذا رأت الجامعة أن تؤسس مركز دراسات الشريعة ضمن احتفالاتها بمرور مئة عام على تأسيسها.

متى افتتح المركز رسميًا؟

عقدت ندوة في يوم السبت السابع من يونيو/حزيران عام ٢٠٠٣م بمناسبة افتتاح مركز دراسات الشريعة، وكانت الندوة بعنوان «العالم الإسلامي اليوم» وقد حضر الندوة القائم بأعمال السفارة السعودية في طوكيو، وأعضاء السلك الديبلوماسي العربي والإسلامي الذين قاموا بتهنئة الجامعة بهذا المركز.

.. وأذكر لك هنا أنني قدمت دراسة في الندوة تناولت علاقة الشريعة وقطاع الأعمال الياباني والعالمي في ظل العلاقات الاقتصادية الواسعة لليابان مع العالم الإسلامي، وأهمية الفهم السليم للشريعة الإسلامية لدى العاملين بقطاع الأعمال الياباني خصوصًا ممن لهم علاقات

ننوي إصدار نشرة دورية، وعقد ندوات، وعمل دورات دراسية، وإصدار مجلة دورية سنوية، بالإضافة إلى إجراء دراسات بحثية عن أوضاع المسلمين في اليابان، وأبحاث شرعية عن الأطعمة في اليابان

اقتصادية وتجارية بشعوب العالم الإسلامي.

هل يمكن أن نتعرف إلى بعض الأوراق التي قدمت في الندوة؟

نعم كانت الورقة المقدمة من البروفسور يوسف كاشيهارا عن مبادئ الفكر الإسلامي والشريعة، وقدم البروفسور محمد أتسومي بحثًا عن الأوضاع السياسية والاجتماعية في العالم الإسلامي المعاصر، وقدم الدكتور زكي محمد دراسة أوضح فيها أهمية الشريعة في الحياة اليومية في المجتمع الإسلامي مشيرًا إلى علاقة الفرد بربه، وعلاقة الأفراد بعضهم ببعض من منظور الشريعة الإسلامية..

أوضح البروفسور طيب المختار موتو بعد ذلك أن العاملين في المركز جميعهم من المسلمين، وهذه خاصية تميز المركز من غيره من المؤسسات التعليمية في اليابان، وقد دفعني هذا إلى أن سأله عن طبيعة أهداف المركز والأعمال التي يقوم بها فأجاب:

المركز لديه برامج ومشروعات تتعلق بالترجمة، كترجمة أمات الكتب المتعلقة بالشريعة ودراستها وشرحها مع عمل دراسة بحثية لما يطبق في الواقع من الشريعة بالدول الإسلامية، كما أن هناك مشروعًا لإصدار تراجم مجلدات الفتاوى الإسلامية بجميع

نحن من خلال جمعية مسلمي اليابان نقيم لقاءات أو ندوات أو حفلات بمناسبات إسلامية فيتجمع المسلمون وغير المسلمين ويتعرف هؤلاء إلى الإسلام من خلال هذا العمل

فروعها، مع عمل دراسة مقارنة فيما يُتبع بشأن تطبيق الشريعة الإسلامية في دول العالم الإسلامي .. وننوي إصدار نشرة دورية، وعقد ندوات، وعمل دورات دراسية، وإصدار مجلة دورية سنوية، بالإضافة إلى إجراء دراسات بحثية عن أوضاع المسلمين في اليابان، وأبحاث شرعية عن الأطعمة في اليابان، وأخيرًا عقد دراسات مشتركة بالتعاون مع الجهات المعنية بدول العالم الإسلامي.

وهنا قاطعته قائلا: وهل هذا له علاقة بزيارتك اليوم لمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية؟ فأجاب على الفور:

نعم .. بالطبع عندنا هيئات إسلامية معتمدة في مركز دراسات الشريعة منها جامعة الأزهر، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وجامعة أم القرى، ورابطة العالم الإسلامي في مكة، والمجلس العالمي للأطعمة الحلال في إندونيسيا، والمعهد العربي الإسلامي في طوكيو، وجمعية مسلمي اليابان، ومكتبة الملك عبد العزيز العامة أيضًا، واليوم نضم مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

هل هناك تخطيط مسبق للزيارة؟

يمكن لا .. ويمكن نعم .. هكذا قال ضاحكًا.

طبعًا كما ذكرت، أنا زرت المركز، والتقيت أمينه العام منذ زمان.. بعد ذلك زار المركز في السنة الماضية رئيس جامعتنا البروفسور فوجيتو يرافقه البروفسور نور الدين موري مدير المركز، وهو في الوقت نفسه أستاذ بمعهد الدراسات الدولية بالجامعة، وهو للعلم من خريجي جامعة أم القرى، وعمل مستشارًا بالسفارة اليابانية في الرياض فترة، وكان يسكن هنا خلفنا الآن في الشقق من ورائنا مدة لسنتين، وكان يستفيد كثيرًا من مكتبة المركز كما أخبرنا بذلك .. بعد

عودة رئيس الجامعة أكد أن نقوم بدعم العلاقات بين الجامعة ومركز الملك فيصل، فقد تركت الزيارة في نفسه ذكريات طيبة، وكثيرًا ما كان يحكي عن زيارته هذه للمسؤولين في الجامعة.

بعد لقائك الأمين العام للمركز.. هل لي أن أعرف ملخص ما دار بينكما من نقاش؟

أولا: أنا مسرور جدًا بهذا اللقاء؛ لأنه يجعلني أتذكر الأيام الجميلة التي كنت أتردد فيها إلى المركز كلما زرت الرياض، واليوم زيارتي لها سبب محدد، هو بحث التعاون بين الجامعة والمركز، والمركز كما تعرف كريم، والناس فيه كرماء، لهذا أنا قلت بصراحة للدكتور يحيى حاملاً رسالة الإخوة من اليابان بأننا بحاجة إلى المساعدة في أمور محددة، وهي اختيار كتب الشريعة والكتب المتعلقة بها وتقديمها لمركزنا، وبخاصة الكتب التي يصدرها مركز الملك فيصل، أو تتوافر لديه، وكذلك العمل على تنظيم برنامج لتبادل الزيارات، نحن نريد أن يزورنا الدكتور يحيى والإخوة من المركز، ونأمل أن يأتي الباحثون من مركز دراسات الشريعة في جامعتنا، لعمل بحوث تتعلق بتخصصاتهم تحت إشراف مركز الملك فيصل، وقد رحب الدكتور يحيى بالفكرة، بل قدم الدعوة لمن يريد أن يأتي مدة أسبوع أو شهر أو أكثر، فالمركز يقدم له المكتب الذي يجلس فيه، وهو مجهز بحاسوب متصل بجهاز الإنترنيت، كما أن المكتبة في متناول يده، كما يقوم المركز بتسهيل اتصالاته بالباحثين السعوديين، وعقد لقاءات تخدم الهدف الذي من أجله جاء الباحث.. وهذه خدمة طيبة سوف أعرضها إن شاء الله على الجامعة لتفعيلها في أقرب وقت.

هل هناك أمور أخرى في ذهنك لدعم التعاون بين المركزين في السعودية واليابان؟

بالطبع هناك مجالات كثيرة يمكن دراسة تفعيلها،

في أوربا هناك تبرعات من الشركات للمؤسسات الدينية. لكن في اليابان هذا غير جائز. فالشركات تدفع من صافي أرباحها. ولا تستقطع هذه الأموال من الضرائب



إننا نقوم بشرح مبادئ الإسلام ببساطة جدًا للعاملين بالمؤسسات والشركات، ونحن في مركز دراسات الشريعة نشرح لمن يريد المزيد ماهية الشريعة الإسلامية



وأقول، على سبيل المثال: إقامة ندوات مشتركة، أنا علمت من الدكتور يحيى أن المركز أقام منذ شهور بالتعاون مع السفارة اليابانية ندوة عن العلاقات اليابانية السعودية، وكان هناك ضمن البرنامج الثقافي للمركز محاضرة عن الفكر الديني في اليابان، والمركز الآن يطبع ترجمة كتاب عن اللغة اليابانية عن رحلات تاكا إيبيه إلى الجزيرة العربية وبلدان العالم الإسلامي.. ونحن أيضًا بالإضافة إلى الندوات نأمل في إجراء دراسات مشتركة بالتعاون مع مركز الملك فيصل، وسوف أحمل كل هذه الأفكار وأقدمها للجامعة مع الهدية القيمة من الكتب المتخصصة التي وعدنا بها الأستاذ الدكتور يحيى بن جنيد.

كانت هناك أسئلة كثيرة تبادرت إلى الذهن، تمنيت لو أجاب عنها البروفسور طيب المختار موتو الذي كان يطوف بشوارع الرياض يبحث في المكتبات عن الكتب التي تتعلق بالشريعة الإسلامية، وعن كتب الفتاوى، وعن الموسوعات بأنواعها، وعن المعجمات، ويبدو أن هدفه الرئيس تكوين مكتبة متخصصة لمركز دراسات الشريعة..

كنت أود لو أسأله عن واقع الدعوة الإسلامية في اليابان اليوم، وعن أسباب اهتمام الشعب الياباني حاليًا بالإسلام كدين وثقافة وفكر وحضارة، ووضع الدراسات الإسلامية في الجامعات اليابانية، وعن أسباب الاهتمام الرسمي من قبل المسؤولين الرسميين بضرورة الحوار مع المملكة العربية السعودية، ودول الخليج، وبلدان الشرق الأوسط، وهل يعكس هذا الاهتمام رغبة لدى اليابان في التعرف إلى واقع العالم العربي الإسلامي بشكل مباشر، ومن المصادر الأصلية؟

هذه الأسئلة وغيرها ربما أرسلها إلى البروفسور طيب المختار ليجيب عنها في مقال تنشره الفيصل قريبًا، بإذن الله.



إلى قراء «الفيصل» الكرام

حرصًا على استمرار المجلة في تقديم زاد ثقافي يليق بكم وبعد التفاهم مع وكلاء التوزيع تقرر رفع سعر مجلة «الفيصل» في المملكة العربية السعودية والدول الأخرى ابتداءً من العدد ٣٣٧ (رجب ١٤٢٥هـ)، وذلك لظروف ارتفاع مدخلات الطباعة، وتوافقًا مع الأسعار السائدة في السوق.

وإننا لنثق في تفهم القراء الكرام أسباب هذه الزيادة، شاكرين هذا التواصل الحميم مع المجلة، والأسعار الجديدة سوف تكون على النحو الآتي:

الدولة	السعر الجديد
السعودية	١٠ ريالات
مصر	٤ جنيهات
سورية	٤٥ ليرة
المغرب	١٠ دراهم
تونس	١،٢٥٠ دينار
الأردن	٧٥٠ فلسًا
قطر	١٠ ريالات
الإمارات	١٠ دراهم
البحرين	دينار واحد
الكويت	٨٠٠ فلس
سلطنة عمان	ريال واحد
اليمن	١٠٠ريال
السودان	١٥٠ ديناراً

مسابقة الفيصل

أسماء الفائزين في مسابقة العدد (٣٣٥) جمادى الأولى ١٤٢٥هـ/ يونيو ٢٠٠٤م.

الفائز الأول: سناء إبراهيم عبدالحليم الزغبي ـ دمنهور ـ مصر.
الفائز الثاني: عبدالرحمن عبدالله با مجبور ـ نصاب ـ اليمن.
الفائز الثالث: أكريهم محفوظ ـ تيزنيت ـ المغرب.
الفائز الرابع: حسام فتحي أبو جبارة ـ دبي ـ الإمارات.
الفائز الخامس: طلال علي سليمان أبو عاصي ـ إربد ـ الأردن.
الفائز السادس: عبدالهادي هائل مرزوق ـ دمشق ـ سورية.
الفائز السابع: الهادي بن الطاهر بن إبراهيم ـ المنزه ـ تونس.
الفائز الثامن: علي بن سليمان بن علي الطيار ـ الغاط ـ السعودية.

حل مسابقة العدد (٣٣٥)

١ـ وتمتّع بالصبح ما دمت فيه
لا تخف أن يزول حتى يزولا!
قائل البيت هو: إيليا أبو ماضي.

٢ـ الفرّيسيون: طائفة من يهود عهد المسيح عرفت بتمسكها بالطقوس والتقوى الكاذبة.

٣ـ سنحاريب: ملك آشور. أعاد بناء نينوى، ودمّر مدينة بابل.

٤ـ الهوني: واحد الهُونِ، وهم شعب مغولي مترحل سيطر على جزء كبير من أوربا الوسطى والشرقية نحو عام ٤٥٠م.

٥ـ الوشم: منطقة تضم الكثير من المدن والقرى في وسط المملكة العربية السعودية.

أسئلة مسابقة العدد (٣٣٨)

ضع علامة ✓ أمام الإجابة الصحيحة:

(١) من قائل هذا البيت: يُخفي لواعجَه والشوقُ يَفضَحُه فقد تساوى لديه السر والعلن

- ☐ ابن زيدون
- ☐ أبو نواس

(٢) الإيديوغرافيا:

- ☐ نظرية تنادي بأن المبادرة والمصالح الفردية يجب ألاّ تخضع لسيطرة الحكومة أو المجتمع أو رقابتهما.
- ☐ الكتابة بالرموز الإيديوغرافية أو اللوغوغرافية..

(٣) السهروردي:

- ☐ متصوف وفيلسوف مسلم. حاول التوفيق بين الفلسفة اليونانية والتصوف.
- ☐ أحد قادة الجيش في الدولة البويهية. اشتهر عهده بالقسوة وإعدام جميع أعدائه.

(٤) العين:

- ☐ اسم معجم لغوي ألفه الخليل بن أحمد الفراهيدي يبدأ بحرف العين
- ☐ اسم مدينة في تونس فيها عين ماء كبريتية.

(٥) الكويستا:

- ☐ كلمة إسبانية تعني جبلاً مختلف الانحدار.
- ☐ أكلة إيطالية شهيرة.

الاسم: ________ المدينة: ________ ص.ب: ________ هاتف: ________

العنوان: ________ الدولة: ________ الرمز البريدي: ________ ناسوخ: ________

نأمل من الإخوة الذين يشاركون في المسابقة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني؛ لأن المصارف (البنوك) تصدر الشيكات بالحروف الإنجليزية.

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات عدد كبير من الإخوة القراء المتابعين للمسابقة والتي عبروا عنها من خلال الرسائل الكثيرة التي ظلت ترد إلى المجلة، ولإتاحة فرص الفوز بالجوائز لعدد أكبر منهم، فقد تمت مضاعفة عدد هذه الجوائز ابتداءً من العدد ٢٩٦ لتصبح على النحو الآتي:

الجائزة الأولى: ١٠٠٠ ريال.

الجائزة الثانية: ٧٠٠ ريال.

الجائزة الثالثة: ٥٠٠ ريال.

الجائزة الرابعة: ٤٠٠ ريال.

الجائزة الخامسة: ٢٥٠ ريالاً.

الجائزة السادسة: ١٥٠ ريالاً.

الجائزة السابعة: (اشتراك لمدة عام في مجلة الفيصل).

الجائزة الثامنة: مجموعة من أعداد الفيصل وبعض إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.

والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دومًا، مع تمنياتنا حظًا وافرًا لجميع القراء الأعزاء.

تنويه:

نفيد الإخوة المتسابقين أن المجلة ستراعي ما حدث من تأخر في مواعيد صدور الأعداد الأخيرة لظروف فنية خارجة عن الإرادة، ولهذا فقد تم مدّ فترة تلقي المشاركات في المسابقات شهرين بدلاً من ٤٥ يومًا.

مسابقة الفيصل

شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يومًا من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد .....).

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

عنوان المجلة

ص.ب (٣) ـ الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية. هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الملف الثقافي



- مؤسسة الفكر العربي تعقد مؤتمرًا
- سر الموناليزا
- اكتشافات أثرية في مصر
- كتاب في السودان يثير زوبعة

•• خاتمة المطاف: ملاحظات ضابط عثماني كبير عن الوهابية



مؤسسة الفكر العربي تعقد مؤتمرًا وتصدر مجلة

تعقد مؤسسة الفكر العربي التي تتخذ من بيروت مقرًا لها مؤتمرها الثالث في مدينة مراكش المغربية بدعوة من الملك محمد السادس في الفترة من ١ إلى ٢/١٢/ ٢٠٠٤م، تحت عنوان «العرب بين ثقافة التغيير وتغيير الثقافة». ويأتي هذا المؤتمر والأمة العربية تمر بمرحلة دقيقة من تاريخها، وتواجه تحديات جمة ومخاطر كثيرة، وتسعى إلى التطور والتغيير النابعين من إرادتها وتراثها وقيمها.

وتشمل آليات عمل المؤتمر فترة صباحية يفسح فيها المجال للمؤسسات الحكومية والأهلية لعرض تجاربها وخبراتها في مجال الإصلاح والتغيير، وقد وجهت الدعوات للحكومات العربية والمنظمات العربية والدولية لتقديم ما لديها من مشاركات لإغناء الحوار والنقاش في هذا المجال.

وخصصت الفترة المسائية للجلسات التي تقدم فيها أبحاث ودراسات حول محاور المؤتمر الأربعة الرئيسة، وتجيء الجلسة الأولى من جلسات المؤتمر عن «لماذا ثقافة التغيير؟»، والثانية عن «نماذج التغيير عند العرب وغيرهم»، والثالثة عن «منهج التغيير الثقافي وآلياته»، والرابعة عن «أي مستقبل عربي في ظل ثقافة التغيير؟». ويلي الجلسات الرئيسة لقاءات مفتوحة مع شخصيات عربية وعالمية بارزة يدور فيها الحوار حول موضوع المؤتمر مع الحضور والمشاركين.

من ناحية أخرى تعقد المؤسسة بالتعاون مع المنظمات الإسلامية العربية والدولية المعنية بالتربية والتعليم الملتقى العربي الثاني للتربية والتعليم، وذلك تحت عنوان «التعليم العالي .. رؤى مستقبلية» في بيروت في الفترة من ٢٠ . ٢٣ من المحرم سنة ١٤٢٦هـ الموافق من ١ ـ ٤ مارس/آذار عام ٢٠٠٥م. وقد وجهت الدعوة لحضور الملتقى والمشاركة في فعالياته إلى مؤسسات التعليم العالي خاصة الكليات العلمية والأدبية والإنسانية والتقنية في الوطن العربي.

رحيل تشيسلاف ميلوش

توفي مؤخرًا في منزله في مدينة كراكوفيا الشاعر البولندي تشيسلاف ميلوش الحائز على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٨٠م عن عمر يناهز ٩٣ عامًا، إذ ولد عام ١٩١١م في مدينة فلنيوس عاصمة ليتوانيا. وكان الشاعر الراحل قد عاد للإقامة في مدينة كراكوفيا جنوب هولندا بعد أن أمضى نحو ثلاثين عامًا في المنفى بين فرنسا والولايات المتحدة حتى أصبح أحد الرموز البارزة للمعارضين المناهضين للشيوعية.

وقد وصف رئيس الوزراء البولندي ماريك بيلكا الشاعر الراحل بأنه: «بولندي عظيم»، وقال لوكالة الأنباء البولندية: إن الشاعر «أنار لنا الطريق بقلبه وقلمه، وحفّزنا إلى فعل الخير».

وقال البروفسور روبرت هاس من جامعة كاليفورنيا، الذي ترجم آثار تشيسلاف ميلوش، إنه كان «شاهدًا على أحداث حاسمة وفظيعة في القرن العشرين، ومفكرًا أصيلاً ومعارضًا في تحسسها والتعامل معها».

وكان تشيسلاف ميلوش قد قال في مقابلة أجرتها معه مجلة تيغودنيك باورزيتشني البولندية في عام ٢٠٠١م : «كيف يمكن أن تكتب عن معاناة وتبقى على الرغم من ذلك راضيًا عن العالم في الوقت نفسه؟ إذا كنت تفكر حقًا بشأن فظاعة العالم، فإن الموقف المناسب الوحيد كما يبدو هو أن ترفضه».

ويهدف هذا المؤتمر إلى تشخيص واقع التعليم العالي في الوطن العربي، وبلورة رؤى لتطوير وظائف مؤسسات التعليم العالي في التدريس والبحث العلمي وخدمة المجتمع، وإبراز دور التعليم العالي في مواجهة التحديات السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية والتقنية، وتقديم تصورات لمعالجة القضايا الأساسية التي تواجه التعليم العالي وما يسهم في تطويره، ليستجيب لمتطلبات التنمية الشاملة في الوطن العربي، وتنسيق الجهود الحكومية وغير الحكومية، والإفادة من الخبرات المؤسسية والكفاءات الفردية المتخصصة في الوطن العربي، وتعزيز الشراكة البينية والتعاون الدولي في التعليم العالي داخل الوطن العربي وخارجه.

ويأتي المؤتمر تحت أربعة محاور هي: مؤسسات التعليم العالي والتحديات المعاصرة، والجودة في التعليم العالي، وتعزيز وتنسيق الشراكة بين مؤسسات التعليم العالي والمؤسسات ذات العلاقة، والتعليم العالي .. رؤى مستقبلية. ويصاحب الملتقى معرض دولي للكتاب وتقنيات التعليم لعرض المطبوعات والكتب والمؤلفات التربوية والتعليمية، والمنتجات والمواد التربوية والتعليمية المساندة وأحدث الأجهزة التعليمية الحديثة. وتشارك في المعرض الجهات المنظمة للملتقى، بالإضافة إلى عدد كبير من دور النشر العربية والعالمية، وعدد من الجامعات والكليات والمؤسسات التربوية والتعليمية.

وتنوي المؤسسة أيضًا إصدار مجلة شهرية فكرية ثقافية مستقبلية جديدة بعنوان «حوار العرب» سيوزع العدد الأول منها في سبتمبر/أيلول الحالي. وتطمح هذه المطبوعة الجديدة إلى: «تشكيل جسر بين الاجتهادات والتيارات الفكرية المختلفة وبلورة فضاء صحي للتفاعل والتحاور بين المثقفين العرب، وبين هؤلاء ونظرائهم في العالم غربًا وشرقًا، مما يساعد على تحسين فرص النظر إلى المستقبل العربي وتعزيزه على الصعد كافة».

وستغطي المجلة عددًا من الموضوعات تحت عدد من الأبواب منها: ملف مركزي بمقاربات مختلفة ومتعارضة حول قضية محورية تهم القارئ العربي، وأهم المقالات عن العالم العربي الإسلامي مترجمة عن دوريات أجنبية أساسية وبتنسيق نشري واحد معها، وقراءة في الوثائق الصادرة حول الشرق الأوسط، وتغطية شاملة لأهم المؤتمرات والندوات الفكرية والثقافية في المنطقة العربية، وأوراق ثقافية تعكس مرايا الآداب والفنون، وعرض لأهم الإصدارات العربية والأجنبية الجديدة (كتب، ودوريات، وتقارير إستراتيجية إلخ...)، ومتابعة آخر أنشطة مؤسسة الفكر العربي، بالإضافة إلى الأبواب الثابتة: افتتاحية رئيس التحرير، وحوار الأرقام، وحوار مع الآخر، إلخ.... ويرأس تحرير المجلة الدكتور محمد الرميحي.

الأمير خالد الفيصل

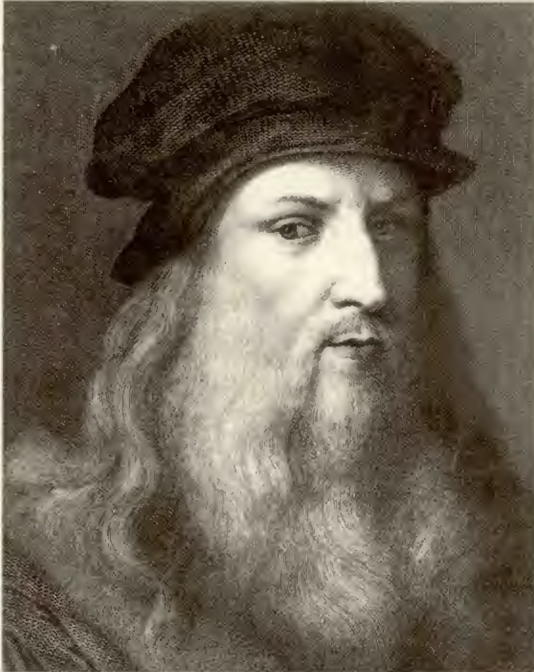


سر الموناليزا

ما زالت لوحة الرسام الإيطالي ليوناردو دافنشي المعروفة باسم الموناليزا تثير الجدل في الأوساط الفنية في العالم، وكان آخر أخبار هذه اللوحة هو اكتشاف سر هذه المرأة ذات الابتسامة الغامضة التي حيرت العالم طوال هذه المدة، فقد تبين أنها لامرأة كانت زوجة لأحد أصدقاء الرسام، وأمًا لخمسة أطفال، ثلاثة ذكور وبنتين أصبحتا راهبتين فيما بعد.

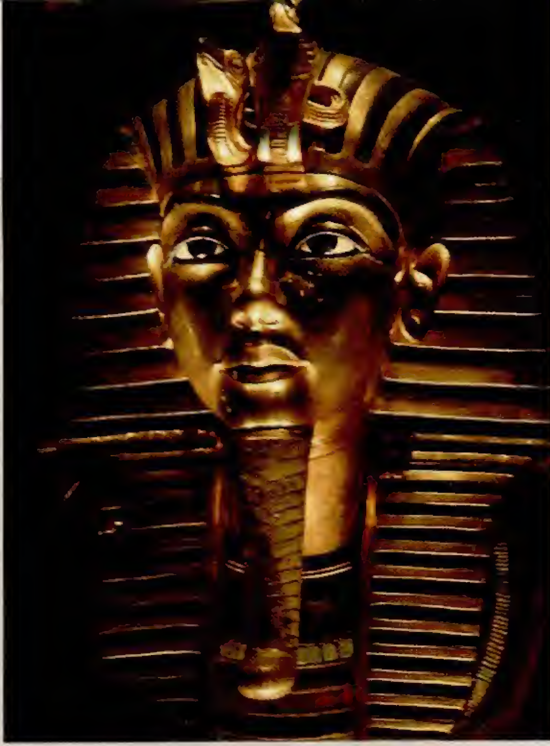
وقد ذكرت صحيفة ديلي تلغراف البريطانية أن جيسيب بالانتي المدرس الإيطالي أنفق نحو ٢٥ عامًا وهو يجري أبحاثًا بشأن هوية هذه المرأة المحيرة، واكتشف بالانتي أول دليل واضح على علاقة دافنشي بتاجر حرير يدعى سير فرانشيسكو ديل جيوكوندو تزوج من ليزا جيراديني في عام ١٤٩٥م، وقد توصل إلى أن والد ليوناردو وزوج موناليزا كانا على علاقة قوية قبل أن ترسم اللوحة، وكانا جارين أيضًا، وأن ليزا جيراديني أو (موناليزا) كانت تبلغ من العمر نحو ٢٤ عامًا حينما رسم دافنشي اللوحة، وربما رسمها دافنشي بناءً على طلب من والده ليهديها إلى أصدقائه، وهو أمر اعتاده الرسام.

وكان من أسباب حيرة الناس أن هذه اللوحة تخالف العرف الذي كانت عليه اللوحات في ذلك الوقت، إذ لم يكن عليها تاريخ ولا توقيع، كما أنها لم تكن تحمل أي معلومات عن موضوعها أو عن الشخص الذي تصوره كما في باقي اللوحات، وقد ذهب الناس في تفسيرها كل مذهب، فقال بعضهم: إنها ربما تكون لامرأة شهيرة في المجتمع الإيطالي، وذهب بعضهم إلى أنها ربما تكون لإحدى بنات الليل، أو ربما كانت والدة الرسام دافنشي نفسه، وغير ذلك من التكهنات.



نصف قرن من الفن المعاصر في المغرب

اختار موسم أصيلة في دورته السادسة والعشرين هذا العام أن يكون التشكيل مسك ختام سلسلة ندواته هذا الموسم، وقد جاءت الندوة، التي افتتحها محمد بنعيسى رئيس المنتدى، بعنوان «نصف قرن من الفن المعاصر في المغرب»، وذلك بمشاركة نخبة من أبرز النقاد التشكيليين المغاربة منهم: فريد الزاهي، وموليم العروسي، والمعطي قبال، وإبراهيم العلوي، بالإضافة إلى مؤرخة الفن الإسبانية كلارا ميريت، والناقد البلجيكي جان بيير فانتيكيم، والشاعر الفرنسي جان كلارانس لمبير. وقد وقف الحضور دقيقة صمت حدادًا على أرواح الفنانين المغاربة الذين رحلوا عن هذه الدنيا في السنتين الأخيرتين وهم: محمد الدريسي، ومحمد القاسمي، والشعيبية طلال، وبوطالب، وعبدالإله بوعود.



اكتشافات أثرية في مصر

أدت المصادفة دورًا كبيرًا في الكشف عن مقبرة أثرية لأحد أفراد الأسرة الـ ٢٦ الفرعونية في مصر (٦٦٣ - ٥٢٥ ق. م)، ويدعى «عنخ خنسو ديرت حور»، ومعناها «صنيعة الإله حورس»، فقد عثر عمال بناء لإرساء أساس مسجد جديد في حي عين شمس الذي يقع في الجهة الشمالية الشرقية لمدينة القاهرة على آثار بناء قديم بعد أن وصلوا إلى عمق يزيد على خمسة أمتار. وكان المجلس الأعلى للآثار يراقب موقع الحفر الذي يقع ضمن منطقة خاضعة للمادة ٢٠ من قانون حماية الآثار، وقام المجلس بإرسال لجنة فنية على جناح السرعة لتقويم هذا الكشف الأثري، وأعلن وزير الثقافة المصري فاروق حسني أن هذا البناء المكتشف هو مقبرة أثرية كاملة بالقرب من شارع عين شمس الرئيس.

وتحتوي المقبرة المكتشفة على غرفة للدفن بها تابوت مصنوع من البازلت، ويوجد بداخله هيكل عظمي للمتوفى، ومعه مجموعة من الرقائق الذهبية للمعبود «إيزيس»، والمعبود «حورس»، بالإضافة إلى مجموعة أخرى من التمائم. وعلى الرغم من أهمية المقبرة المكتشفة إلا أن الهيكل العظمي الذي يرقد بداخلها يوجد في حالة سيئة جدًا؛ وذلك نتيجة دخول المياه الجوفية إلى داخل المقبرة.

والجدير بالذكر أن هذه ليست أول تجربة لأهل عين شمس مع أفراد الأسرة ٢٦ الفرعونية، فقد سبق لأحد مواطني هذه المنطقة، وهو يحفر أساس منزله الجديد، اكتشاف مقبرة فرعونية تحوي رفات كبير نجاري القصر الملكي في الأسرة الـ ٢٦ بين عامي ٦٠٠ و ٤٠٠ قبل الميلاد.

كذلك أعلن مؤخرًا عن العثور في أخميم (٤٧٤ كلم جنوبًا) في محافظة سوهاج على تمثال يرجح أنه الأكبر للفرعون رمسيس الثاني (١٢٩٨ - ١٢٣٥ ق.م)، الذي يعد صاحب أكبر كمية من التماثيل التي عثر عليها لملوك فراعنة في مناطق متفرقة في مصر.

وتتبع المحاضرون في الندوة مسيرة الفن التشكيلي في المغرب منذ بداية المراحل الأولى لتشكل الوعي الفني في المغرب مع قدوم دولاكروا إلى المغرب عام ١٨٣٠م، وماتيس عام ١٩١٩م، ثم فورتوني وماجوريل وغيرهم من الفنانين الذين حضروا إلى المغرب وأقاموا فيها، مما أغرى عشرات الرسامين الغربيين الأقل شهرة بالاستقرار في المغرب حتى أسست مدرسة الفنون الجميلة في تطوان عام ١٩٤٥م.

وتحدثت مؤرخة الفن الإسبانية كلارا ميريت عن هذه المرحلة، وتوقفت عند أبرز تجربتين تعبيريتين أنتجهما جيل الرواد، وهما: تجربة الشرقاوي التي لجأ فيها إلى الجذور المغربية القديمة، واستطاع توظيفها لفائدة هذه التجربة، والغرباوي الذي اتجه إلى التأمل الذاتي في تجربته التشكيلية.

وطرح المشاركون في الندوة عددًا من الأسئلة حول الفن التشكيلي المغربي في حاضره ومستقبله.

حقــــــــــول

صدر حديثًا عن النادي الأدبي بالرياض كتاب دوري بعنوان (حقول) يعنى بثقافة الجزيرة العربية، وقال الدكتور سعد البازعي رئيس التحرير في فاتحة هذه المطبوعة: «إن (حقول) كتاب محكّم وعلى أكثر المستويات انضباطًا من الناحية العلمية حسب التقاليد المرعية في الجامعات وغيرها من المؤسسات العلمية المختلفة، وإنه لذلك قادر - بإذن الله - على الإسهام في الحركة العلمية والثقافية».

وقد جاء العدد الأول من هذه المطبوعة على نحو لم يتوقعه القائمون عليها، فقد ظنوا - كما أوضح البازعي - أن أبحاث (حقول) ستغلب عليها العناية بثقافة الجزيرة العربية، فلم يحدث ذلك، وتوقعوا أن عدد المقالات غير المحكمة سيغلب على غيره، فحصل العكس.

وجاءت البحوث المحكّمة كالآتي: «تحديات لمفاهيم ما بعد استعمارية: التمثيل والمقاومة والهجين» للدكتور محمد القويزاني، و«(التاريخي) و(الروائي) في (ليون الإفريقي)» لأمين معلوف، ترجمة: نجمة إدريس، و«ديوان الملك سعود في وجدان الشعراء: دراسة إيقاعية» للدكتور خالد بن محمد الجديع، و«اختيار الشعر: بين شاعرين سعوديين» إعداد الدكتور عبدالله بن سليم الرشيد.

وجاء في باب المقالات: «الاستعمار والأدب» ترجمة: الدكتور محمد غنوم، و«المعوقات التي تواجه الصحافة السعودية» لهدى الدغفق.

وكانت ندوة «(حقول)» عن «الجزيرة العربية: الهموم والأطر»، التي عقدت في شهر شوال ١٤٢٤هـ، الموافق ديسمبر/كانون الأول ٢٠٠٣م، في مقر النادي الأدبي بالرياض، وشارك فيها كل من: الدكاترة: محمد الربيع ومحمد الهدلق وعبدالله العسكر وخليل المعيقل، وأدار الحوار الدكتور سعد البازعي.

وجاءت مراجعات العدد عن «جزيرة العرب: أرض الإسلام المقدسة وموطن العروبة وإمبراطورية البترول» تأليف: جان جاك بيربي، وتعريب: محمد خير البقاعي، وكتاب «التفكير الإبداعي بين النظرية والتطبيق» تأليف: الدكتور عبدالله بن طه الصافي، و«الرحالة الأوروبيون في شمال الجزيرة العربية: منطقة الجوف ووادي السرحان ١٨٤٥ - ١٩٢٢م» (نصوص مترجمة)، أعدها وترجمها للعربية: الدكتور عوض البادي، وكتاب «صورة الرجل في القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية (١٣٩٠/١٤١٦هـ - ١٩٧٠/١٩٧٧م)» تأليف: منال بنت عبدالعزيز العيسى.



إعادة أعمال فنية إلى وزارة الثقافة العراقية

وافق المركز الثقافي العربي السويسري للمرة الثانية من خلال فرعه في بغداد على إعادة عدد مهم من الأعمال الفنية العراقية، وقام بتسليمها إلى وزارة الثقافة العراقية في حفل شارك فيه وزير الثقافة العراقي مفيد الجزائري الذي عبر عن امتنان الوزارة للجهود التي يقوم بها المركز في خدمة الثقافة العراقية، كما أبدى السفير السويسري مارتين أشباخر سعادته بالدور الذي قام ويقوم به المركز في تفعيل العلاقات الثقافية العراقية السويسرية، وجرى الحفل في يوم ٥ أغسطس/آب ببناية مركز غاليري بغداد.

وقال الشاعر علي الشلاه المدير العام للمركز: إنه وزملاءه

في فرع بغداد (مؤسسة بلاد النهرين الثقافية) عملوا عدة أشهر على استعادة هذه الأعمال، وأضاف: فاوضت شخصياً عبر الهاتف عدة وسطاء، وقمت بنقل الأعمال ليلاً بسيارتي الخاصة بعد أن تركت لي بمكان محدد، وسلمت مبلغها إلى وسيط متفق عليه، وقال: إنه لا يستطيع قول أكثر من ذلك سوى أنه كان سعيداً بعد أن عادت الأعمال إلى مكانها الطبيعي، وإنهم سيواصلون كل الجهود التي من شأنها إعادة ترميم المشهد الثقافي العراقي.

وقال الدكتور عباس جاور المدير العام لمركز الفنون، إن هذه الأعمال التي فقدت من المتحف الوطني للفن الحديث ومركز الفنون لفنانين من جيل الرواد والجيل الذي تلاهم. تشمل لوحات رسم وأعمالا تخطيطية على الورق للفنان الراحل فائق حسن والفنانين الرواد إسماعيل الشيخلي وشاكر حسن آل سعيد وخالد الجادر وعطا صبري وفاضل عباس ومديحة عمر، وهناك أعمال مضافة إلى جيل ما بعد الرواد تضمنت لوحات للفنانين ماهود أحمد وراكان دبدوب وياسين شاكر وصلاح جياد وآخرين. وأوضح جاور أن هذه الأعمال تمثل جزءًا مهمًا من ثروة العراق الثقافية والفنية، وأعرب عن امتنان وزارة الثقافة العراقية للجهود الاستثنائية التي بذلها المركز الثقافي العربي السويسري لغرض إعادة تلك الأعمال إلى المتحف الوطني للفن الحديث الذي سيقوم بدوره بإجراء عمليات الصيانة الفنية نتيجة تعرض تلك الأعمال لأضرار وتلف. وأشار إلى أن أعمالاً أخرى ما زالت مفقودة تقدر بحدود ستة آلاف، والأعمال التي تمت استعادتها لا تشكل نسبة ١٥ بالمئة من المجموعة الدائمة من رسم ونحت وجرافيك.

يذكر أن هذه المجموعة التي تمت استعادتها تعد الثانية من نوعها، فقد استعاد المركز قبل ذلك ٢٣ عملاً فنيًا أهمها للفنان الراحل جواد سليم وأعمال أخرى لشاكر حسن آل سعيد وفرج عبود وهاشم الطويل وغيرهم.

الكوليرا في هوليود

وقع أخيرًا الروائي الكولومبي العالمي غابريل غارسيا ماركيز على عقد مع هوليود يعطيها الحق في تحويل روايته الشهيرة «حب في زمن الكوليرا» إلى فيلم سينمائي، وتعد الرواية أشهر قصة حب أدبية بعد روميو وجولييت. ومن المتوقع أن تدفع الشركة السينمائية للأديب الحاصل على نوبل للأدب ما بين مليون وثلاثة ملايين دولار.

ولد ماركيز عام ١٩٢٨م، وعمل في الصحافة قبل أن يدخل عالم الأدب، ونشر قصصه التي تختلط برائحة بلده والمكان الذي عاش طفولته فيه. ونال شهرة عالمية بعد روايته «مئة عام من العزلة» في عام ١٩٦٧م التي ترجمت إلى لغات كثيرة من بينها العربية، إذ توجد ترجمات متنوعة لهذا العنوان، وقد بنيت حبكتها على تجارب خاضها أجداده. ونشرت رواية حب في زمن الكوليرا عام ١٩٨٥، ويواجه ماركيز انتقادات لصداقته مع الرئيس الكوبي كاسترو.

مهرجان الدار البيضاء للمسرح الجامعي

تنظم كلية الآداب والعلوم الإنسانية بن مسيك التابعة لجامعة الحسن الثاني في الدار البيضاء في الفترة من ١ـ ١٦ سبتمبر/أيلول الحالي الدورة السادسة عشرة لمهرجان الدار البيضاء الدولي للمسرح الجامعي التي تقام تحت شعار «التقارب بين شباب العالم عن طريق الإبداع وحوار الحضارات»، ويسعى المهرجان إلى التقريب بين الشباب المشاركين من مختلف الدول والثقافات عن طريق الإبداع المسرحي بوصفه لغة عالمية تساهم في خلق تواصل أفضل بين الثقافات المختلفة.

ويشارك في المهرجان عدد كبير من الممثلين والمخرجين المسرحيين المغاربة والأجانب، كما سيستضيف المهرجان فرقًا مسرحية طلابية أجنبية تنتمي إلى جامعات دول فلسطين، وإسبانيا، وبلجيكا، وبلغاريا، وهنغاريا، والبرتغال، والسويد، وليتوانيا، وفرنسا، إضافة إلى فرق مسرحية مغربية تنتمي إلى جامعات الدار البيضاء وآكادير ومكناس والرباط.

كتاب يثير زوبعة في السودان

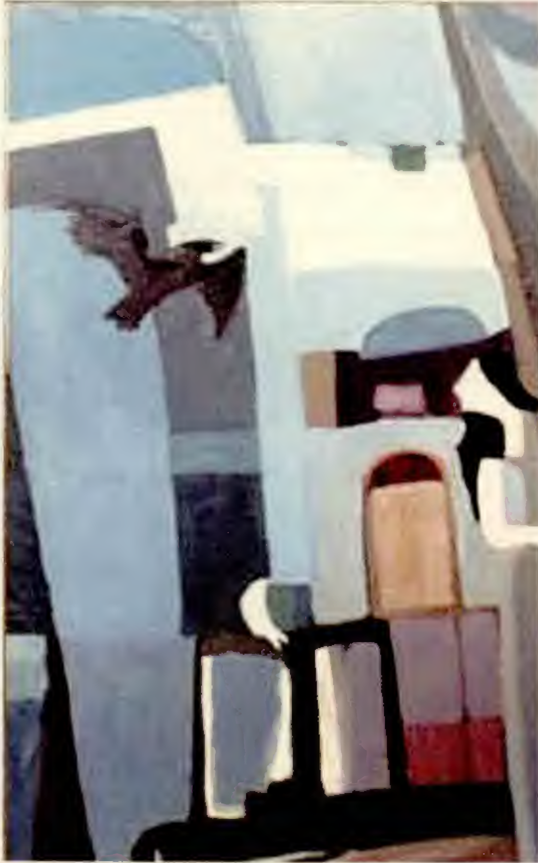
أثار كتاب (الفن التشكيلي في السودان) الصادر عن الإليسكو، والذي وضعه الدكتور راشد دياب ضجة إعلامية هائلة؛ إذ يرى بعض التشكيليين أن الكتاب كان ينبغي أن تقوم بإعداده لجنة خاصة، وألاّ ينفرد بوضعه مؤلف واحد، وكان لصحيفة الرأي العام السودانية استطلاع أوضح تباين وجهات النظر حول الكتاب.

فقال البشير سهل: إن الفرصة أُتيحت للدكتور التشكيلي راشد دياب، لكنه استخدم هذه السلطة بشكل غير صحيح، إذ قدّم التشكيليين بصورة لا تمثلهم . وإلى جانب هذا فالكتاب يطوي حقباً من الغياب. ومع هذا فهو يعد وثيقة رسمية عالمية مما يجعله مرجعاً عالمياً. وكان الأسلم أن يسهم فيه اتحاد التشكيليين، واعترض الفنان التشكيلي إبراهيم العوام؛ لأن له عملين صورا في هذا الكتاب، ولكن أحد العملين لم يعرض من قبل ولم ينشر، ولم يشاوره الدكتور في نشره. وقال البروفسور شبرين: أنا مع تجربة كل فنان سوداني يكتب عن التشكيل، أما عن تكليف وزير الثقافة للدكتور راشد دياب بإعداد هذا الكتاب فهذا يسأل عنه وزير الثقافة، وأنا متأكد أن لديه الإجابة المقنعة عن هذا السؤال.

وأوضح الدكتور أحمد عبد العال أن هذا الكتاب نافع جداً على صعيد التعريف بالحركة التشكيلية المعاصرة، وجذورها التاريخية، وهو يمثل وثيقة مهمة ظلت غائبة عن حياتنا الثقافية منذ سنين طويلة.

وعلق الدكتور عادل كرداوي الأمين العام للمنظمة الوطنية للإليسكو على هذا النقد بقوله: أريد أن أصحح معلومة، هي أن برنامج إنتاج أعمال تشكيلية من الدول العربية ليس برنامجاً خاصاً باليونسكو، وإنما هو يخص المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الإليسكو)، وهو ضمن سلسلة برامج لنشر الفنون التشكيلية. وهو نماذج من أعمال التشكيليين تم تنفيذه من قبل لعدد من الدول العربية.. وقد جاءت مشاركة السودان في هذا البرنامج بمبادرة من الأستاذ عبد الباسط عبدالماجد وزير الثقافة، فقد تحادث مع دكتور المنجي بوسنينة المدير العام للإليسكو. وقد تمت الموافقة على هذه المبادرة دون طرح هذا الموضوع على القطاع المعني بالإليسكو في تونس .

ويقول الدكتور راشد دياب مؤلف الكتاب: إن هذا الكتاب هو كتاب مبدئي عن التشكيل في السودان، مع عرض نماذج لأعمال بعض الفنانين التشكيليين الذين أثروا مسيرة التشكيل. وهذا الكتاب ليس كتالوجاً أو موسوعة تشكيلية، إنما يعطي فكرة عامة عن التشكيل في السودان. وقد اعترف الكثيرون



(دعك من رؤيتي) بأن أهداف الكتـــاب تطابقت مع أهـداف الأليسكو في التعريف بالفن التشكيلي السوداني. كما أنه لا توجد تجربة سابقة في السودان في تكوين لجان للإشراف على طباعة أو إصدار كتاب عن التشكيل، حتى منظمة الإليسكو لم تسع لتكوين لجان لإعداد الكتب التشكيلية الصادرة عن البلدان العربية، فكتاب «الفن التشكيلي في سورية» أعدّه الأستاذ طارق الشريف، وكتاب« استحضار المكان» وهو دراسة في الفن التشكيلي الفلسطيني المعاصر، وكتاب «الفن التشكيلي المعاصر في الأردن» من إعداد الدكتور إبراهيم النجار . وكتاب الفن التشكيلي في تونس تأليف على اللواتي، كل هذه الإصدارات أشرفت على طباعتها الإليسكو. ولم يرد ذكر لجان في أي منها، إنما أصدرتها المنظمة تحت إشراف أفراد بعينهم . وهذه سانحة أُتيحت للسودان، وكان يمكن أن تضيع. والإليسكو رصدت مبلغ (٦٠ ألف دولار) لطباعة هذا الكتاب. عندما تأخرت اللجنة عن تسليم الكتاب في الموعد المحدد تم تحويل المبلغ (٣٠ ألف دولار) إلى دولة عربية أخرى ، وتم تخصيص الـ (٣٠ ألف دولار) الأخرى للسودان، وهذه مشكلة في حد ذاتها، ودعوة للوقوف على أمر المبادرات الخارجية، والفرص التي تضيع على السودان لتقاعس أعمال بعض اللجان. ومبلغ الثلاثين ألف دولار هو الميزانية المرصودة لتكلفة الكتاب من حيث تصميمه وطباعته وليست مرصودة للمؤلف. وما أثير عن كون الكتاب رسالة دكتوراه، فالدكتوراه هي إجازة بحث، وهذه الإجازة تؤهلك لأن تصبح باحثاً في مجال التخصص المعين، وإذا لم تنتج من الدكتوراه عملاً تصبح هذه الدكتوراه بلا جدوى. وأضاف راشد: ولا أذيعكم سراً، إن أعلنت هنا عن البداية لإعداد الكتاب الثاني للتشكيل في السودان الذي سوف أقود فيه حواراً متكاملاً مع كل الفنانين التشكيليين في السودان. وفي اعتقادي أن مسيرة الكتابة عن التشكيل في السودان قد بدأت، ولن تتوقف وإن وقفت أمامها المتاريس والعوائق.

مصير هاري بوتر

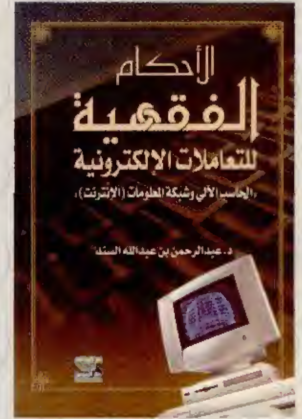
لم تكشف الكاتبة البريطانية جوان رولينغ مؤلفة قصص هاري بوتر عن مصير بطل هذه السلسلة (الطفل الساحر) خلال قراءة جزء من إحدى قصصها أمام مجموعة صغيرة من المعجبين في المهرجان الأدبي السنوي الذي عقد في أدنبرة في الشهر الماضي. وجاءت إجابتها عن سؤال عما إذا كان هاري بوتر سيكبر ويصبح ساحراً؟ بقولها: «سيعيش حتى القصة السابعة، لكني لا أريد أن أقول ما إذا كان سيكبر أكثر من ذلك».

كذلك رفضت الكاتبة الكشف عن عنوان الكتاب السابع في هذه السلسلة، مؤكدة أنها كانت تعرف مسار الحبكة الروائية في القصص السبع من هذه السلسلة منذ عام ١٩٩٧م.

والجدير بالذكر أن أكثر من خمسمئة شخص كانوا قد اشتروا تذاكر لحضور الكاتبة وهي تقرأ جزءاً من القصة الخامسة في هذه السلسلة التي شغلت الأوساط الأدبية ردحًا من الزمن وما زالت، وقد أمضت الكاتبة نحو عشر دقائق وهي تقرأ مقاطع من هذه الرواية قبل أن تفتح الباب لأسئلة الجمهور.







السند، عبدالرحمن بن عبد الله/ الأحكام الفقهية للتعاملات الإلكترونية: الحاسب الآلي وشبكة المعلومات الإنترنت.ـ الرياض: دار الوراق، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م، ٤٦٩ص.

أصل هذا الكتاب هو رسالة دكتوراه تقدم بها الباحث إلى قسم الفقه المقارن في المعهد العالي للقضاء بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

وتاتي أهمية الموضوع في ظل التطور الهائل لتقنية المعلومات، حتى لا نكاد نجد مؤسسة تعليمية أو غير تعليمية إلا ولها اتصال وارتباط بهذه التقنية، بل حتى على مستوى الأفراد.

ويبين هذا الكتاب الأحكام الشرعية لحكم استخدام الحاسب الآلي، وشبكة المعلومات العالمية (الإنترنت)، وأحكام التجارة الإلكترونية وآثارها، كما يتعرض الباحث للجرائم المتعلقة بتقنية المعلومات، وبيان حكم تدمير المواقع على شبكة المعلومات العالمية، وحكم اختراق البريد الإلكتروني، وأحكام القذف والسب والاعتداء على الحياة الخاصة للأشخاص في الشبكة، كما بين البحث حكم إتلاف البرامج والمعلومات، والاعتداء بنسخ البرامج المحمية ذات الحقوق الخاصة، وحكم تزوير المستندات في الحاسب الآلي، ويستعرض البحث سبل وطرائق مواجهة الاعتداءات الإلكترونية، وكذلك سبل مواجهة الغزو العقدي والأخلاقي الذي أفرزته الإنترنت .



ر. هيل، دونالد/ العلوم والهندسة في الحضارة الإسلامية: لبنات أساسية في صرح الحضارة الإنسانية، ترجمة: أحمد فؤاد باشا ـ الكويت: المجلس الوطني للثقافة والآداب، ٢٠٠٤م، ٣٢٢ص، (عالم المعرفة؛ ٣٠٥) .

انبثق هذا الكتاب حديثًا من قلب الثقافة الغربية ليقدم بحيدة وموضوعية - من واقع الوثائق التراثية المحققة - شهادة إنصاف في حق الحضارة العربية الإسلامية، ودورها الرائد في تأسيس كثير من العلوم والتقنيات التي تجني البشرية ثمارها اليوم، وقد حرص المؤلف على أن يعرض مادة الكتاب في السياق التاريخي الشامل بأسلوب علمي سليم خال من الحشو أو التبسيط المخل، فهو يبرز أهم مآثر المسلمين في عدد من العلوم الأساسية الكمية، شملت الرياضيات، والفلك والفيزياء، والكيمياء، ثم ينتقل إلى الجانب التقني من العطاء الإسلامي للحضارة الإنسانية ، فيعرض نماذج منتقاة لأجهزة وآلات وتقنيات دقيقة ذاتية الحركة، ويقدم شرحًا وافيًا لإنشاءات هندسية شملت بناء الجسور والسدود والطواحين المائية الهوائية، وأنظمة الري وإهدار المياه، وتقنية المساحة الجيوديسية،

واستخراج المياه الجوفية، ويخصص فصلاً لتقنية التعدين، واستخراج الثروات المعدنية، من المناجم الكثيرة على امتداد الأراضي الإسلامية، وقد زود المؤلف كتابه بعدد من الصور والرسوم التوضيحية التي عدها جزءًا مكملاً لعرض المادة العلمية.

يشار إلى أن المؤلف دونالد هيل من مواليد ٦ أغسطس/آب عام١٩٢٢م في لندن، وحصل على شهادتي بكالوريوس الهندسة، ودكتوراه الفلسفة في التاريخ العربي من جامعة لندن، ونال زمالات في فرع تخصصه، أولى اهتمامًا خاصًا بتاريخ الهندسة والتكنولوجيا في العصور الوسطى، وشارك في إعداد مداخل دائرة المعارف الإسلامية، وفي الإشراف على تحرير مجلة تاريخ العلوم العربية.

وله مؤلفات ومقالات عن التقنية الإسلامية، والهندسة الميكانيكية العربية، والساعات المائية العربية، وتراث الكيمياء العربية، والهندسة المائية العربية.

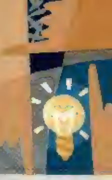
العين زربي، أبو نصر عدنان بن نصر بن منصور/ علم الفلك الطبي: رسالة في ما يحتاجه الطبيب من علم الفلك، تحقيق: محمد فؤاد الذاكري ومحمد منير أبو شعر ـ دمشق: المؤلفان، ٢٠٠٣م، ١٨٧ص.



مؤلف هذا الكتاب هو موفق الدين أبو نصر عدنان بن نصر بن منصور العين زربي، ولد في مدينة (عين زربة)، وهي من بلاد الثغور من نواحي المصيصة (مدينة على شاطئ جيحان من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس)، وتوفي في سنة(٥٤٨هـ/١١٥٣م) تقريبًا، في مدينة القاهرة.

اكتسب العين زربي شهرة كبيرة؛ لأنه صنف بديار مصر كتبًا كثيرة في صناعة الطب وفي المنطق، وغير ذلك من العلوم، وله عدد من الكتب المفقودة منها: «الرسالة المقنعة في المنطق»، و«شرح كتاب الصناعة الصغيرة لجالينوس»، و«مجربات في الطب على جهة الكناس» و«رسالة في السياسة»، و«رسالة في الحصى وعلاجه» و«الكافي في صناعة الطب».

وقد قام المحققان في بداية الكتاب بتقديم تناولا فيه أهمية التراث العلمي، وفصلاً عن الموروث القديم: الصابئة والفلاحة النبطية، وقدم الفصل الثاني تعريفًا عن التنجيم، وعلم النجوم، وبين الفصل الثالث: ما يحتاجه الطبيب من علم الفلك، وجاء الفصل الرابع عن مفهوم السعد والنحس، ووضح الفصل الخامس التنجيم في المجال الطبي، وقدم الفصل السادس تعريفًا عن المؤلف (العين زربي)، وتضمن الفصل السادس تحقيقًا مطولاً لمخطوطة رسالة ما يحتاجه الطبيب من علم الفلك.





مجموعة باحثين/ أحجار المعلاة الشاهدية بمكة المكرمة ـ الرياض: وزارة التربية والتعليم: وكالة الآثار والمتاحف، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ٦٧٢ص.

يتناول هذا الكتاب مجموعة من الكتابات الإسلامية الشاهدية المنسوبة إلى مكة المكرمة، ويعد هذا الكتاب إضافة مهمة إلى مصادر تاريخ مكة المكرمة، فهو توكيد لحقائق التاريخ الحضاري والاجتماعي الذي نجده مسطورًا في المصادر التاريخية المكية، ويضيف حقائق جديدة، خصوصًا أسماء المتوفين في مكة، والمدفونين في مقبرتها العريقة (مقبرة المعلاة)، وتنبع أهمية هذه المجموعة من الكتابات في تأكيدها لحقائق التاريخ من كونها آثارًا ثابتة، وأدلة خطية واضحة نقشت في أزمان أصحابها المتوفين فحفظت لنا أسماءهم وسلاسل أنسابهم، وكناهم، وألقابهم العلمية والوظيفية والمهنية، وانتسابهم إلى أسرهم وأفخاذهم وقبائلهم، والبلدان التي ينتمون إليها، والمهن التي اشتهروا بها، وزاولتها أسرهم وبيوتاتهم العريقة في مكة، أو في البلدان التي قدموا منها إلى مكة حاجين ومعتمرين.

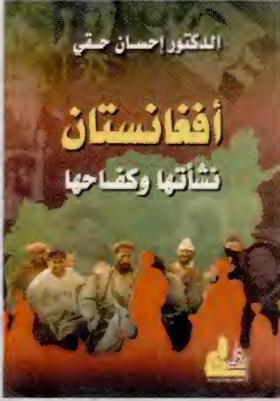
أما دراسة الكتابات المنقوشة على الأحجار، والإفادة منها في تسجيل بعض حقائق التاريخ ووثائقه، فعلم قائم بذاته لم يقتصر الاهتمام به على العصور الحديثة التي ازدهر فيها العلم، وإنما تعداها إلى عصور مبكرة شهدت عناية خاصة من المؤرخين المكيين أمثال: تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي في كتابه: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ومعاصره جمال الدين محمد بن علي الشيبي في كتابه: الشرف الأعلى في ذكر قبور مقبرة باب المعلاة.



البدراني، فائز بن موسى الحربي/ وثائق تاريخية من منطقة المدينة المنورة ـ الرياض: دار البدراني للنشر والتوزيع، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ٩٩٢ص.

تعد الوثائق المكتوبة هي المصدر الأول لأي بحث تاريخي، بل هي شاهد العيان الذي ينقل تفاصيل الحدث التاريخي بزمانه ومكانه وأشخاصه وجزئياته، فالوثيقة هي تسجيل ثابت للحدث ساعة حدوثه بما يحفظ تفصيلات الموضوع ويحميها من عوامل التغيير والزيادة أو النقص الذي يطرأ نتيجة لتبدل الأفكار والتوجهات، وتأولات المتأخرين وتحريفاتهم إما قصدًا نتيجة الأهواء الشخصية وإما من دون قصد نتيجة الجهل أو نتيجة النسيان الذي هو طبيعة النفس البشرية.

ويقول الباحث: «إنه عندما شرع في جمع المعلومات المتعلقة بأخبار منطقة المدينة المنورة وتاريخها غير المدون، لاحظ تضارب الرواية الشفهية والاختلاف الكبير بين الرواة، وخاصة فيما يتعلق بنقلهم للأنساب والأخبار والقصص التي لم يدركوا



أحداثها، ولم يعاصروا أشخاصها، ومن هذا المنطلق فقد آل على نفسه ألا يعول كثيرًا على الرواية الشفهية، فكان اتجاهه إلى المصادر المكتوبة والوثائق التاريخية هو الأساس في هذا البحث».

وتركز هذه الدراسة في الوثائق الأهلية، وتأتي أهمية دراسة هذه الوثائق في أنها تقدم معلومات مهمة ودقيقة عن جوانب كثيرة مثل: الحياة الاجتماعية والاقتصادية للتجمعات السكانية التي كانت بعيدة عن تناول المؤرخين، والحياة الفكرية والدينية والمذاهب الفقهية السائدة، وأعلام الفقهاء وأئمة المساجد في تلك القرى والأرياف، وشيوخ وأعيان القبائل، والقرى الذين لم يحظوا بالكتابة عنهم، واللهجات المحلية والمراحل التي مرت بها، والعملات النقدية المتداولة خلال القرون الأربعة السابقة للحكم السعودي، ودراسة القضاء العرفي والقوانين القبلية، وأشهر القضاة، والحياة السياسية والأوضاع الأمنية، وتحقيق الأنساب ومعرفة تسلل الجدود لكثير من الأسر المعاصرة ذات العلاقة بمنطقة البحث، ودراسة الكتابة والمراحل التي مرت بها، ومعرفة أعلام كتبة الوثائق في تلك المنطقة.

حقي، إحسان/ أفغانستان: نشأتها وكفاحها ـ دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٣م، ٢٧٢ص.

كتب هذا الكتاب المرحوم إحسان حقي، ولكنه لم يستطع نشره في حياته، وهو يقف في سرد تاريخ هذه البلاد عند انسحاب الجيوش الروسية منها عام ١٩٨٩م، ولكي يكون الكتاب كاملاً استند الباحث إبراهيم حقي إلى عدد من الكتب التي صدرت في العام الأخير عن هذا الموضوع، خصوصًا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر/أيلول ٢٠٠١م. ويتميز الكتاب بكونه يتناول بإيجاز دقيق تاريخ أفغانستان القديم حتى العصر الراهن، مرورًا بالفتح الإسلامي لها، وحكم الدول المتعاقبة عليها، ومن أهم ما فيه أنه يقف عند المرحلة المتأخرة حين دخول الاتحاد السوفييتي لها، وقيام حركة الطلاب (طالبان)، وتنظيم القاعدة، والمجريات المهمة التي قامت حولها خلال دخول القوات الأمريكية وسيطرتها على كابول، ويلقي الكتاب أضواء مهمة على تاريخ المنطقة بأسلوب واضح محايد ليس فيه إدخالات ولا تأويلات.



المغامسي، خالد محمد/ الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية ـ الرياض: مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني، ١٤٢٥هـ، ٢٧٠ص.

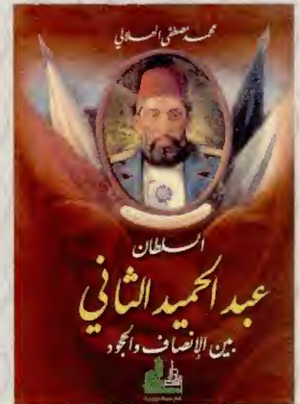
تهدف هذه الدراسة إلى التعريف بمعنى الحوار، ودواعيه، وعوائقه، وبيان أنواع



الحوار في القرآن الكريم، والسنة النبوية، وبيان آداب الحوار، وإبراز الفوائد التربوية للحوار في الأسرة، والمدرسة، والمجتمع، وبيان التطبيقات التربوية لآداب الحوار في الأسرة والمدرسة والمجتمع.

وتأتي أهمية هذه الدراسة من قلة الدراسات التربوية التي تتحدث عن الحوار وآدابه، ولأن أسلوب الحوار من أفضل الأساليب التعليمية، لذا ينبغي تأطيره بآداب لكي يمكن الاستفادة منه، إذ حث الإسلام المسلمين على التزام الآداب العامة ومن ذلك التزام آداب الحوار، في وجود آداب للحوار تجعل المتحاورين يرجعون إليها عند اللزوم، وذلك لضمان مواصلة الحوار، كما تتضح أهمية الموضوع في التطبيقات التربوية، فمن خلال تحاور الأسرة يمكن لأفرادها من أبوين وأبناء الاستفادة من هذه الآداب في إدارة الحوار داخل الأسرة، وفي المدرسة يستفيد أفرادها مربين وطلابًا من معرفة هذه الآداب، وفي المجتمع يستفيد جميع أفراده من معرفتهم لآداب الحوار وممارستها.

الهلالي، محمد مصطفى/ السلطان عبدالحميد الثاني بين الإنصاف والجحود - دمشق: دار الفكر، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٤م، ٣٢٠ص



لقد ظلمت في التاريخ عدة شخصيات، شوه صورتها المغرضون من المؤرخين الغربيين والعرب، وتبعهم أناس كثيرون عن جهل وعدم تثبت.

ومن تلك الشخصيات السلطان عبدالحميد الثاني الذي أساء إليه أعداؤه، فوصفوه بأخس الصفات، وأدنى النعوت، وخاصة بعد انقلاب ١٩٠٨و١٩٠٩م، بتشجيع من أعضاء جمعية الاتحاد والترقي(وهم من يهود الدونمة) ليثبتوا أن مثل هذا السلطان لا ينبغي أن يظل في الحكم.

والسبب الحقيقي للانقلاب عليه هو موقفه من اليهود وخوفه على فلسطين منهم، ولذا أعلنوا أن إبعاده واجب وطني، وأن انقلابهم شرعي لتخليص البلاد والعباد من ظلمه وجبروت طغمته الفاسدة.

يتناول هذا الكتاب مسيرة السلطان عبدالحميد الثاني بداية ونهاية، قبل توليه الحكم وبعده، ويوضح مواقفه من المسألة الشرقية، والجامعة الإسلامية، وسكة حديد الحجاز، والسنوسي، والأرمن، ومدحت باشا، وجمال الدين الأفغاني، وفلسطين وهرتزل، والصحافة، والعرب، ويؤكد تشجيعه العلم وإنشاءه المرافق العامة. ويتقصى أهم الشبهات والافتراءات عليه من أعدائه ويناقشها، ويردها بالأدلة والبراهين، كما يتحدث عن أخطائه وحياته بإيجاز.

ويتحدث عن شجاعته ومحاولة اغتياله، وعن حادثة الزلزال الكبير، وعن موقفه من أعضاء جمعية الاتحاد والترقي. ويبين كيف حارب الاتحاديون اللغة العربية واضطهدوا العرب، وكيف تآمرت الدول الأجنبية على السلطان وخلعه، وارتقاء أخيه العرش، ويكشف حقيقة جريمة ٣١ آذار/ مارس، وسبب إلغاء السلطان المشروطية، ومن بلّغ السلطان الخلع، ووضعه في المنفى، ويصف ساعاته الأخيرة ويذكر شيئاً من أقواله.

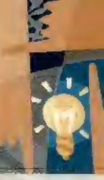
الملا، عيسى بن علي/ التفكير الإستراتيجي للمخططين الإستراتيجيين.- الدمام: المؤلف، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ١٧٢ص.

التفكير سلسلة من العمليات المعقدة التي تجري في الدماغ البشري بسرعة مذهلة، مهمتها تيسير الأمور التي تشغل الذهن وتحليلها إلى عناصر أولية قابلة للربط، والمقارنة، والعرض، والتمثيل، والتصوير، ثم الخروج بتصور أو نظرية تشكل قاعدة ثابتة للتطبيق العملي، والتفكير الحر أو المقيد يشبه نهرًا متدفقًا من التصورات، والمعلومات المتداخلة التي لا ضوابط عليها تحكمها في مسار محدد لغرض محدود وهذا النوع من التفكير يسمى «التداعي الحر» أو «التواتر الفكري» وهو، على الرغم من أهميته الظاهرة في تسلسل الأفكار وترابطها، وشموليتها، يشكل عائقًا كبيرًا، في وجه التخطيط، لأنه يرهق الذهن بكثرة المعلومات التي لا ضرورة لها في موضوع يجري التخطيط له بشكل محدد.



ومن هنا تأتي أهمية التفكير الإستراتيجي، الذي هو مسار فكري محدد له خط سير خاص به، يريح العقل من عناء تنقية الأفكار من الشوائب والتصورات التي لا يحتاج إليها الذهن في أثناء تفكيره، في موضوع معين له أهداف محدودة، ولا يكون التفكير فعالاً إلا إذا أدى إلى النتائج المطلوبة بأقل جهد ممكن، وبأقصر وقت مستطاع، وهذا ما يرمي إليه التفكير الإستراتيجي.

يتضمن الكتاب ستة فصول رئيسة: يتناول الأول عملية التخطيط الاستراتيجي، والتشخيص أو البحث عن الحقائق والمعلومات، ويناقش الفصل الثاني موضوع توسيع الإدراك وتحقيق الصور، وجاء الفصل الثالث بعنوان «المجازفة والصور العقلية»، وبين الفصل الرابع التفكير والتخطيط، وتناول الفصل الخامس صنع البيئة الملائمة للنمو، ويتلخص الفصل السادس في أهم ما جاء في الدراسة، وضم الكتاب وقفة للتأمل، وأقوالاً في التفكير الإستراتيجي.



مجلة الحاسوب السعودية (مج٢، ع٢، ١٤٢٥هـ)

فصلية علمية محكمة تصدر عن جمعية الحاسبات السعودية، تعنى بنشر البحوث المتقدمة في مجال الحوسبة والمعلوماتية، وتعرض التجارب المثلى في تطبيقات الاتصالات وتقنية المعلومات.

جاء غلاف العدد عن موافقة صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود، ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني بتشريفه جمعية الحاسبات السعودية برئاستها فخريًا، وتضمن العدد مجموعة من البحوث المحكّمة ، بدأها بن جيانج وبوني بوردمان ببحث بعنوان: «تحسين أداء الأعمال وقدرتها التنافسية عن طريق تكامل سلسلة الإمداد»، وكتب عبدالله القحطاني وودمارك واليقين بحثاً عن تحسين الأداء من خلال التوجيه بأسلوب نوعية الخدمة باستخدام مقايس متعددة EBQRMM، وقدم صالح بن غرم الله الزهراني موضوعاً عن نظام شبكة معلومات وطنية للرعاية الصحية في المملكة العربية السعودية: نظرة للمستقبل، وفي باب المراجعات والعروض العلمية، قدم رئيس التحرير الامير ماجد بن عبدالله المشاري آل سعود، مراجعات في إدارة تقنية المعلومات: إدارة إجراءات الأعمال ـ التحديات الرئيسة، وتناول عبدالرحمن ميرزا «مراجعات الإنترنت: الفوترة والدفع المباشر»، وكتب محمد مندورة مقالاً عن مرئيات مهنة المعلوماتية: مجتمع المعلومات في المملكة العربية السعودية.

وفي عروض مستجدات التقنية: بيّن حسن طاهر داود تطبيقات جديدة لتقنية الواي فاي، وختم العدد بمقال للدكتور سعد الحاج بكري عن عروض الأنشطة الاكاديمية: طريق بديلة لدراسة الدكتوراه في الجامعات البريطانية.

العنوان:

ص.ب: ٥١١٧٨ الرياض ١١٥٤٣ المملكة العربية السعودية

malmashari@aci.org.sa



الدارة (س٣٠، ع٢، ١٤٢٥هـ)

مجلة فصلية محكّمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز، وتعنى بنشر البحوث العلمية ذات العلاقة بتاريخ المملكة العربية السعودية وجغرافيتها، وآدابها، وآثارها الفكرية، والعمرانية خاصة، والجزيرة العربية والعالم العربي والإسلامي بعامة.

خصص هذا العدد للحديث عن مدينة الرياض وتطوراتها من الناحية الإدارية، والإعلامية والاجتماعية وجاء أول البحوث بعنوان «سلمان بن عبدالعزيز نموذجًا للقائد التحويلي» إذ كشف الدكتور فهاد بن معتاد الحمد عن القيادة التحويلية في شخصية الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقةالرياض.

وقدم الدكتور محمد بن مقرن المقيرن قراءة تاريخية عن تطور القطاع الصحي في منطقة الرياض من عهد الملك المؤسس إلى عهد خادم الحرمين الشريفين، وتناول الدكتور عبدالله بن محمد الشعلان تطور الطاقة الكهربائية في مدينة الرياض خلال نصف قرن، وتطرق الدكتور عبدالرحمن الشبيلي إلى البدايات الأولى لوسائل الاتصال والإعلام في الرياض، وكتب الدكتور عبدالعزيز الغريب عن الرعاية الاجتماعية في مدينة الرياض خلال خمسين عامًا، ووضّح الدكتور علي بن عبدالعزيز الشبل أهم المظاهر العلمية لعاصمة الدعوة السلفية وآثارها، وركّز الدكتور خالد بن ناصر المديهيم في النمو الحضري لمدينة الرياض، واحتياجاتها المستقبلية من المياه.

وفي باب الوثائق قدم عبدالله بن محمد المنيف دراسة وثائقية عن العمد في مدينة الرياض عام ١٣٦٧هـ، وعرض راشد بن محمد بن عساكر لوثيقة «الكبيشية» لجليلة بنت الأمير عبدالمحسن بن سعيد الدرعي سنة ٩٦٩هـ/١٥٦١م.

واشتمل العدد على مقالتين لكل من: عبدالله العلي النعيم بعنوان «كذا كانت الرياض» وعبدالرحمن بن سليمان الرشيد بعنوان «الرياض في دورها الحضري والتاريخي خلال خمسين عامًا».

وفي البحوث المترجمة قدم حمد بن منصور أباحسين ترجمة لأمين الريحاني بعنوان «من قصر السلطان عبدالعزيز: لمحات من حياة مواطن أو ضيف لسلطان عربي»

وختم العدد بمراجعة لكتاب «الرياض ..المدينة القديمة» لوليام فيسي، قدمها الدكتور محمد بن عبدالله بن صالح.



العنوان:

ص.ب: ٢٩٤٥ الرياض المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٠١١٩٩٩

ناسوخ: ٤٠١٣٥٩٧

ملاحظات ضابط عثماني كبير عن الوهابية

محمد حرب

البحرين ــ البحرين

يهدف هذا المقال إلى تبيان رؤية ضابط مثقف من كبار ضباط الجيش العثماني للدعوة السلفية في أثناء عمله في نجد، عامًا ونصف العام.

كتب حسين حسني باشا، وهو الضابط المعني هنا، كتابه الذي بعنوان «نجد قطعه سنك أحوال عمومية سي» سنة ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م بمعنى حال منطقة نجد العامة أو الأحوال العمومية لمنطقة نجد، والكتاب في لغة عثمانية جميلة، مؤرخ، حسب ما سجل في نهاية المقدمة سنة ١٣٢٤هـ كما ذكرنا، وكتبه في مصر، أما طبعه فكان في مطبعة «أبو الضياء» في القسطنطينية يعني إستانبول.

ويعد حسين حسني باشا خبيرًا في شؤون العالم العربي، فقد زار وعمل في عدة دول عربية، زار وعمل في نجد في السعودية، وفي اليمن، وفي الكويت، وفي العراق، وفي مصر، بعد أن خدم في القوات المسلحة العثمانية واحدًا وعشرين عامًا. كانت نهاية مطافه أن عمل ضابطًا في مصر في الأمن العام.

أما كتابه فقد تكون عليه مآخذ، لكن له إيجابياته، فهو قد أحب العرب، وهذا أمر نقدره له ونشكره، وتحدث عن العرب في نجد فوصفهم بالقوم الأذكياء النجباء، وبالتعبير العثماني «قوم نجيب عرب». كما وصفهم بالكرم والسخاء، وبإكرامهم للضيف، وقال: إن هذه صفاتهم، وإنها لجديرة بالتقدير. كما وصف أهل نجد بأنهم أقوياء البنية، متوسطو القامة، وهم في غاية الرقي الأخلاقي، وعار عندهم أي عار خيانة الضيف أو الجار أو الأمانة. ولا يعرفون الكذب، ولا المبالغة في القول. ثم يورد بقية صفات أهل نجد كما رآها ولمسها وقدّرها.

يقول حسين حسني باشا: إن عمله ضابطًا في الجيش العثماني، كان يمنعه من الدخول في الحديث عن المذاهب وعن الدين، «إلاّ أني هنا، سأعرض الأحوال والأحاديث التي رأيتها وسمعتها في الأماكن التي حللت بها. أما تدقيقات هذه المسائل ومناقشتها فهي أمور ترجع إلى حضرات العلماء الكرام».

يقول حسين حسني باشا: إن أهل نجد على

شاكلتين (حضر وبدو)، وهم في عمومهم ينتمون إلى الوهابية، والداعي لها شخصية تدعى محمد بن عبدالوهاب من قرية (عونيه) ولعلها خطأ مطبعي فهو يقصد العيينة غالبًا.

لفت نظري هنا - أنا كاتب هذه السطور - أن الباشا عندما تحدث عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، لم يستخدم كلمة كيشى التركية بمعنى شخص عادي، وإنما استخدم كلمة ذات وهي كلمة عربية دخلت اللغة التركية العثمانية بمعنى الشخصية أو بمعنى الشخص المحترم.

رؤية للوهابية والوهابيين

ويقول: إن مسمّى الوهابية جاء من اسم والد الشيخ محمد، ألا وهو عبدالوهاب، ويمكن إدراج ملاحظات أو لنقل رؤية حسين حسني باشا للوهابية وللوهابيين، في النقاط الآتية:

- الوهابيون لا يتوانون عن حسن الإيفاء بالفرائض الخمس التي توجبها «كلمة الشهادة» من الصوم والصلاة والحج والزكاة على ما كانت عليه أيام النبي صلى الله عليه وسلم.

- يفضل الوهابيون السجود، على الأرض، وليس في جوامعهم حصير.

- يرى الوهابيون أن باب الاجتهاد مفتوح لم يغلق.

- ليس عندهم زيادة في الأذان عند الصلاة.

- ليس جائزًا عندهم الاستعانة والاستغاثة بأحد غير الله الحق تعالى.

- يتلفظ الوهابيون «كلمة الشهادة» على مرحلتين بينهما نفس. فيقولون «أشهد أن لا إله إلا الله» وينتظرون برهة ثم يقولون «وأشهد أن محمدًا رسول الله» ويقصدون بهذا نفي الشرك إذا وحدوا أو ضموا لفظ الجلالة مع اسم النبي.

- يتعجب الوهابيون تعجبًا شديدًا عندما «يروننا» نقرأ دلائل الخيرات. ويقبحون تقديسنا لكتاب غير القرآن.

- يرى الوهابيون أن محمد بن عبدالوهاب، مجدد للإسلام.

- لا يعتقد الوهابيون في كرامات الأولياء.

- ليس جائزًا في الوهابية الزواج بأكثر من أربع.

- يحرمون زواج المتعة.

- لا يقرؤون في نجد مناقب المولد النبوي.

- ليس جائزًا عند الوهابيين شتم الصحابة ويحرمون هذا تحريمًا تامًا.

- يجيز الوهابيون الأكل مع غير المسلم.

- حرام عندهم: الغناء، والآلات الموسيقية، واللعب.

- يحرمون التدخين، ويسمون الدخان «المخزي» وشرب المخزي عندهم من كبائر الذنوب.

- يطلق الوهابيون في نجد اسم «المطوّع» على عالم الدين.

- وهناك مطوع في كل قرية، يخطب الجمعة ويؤم الجماعة في الصلاة، ويعلم أطفال القرية، ويقوم بإلقاء الدروس الدينية.

- إذا أراد من تعلم القراءة والكتابة على يد مطوّع، أن يستزيد من العلوم الدينية، فإنه يذهب إلى شقرة أو إلى الرياض، فهناك يجد مبتغاه.

- بيوت المطوعين في القرى مدارس.

- «لا يدرِّس الوهابيون، ولا يدرسون، تأليفات غيرهم، وإنما يدرسون تأليفات مجتهدي الوهابية».

هذه ملاحظات حسين حسني باشا الضابط العثماني الكبير، والمثقف ثقافة عالية لنقل رؤيته للوهابية والوهابيين، أقدمها للقارئ العربي، ففيها عبرة وفكرة، وتقارب بين الشعبين (العربي والتركي)، بعد أن أسهم «التاريخ» في بعدهما بعضهما عن بعض.